أغناطيوس الرابع
بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

آلامٌ فقيامَة

منشورات
بطريركية الروم الأرثوذكس
دمشق

٢٠٠٧

المحتويات

توطئة

أقمارنا الثلاثة ١

التوبة ٥

هيروديا ٩

الصوم ١٣

آلام فقيامة ٢١

مجمع إلهي ٢٥

صياد البشر وصياد السمك ٢٩

في كنيسة المسيح ٣٣

وسواس الأسقف الأرثوذكسي ٤٠

ومَن قريبي؟ ٤٦

الحركة والكنيسة ٥٠

العذراء في الكنيسة الأرثوذكسية ٥٧

معمودية الأطفال ٧٢

أن تحب ٨٦

جهاد فظفر ٨٩

اليتيم والمجتمع ٩٣

يا صاحب القداسة ٩٧

هذا الغموض ١٠٠

الخدمة ١٠٦

مدارسنا وأثرها في نهضتنا ١١٣
الكنز السماوي هو الكنز الحقيقي ١١٦
حيث المضطهدون هناك المسيح ١١٨
ميت عاش ١٢٢
معنى القيامة ١٢٧
أنا لست كسائر الناس ١٣١
لقاء الراقدين ١٣٤
لا مساومة على الله ١٣٦
من وحي المعمودية ١٣٨
سلوى نصار القدوة ١٤١
كلمة المسيح الخلاصية ١٤٥
الوحدة المسيحية ١٤٧
السبيل إلى وحدة الكنائس ١٥٣
الإيمان، الرجاء، المحبة ١٥٩
لقاء الأب بأبنائه ١٦٣
مراحل العمل المسكوني ومفهومه الحاضر ١٦٦
العنصرة ١٧٢
ليكن لي بحسب قولك ١٧٦
نحن موضوع محبة ١٨٠
قصد وراء الفعل ١٨٤
امرأة تحب ١٨٧
الرب مخلّصي ممن أخاف ١٩٠
مقاييس الله غير مقاييسنا ١٩٣

المسيح أولاً	١٩٨
العودة	٢٠١
لستم لأنفسكم	٢٠٥
الله هنا والقداسة هنا	٢٠٨
مغفورة لك خطاياك	٢١١
الأم مفتاح خلاصنا	٢١٥
مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه	٢١٩
الصلاة والصوم علاجنا	٢٢٢
سراج الجسد العين	٢٢٥
الأطفال أمانة عندنا	٢٢٨
والخطأة أيضاً يخلصون	٢٣٢
نحيا ونخلد بالمسيح	٢٣٥
الإيمان قوة تحرك الإنسان	٢٤٠
إني أنا هو	٢٤٤
بالجسد أيضاً نقوم	٢٤٧
المسيح هو مخلص العالم	٢٥٠
القيامة خلق جديد	٢٥٣
الألم يوجع ولكنه يطهّر	٢٥٦
ملكوت السماوات قول وفعل	٢٥٩
لماذا الكنيسة؟	٢٦٢
وللكهنوت كرامة	٢٦٥
هل أصبحت بيوتنا فنادق؟	٢٦٩
بدون المسيح لا مسيحية	٢٧٢

الكلمة الإلهية فعل	٢٧٦
كلنا مسكون والله الشافي	٢٨١
أليس هذا ابن يوسف النجار	٢٨٤
يسوع وهيرودس	٢٨٧
دعْ كل شيء واتبعني	٢٩٠
الكنيسة فرحنا	٢٩٤
كنيستنا فخرنا	٢٩٧
سلاحنا لا يُقهر	٣٠٠
أن نحيا الحقيقة أو نموت	٣٠٣
ونحن أيضاً أبناء الله	٣٠٦
الله يعمل بصمت في عالمنا	٣٠٩
اعمل عمل المبشر	٣١٣
طوبى للودعاء	٣١٧
الله أب ويحب أبناءه	٣٢١
قايين وهابيل	٣٢٦
في القداس نلتقي أمواتنا	٣٢٩
الأرض الجيدة تعطي ثمراً جيداً	٣٣١
حيث تكونون تكون الكنيسة	٣٣٥
بجسد المسيح نحيا	٣٣٧
لا يوجد موت بل انتقال	٣٤٠
ربي، أنت نصيبي	٣٤٢
الخاطئ يموت بخطيئته	٣٤٥
العظيم مَن يعمل ويعلّم	٣٤٨

توطئة

وهذا كتاب جديد يحمل عظات وأقوالاً نُشر بعضها سابقاً والبعض الآخر لم ينشر فبقي مجهولاً.

واليوم بعد أن ظهرت لصاحب الغبطة مجموعات من عظاته وأحاديثه لفظها واعظاً ومحاضراً ودوّنها كاتباً بعد تنصيبه بطريركاً على أنطاكية العظمى رأينا أن نعود إلى الفترة قبل اعتلائه السدة البطريركية وننشر ما طالته أيدينا من عظات وأحاديث فاق عمر بعضها الخمسين سنة.

قد يتساءل المؤمن لماذا تعيدوننا نصف قرن إلى الوراء فيما يظهر كل يوم بل كل ساعة شيء جديد وآراء جديدة؟ نعم ولكن «المعرفة الصحيحة هي معرفة الله، والعلم الصحيح يقود إلى الله خالق المتعلِّم والمتعلَّم».

وهل نلقي بالأناجيل جانباً لأنها كُتبت منذ ألفي سنة؟ الجواب طبعاً لا لأننا إذا وضعناها على الرف يأكلها الغبار لأصبحنا بدون مسيحية. «التغني بالمسيحية ليس هو المسيحية بالضرورة، وليست العاطفية في الدين أمراً محموداً... العاطفة في الدين عوم عليه لا انغماس فيه» هذا ما يقوله الأب هزيم.

المهم أن تعرف كيف تقدم المادة التي تتحدث عنها ليتلقفها كل مؤمن متعلماً كان أم أمياً، مثقفاً كان أم جاهلاً. المسيحية معروضة للجميع

ولكن المهارة هي أن تعرف كيف توصلها إلى كل مستمع فيأخذ منها حسب إمكاناته ولا يخرج من الكنيسة خالي الوفاض. «التعليم ليس درساً فقط بل هو تربية والذي عنده بيتٌ فيه يربى، لا يُرسَل إلى الميتم. لذلك بدون المدارس النهضة وهم والكلام فيها لغو وضياع للوقت».

الأب هزيم: وهو اللقب الذي كان يدعى به مدير مدرسة البشارة الأرثوذكسية في بيروت حتى انها سُميت آنذاك بمدرسة الأب هزيم. والمدرسة هي المكان الذي يتثنى لصاحبها الساكن فيها والذي يعاشر التلاميذ ليل نهار أن يمرر إلى التلاميذ أفكاره وآراءه وبهم للأهل. لذلك كان حرص الأب هزيم على الناحية التربوية شديداً لكي يربي الأهل بواسطة التلاميذ «الذي لا يربي أولاده سيتلقفهم غيره ليربيهم».

وهكذا فقدكان الأب هزيم يعمل مذاك متطلعاً إلى الأمام، إلى المستقبل. لذلك كل قراءة للعظات والأحاديث المنشورة الآن وتحصرها بفترة معينة وزمن معين هي انتقاص من نظرة صاحبها الرؤيوية الشمولية. «وكل سلطة لا تتخذ المحبة وسيلة زائلةٌ حتماً ومنقرضة.... في الكنيسة لا شيء بدون المحبة» «حيث توجد المحبة يسقط الحق».

وكما يقال هذا غيض من فيض أردنا أن لا نتجاوزه في مسيرة صاحب الغبطة التربوية لذلك ثبتناه في كتاب لا أقول إنه مقدمة للكتب التي طبعت لأن غبطته لا يكرر نفسه أبداً. تقرأ العظة فتبدو شبيهة بمثيلتها ولكن ما ان تغوص فيها قليلاً حتى تجد أن أفكاراً جديدة وآراء لم تذكر في مثيلاتها تنكشف لك وتفتح أمامك آفاقاً جديدة.

ونحن إذ نثبت هذه التوطئة لأننا نؤمن أن ما فعلناه هـو مفيـد إن أحب أحد الإفادة. ونأمل أن لا يعتبر هذا الكتاب كتاباً للمطالعة والتسلية. إنه كتاب جديد بكل معنى الكلمة، جدي يحمل في حناياه كل ما هو مفيد إن رغب قارئه أن يتعب ويجهد نفسه «ونحن مـدعوون إلى أن نـرى الله أمامنا في كل شيء... عِظمُ الإنسان أن يعرف أنـه صـغير أمـام الله». «القيامة قاعدة الخلاص، ولا خلاص بدون القيامة. وإن لم يقـم المـسيح فإيمانكم باطل».

بهذا نؤمن وبهذا بَشّر الأب هزيم. ولذا كان هذا الكتـاب القـديم الجديد والذي نضعه بين أيديكم سائلين الله أن تستفيدوا منه في مـسيرتكم الحياتية لأن كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة هي منحدرة من العلو من لدنك يا أبا الأنوار.

أقمارنا الثلاثة*

الشماس اغناطيوس هزيم

في هذا اليوم، نقيم ببهجة روحية وحبور قلبي ذكرى مجيدة ومقدسة، لن ينساها التاريخ طالما هو ينبض بالقيم الروحية ويتحاشى طغيان المادية القتالة عليه. ذكرى عظيمة للآباء القديسين، ثلاثة أقمار الكنيسة، معلمي المسكونة وأنهار الحكمة التي تفيض حلاوة وحقاً.

وإنني لأتساءل إن كان هنالك من مناسبة يصح أن يعيد فيها إنسان لإنسان، أجدر وأجل من اليوم الذي فيه يعلي البشر مَنْ قد رفعهم الله، اليوم الذي فيه نفرح ونرنم لدعائم الأرثوذكسية والروح، الثلاثة الكواكب: باسيليوس الكبير، وغريغوريوس الناطق بالإلهيات، ويوحنا الذهبي الفم والعسجدي النطق.

باسيليوس الكبير: ذاك إنسان ولكنه تخطى الإنسانية إلى التقى والقداسة فكان عَلماً لا يخفق إلا باسم العلي ولا يرفع سوى سلطانه. لم يكن يبالي بما يسمونه الظروف أو الاعتبارات الزمنية. لم يكن يهتم بقوة، جارفة كانت أم غير جارفة، لأنه كان يرى كل شيء من خلال كنيسته فإما أن يحبذ وإما أن يبرهن في الدحض والاستنكار عن صلابة ما بعدها من صلابة مجابهاً كل قوة عالمية تقف في وجه يسوع وتريد أن تعرقل سريان روحه في العالم. فلا عجب إذاً أن يموت القديس مستشهداً في سبيل المسيح راداً الوديعة التي استلم كيلاً بكيل وصاعاً بصاع فكان ذبيحة لأجل المصلوب تتحدى بطهارتها ووداعتها قوة ملك العالم

* راديو لبنان، شباط ١٩٤٨

الذي إذ يَقتل بالسيف، بالسيف يُقتل.

كذا انتهى باسيليوس الكبير بعد أن قضى حياة ملأى بالحكمة والفهم، مكرسة لتحديد الإيمان المستقيم عن الله من ناحية، والوجود والموجود من ناحية ثانية، متطرقاً من خلال تلك العلاقة المتبادلة بين الخالق والمخلوق إلى علم الأخلاق. فهذب طبيعة معاصريه وأخلاقهم بكلام غاية في الفصاحة والفخامة، كلام لقب أخيراً «بالعبارة الموصلة السماويات إلى البشر». أعظم بالإنسان يخصص كلامه لنقل القداسة إلى مَن يحتاجها. فكم مرة انتفض القديس وقال «مَن يشك ولا التهب أنا». هكذا كان فاستحق نعمة الله المقدسة، التي لا تأتي إنساناً إلا إذا استعد لقبولها وتهيأ لاستقبالها في أعماقه ليعمل بموجبها.

غريغوريوس الثاولوغوس: كاتب لجم أقلام الكتاب بقلم معسول الكلام وهو كالنصال. فصيح في نثره، رقيق في شعره، طلي في خطابته، غزير المعرفة واسعها، سامي المعاني اللاهوتية عميقها، وبهذا السمو وهذا العمق استحق لقب «اللاهوتي». وفي عصره نظمت له الأشعار والتطويبات ودعي «كوكباً ساطع النور لا يضل، من فمه الناري تخرج معرفة شعاع الثالوث».

ركن عظيم من أركان الكنيسة، مخلص لها تمام الإخلاص فكاد أن يهجر كرسيه من أجل استقامة الإيمان. عين كوثرية تتدفق بالمياه الإلهية، بحّاثة في الثالوث الأقدس أذاع ما أراد الثالوث الأقدس إيحاءه. فهو المرجع، وهو الموئل الأكيد لهذا الموضوع حتى اليوم.

رئيس كهنة لا تشبهه إلا العين الساهرة، ومعلم لا يكتفي بإلقاء الخطب والمواعظ بل يقف أمام أولاده مثالاً يحتذى وقدوة يمتثل بها. نعم، إن أبناء الكنيسة الأرثوذكسية كنيسة «تعال وانظر» لا طريقة لهم في التعليم إلا المثل،

ولا وسيلة لهم للبعث إلا القدوة، فكن مثالاً وقدوة تصبح بالفعل أرثوذكسياً.

بهذا قهر غريغوريوس آريوس، بهذا صمد أمام كل عثرة فأزاحها مردداً على الدوام جملته المشهورة: «يجب السجود لثالوث في وحدانية، ووحدانية في ثالوث».

يوحنا الذهبي الفم: منارة للأرثوذكسية، صادق الأقوال، صالح الأفعال، لم يؤنب حاسداً ـــ مع كثرة حساده ـــ ولم يجرح مبغضاً عملاً بوصية من مات دون أن ينتقم. ـــ وما أهنأ حياة رجل ينسى الإساءة ويشفق على المسيء ـــ. على السدة الرسولية اعتلى شبه مرغم، تواضعاً منه، وعليها نسي العالم وملذاته والحياة وأفراحها وانصرف إلى الله الذي اختاره وكرسه منذ الصغر للمسيح وكنيسته. فلم يكن يأبه لقلة طعام أو نوم بل كان يود لو يمكنه العيش بدون جسد، كي لا يقطع الجسد مجرى أفكاره وتأملاته الروحية، ولهذا، لأنه كان ينظر إلى الله بقلبه ويعمل في العالم بيديه كما يشاء الله، أمست رعيته مختارة، وصار هو، هو نفسه كما نعرفه اليوم، بينما لو انصرف إلى غير ذلك لمات كما مات الكثيرون قبله وبعده.

وفي تعطشه للحقيقة كان يصلي من أجل الفقراء، وقد بنى ملاجئ للغرباء والعجز، وزار من يحتاج ليخفف عنه عبء حاجته. وعندما قضى في المنفى كانت وصية الذهبي كبيرة لا في الطول ولكن في العمق، كانت: المجد لله على كل شيء. وهل له أن يترك غير مآثر روحية؟

فقير بملء اختياره، عفيف إلى حد القداسة، منصرف تمام الانصراف إلى شعبه فلا يحزن منه أحد إلا ويحزن معه. وأينما كان وحيثما حل، كان الكلام كالدر يفيض من فمه فيعطي الدنيا جمالاً وصفاء نتمتع بهما حتى اليوم

وإلى الأبد.

لم تعرف الكنيسة حبراً أغزر من الذهبي الفم تأليفاً وكتابة، فمؤلفاته تعد بالمئات وجميعها دعوة ملحة واستغاثة حارة وطلب لاهب أن يلجأ الناس إلى الفضائل المسيحية وأمها المحبة التي إذا ما ابتعد الإنسان عنها انقلب من صورة ومثال لله، من كائن يحس ويشعر، إلى نحاس يطن أو صنج يرن دونما حياة أو وعي.

تلك أقمارنا الثلاثة، وأولئك أركان إيماننا الوطيد المبني على صخرة الإيمان يسوع المسيح، أولئك معلمونا الذين وقفوا لنا مثال إخلاص، مثال إيمان وتضحية، مثال علم وثقافة وأخلاق من المسيحية انبثقت وإلى المسيحية تنتهي. أنوار ثلاثة شعّت في دنيانا في عصر من العصور فقلبت دنيا الجهل إلى دنيا معرفة وجعلت من عالم العتمة والقتام عالم نور وإشراق. وفي عصرنا هذا إن لم نجد مخلصين لامعين كالأقمار الثلاثة فلا خلاص لنا إن لم نطمئن أن هنالك مساكن لنعمة المسيح منها نأخذ وبواسطتها نستنير فلا أمل لنا، إن لم نتعلم أن المعرفة الصحيحة هي معرفة الله، وأن العلم الصحيح يقود إلى الله خالق المتعلِم والمتعلَم، فلا عجب أن يسير بنا العلم إلى الدمار والاندثار.

التوبة*

الشماس اغناطيوس هزيم

التوبة. وما التوبة؟ تاب فلان عن العمل الفلاني تعني أن ذلك الإنسان قطع عهداً على ألا يعود إلى فعلته تلك وبما أن التوبة عادة تكون من أعمال شريرة فإننا نقدر أن نوضح معناها مع شيء من التعميم فنقول: التوبة تفترض وقوع حدث سيئ من قبل شخص، هذه هي النقطة الأولى. ذلك الشخص يعي سوء فعلته، هذه هي النقطة الثانية وأخيراً يعاهد ذلك الشخص الله أنه لن يعود فيما بعد إلى ما فعل. وأظن أن لا مهرب من التوسع قليلاً في كل من هذه النقاط الثلاث:

السقوط في الخطيئة: إن وقوع الخطيئة، لأمر اعتيادي تحدث منه الألوف والملايين كل ساعة وذلك لأسباب عديدة أهمها أن الإنسان بطبيعته قابل للخطيئة. نعم إنه مخلوق على صورة الله ولكنه ليس الله ذاته ولا شك بأنه أقل كمالا من خالقه إلى حد لا متناه، الإنسان ظِلٌّ للكمال أو على الأصح فيه ظل الكمال، أما الكمال نفسه فمستقل عنه جوهراً وحيث لا كمال بالجوهر، هنالك إمكان الخطيئة بالجوهر. غير أننا إذا ما قمنا بواجباتنا الروحية حق القيام فدعونا الله وسمعنا منه واقتربنا من القرابين المقدسة لتناول الجسد الكريم والدم النقي إذا ما فعلنا ذلك نكون قد أسقطنا الحاجز الذي يجعلنا بعيدين عن الله وإذا بنا في حضرة الخالق وإذا بالإنسان الظل للحق والكمال يصبح هيكلاً للروح، علِّية يصح أن يصنع السيد فيها الفصح مع تلاميذه.

*راديو لبنان، ١٩٤٨

ولكن الإنسان سيد الخليقة فإن أخطأ طبع العالم هذا بخطئه وإذا شذ ختمه بشذوذه. وفي كل زمان ومكان العالم يتحمل أخطاء الإنسان فبدلاً من أن ينبت له الخيرات للخير يستخدم الإنسان تلك الخيرات للشر فيكون خير الأرض وبالا عليها وبالا على الإنسان الموكول إليه أمر تكييفها. العالم يئن ويتوجع والإنسان نسي أن الخطيئة قد تراكمت أكثر مما يجب أن يكون ذلك فانقلب كل شيء إلى عكس ما كان يجب أن يكون. فالأخ يخاصم أخاه والولد أباه وأمه والجار جاره ولا يدري الناس لماذا يتخاصمون حتى انتهى بهم الأمر إلى الخصام على توطيد السلم. يا لها من مهزلة، يا له من تناقض فاضح. الطبيعي في العالم أن يتطور لا أن يتغير ويتبدل والطبيعي أن العالم يتكيف كما يشاء الإنسان وليس الإنسان حسب مقتضيات العالم. إذ العالم لا إرادة له بينما الإنسان مريد فاعل، والوضع غير الطبيعي هو وضعنا اليوم حيث ضاع المقياس الصحيح للحق. لم نعد ندري ما هو مقياس الصحة بينما المسألة محلولة منذ الخليقة. حلها الله في الإنسان لكي يحلها هذا في عالمه. نعم يجب أن يعود الكائن البشري إلى المنبع الإلهي دون أي تردد فيقوي صورة الله فيه ويقلب العالم حيث يعيش إلى مكان هو أيضاً فيه ظل السعادة. الحقيقة أن العالم يئس من نفسه فلجأ إلى التهرب من البحث في عالمه. ترك الصميم وها هو يرتطم بالدنيويات فإذا هذه كالماء كلما قبض عليه تملص من بين الأصابع.

وقوع الخطيئة ممكن سهل لوجودها في الإنسان وعالم الإنسان.

وعي الخير والشر: إن وعي الإنسان للخير أو الشر ضروري جداً لقيامه مع الأول ضد الثاني. والوعي تفتيش في نفس الإنسان عن الأدران والأكدار التي تشوهها، فهو عمل جدي ولذلك فهو يتطلب وقتاً مثل أي عمل ثان؟ فكم من

الوقت يا ترى نصرفه في عودة إلى أنفسنا ندرسها وندقق الدرس ونخرج منــــها بمعلومات صحيحة عنها؟

هل ننتقد أنفسنا من وقت إلى آخر؟ إذا كنت لم تع نفسك حتى اليوم، كل يوم، وإذا لم تكن قد وقفت منها موقف الرائي الثاقب فإنك لن تصل يوما إلى أن تقول: يا ابن داود ارحمني. إذا لم تر نفسك كفي مرآة فإنك لن تــشعر بالحاجة إلى مس هدب السيد أو القول له: «أخطــأت إلى الــسماء وأمامــك ولست مستحقاً أن أدعى لك ابناً»، أو «ارحمني يا رب فإنني رجل خــاطئ». وإذا لم تقل ذلك بعد وعي فأنت خاسر نفسك، وماذا ينفع الإنسان لو ربــح العالم كله وخسر نفسه؟ أن يجهل الإنسان الأشياء الخارجية الثانوية ذلك أمــر يمكن التسليم به، وأما أن يجهل ماهية نفسه فذلك غير مقبول. ولا يظنن البعض أن المقصود هنا من معرفة النفس درسها علميا ومعرفة تركيبها، كل ما أقــصد بذلك هو أن كل إنسان يعرف إذا كان صافي القلب سليمه حسن الطويــة لا ضغينة ولا حقد ولا حسد فيه، يعرف إذا كان لم يرتكب عملاً مشيناً، أم هــو على عكس ذلك. فالمطلوب إذن فطري وكل إنسان ذي سليقة سليمة يقــدر أن يعرفه.

العودة: إذا ما وعى الإنسان خطيئته قطع عهداً أمام الله على نفــسه ألا يعــود إليها. هذا هو الحكم، أو القرار الأخير الذي يصدره الإنسان الواعي على نفسه. هذا هو الباعث إلى القول "ارحمني يا رب أنا الخاطئ". كم مرة يقف الفرد منا عاجزاً أمام الوفاء بوعده، كم مرة نجد أننا تعهدنا بأشياء لا يمكننا القيام بهــا، والأهم من ذلك كله: كم مرة قطعنا عهداً على أنفسنا و لم نرد أن نتممه؟

إذا ارتكبنا الإثم مرة ثم عدنا إليه فذلك ينتج عن واحد من أثنين إما أن

يكون الإثم قد أصبح فينا متأصلاً والحالة إذن غير طبيعية وإما أن نكون مدركين إنه الإثم وأننا نقصد به نفسه وعندئذ نكون أثيمين بالفعل، وكلا الحالين يحتاج إلى إصلاح. إن العهد لا يكون باللسان لأن اللسان لا قيمة له إذا استقل عن المتكلم. يؤخذ الإنسان بكلامه لأن هذا الكلام يفترض وعيا من القائل ومسؤولية فكيف إذن بالوعد الذي يأخذه شخص في الهدأة العميقة، في التؤدة والسكون أمام الله ملك الملوك ورب الأرباب، كيف بالوعد الذي يقدمه الإنسان لربه وخالقه كأنه يعتذر عن جريمة اقترفها. والحقيقة أن كل خطيئة لا تتوجه إلى الخاطئ فحسب وإنما إلى الله نفسه لأن الشيء الذي يتشوه في الفاعل هو صورة الله فيه وليس اللحم والعظم اللذين يكونان مظهره الخارجي.

الزمان زمان توسل واعتراف. إن الرجوع إلى النفس ضروري في هذه الأيام ولا شك أنكم واجدون فيها ما لا تريدون فاعرفوا عناصر الأرواح الشريرة وتقدموا بخوف إلى الله طالبين الغفران والمسامحة. لا تخافوا إن الله غفور ولكن اعرفوا أنكم بحاجة إلى الغفران لمعرفتكم زلاتكم. لأن التوبة هي وعي السيئات التي فعلها الإنسان والتعهد أمام الله بعدم العودة إلى عملها. فزد حياتك خيراً على خير. السيد قادم فهيئ له مكاناً ليستريح، هيئ له غصن زيتون تلقيه أمامه، وقلباً إذا ما نطق يستحق أن يقول: «مبارك الآتي باسم الرب». هيئ له علية يقيم فيها الفصح مع تلاميذه.

هيروديا*

الشماس اغناطيوس هزيم

إذا كان التاريخ شاهداً صريحاً على ما حدث في مختلف نواحي الحياة، فإنه أيضاً شاهد على ما حوته الأيام من صراع بين الخير والشر وتفاعل حاد بين الحق والباطل. ذاك الصراع، وذاك التفاعل، يستمران طالما جيوش الباطل والشر فعالة تعترض الحق والخير وتعرقل تصاميمهما.

هيروديا، عندما يتردد صدى اسمها في أرجاء النفوس يصطدم بصدى صوت يوحنا القائل: «أمك لن تكون لهيرودس. إنها لأخيه لا له...» هيروديا عندما يتردد اسمها ترجع الأجواء صوت الخلاعة، صوت الإغراء، صوت الحث الشهوي والإثارة الغريزية الحيوانية، بينما يتعالى نداء الحق هادئاً غير أنه ثابت لا يرتجف ولا يتلكأ عن قول كلمة الناموس حرفاً حرفاً دون فتوى باطلة ومداورة ومساومة على الحق.

رقصة الموت:

هيروديا، قصتها ليست مجهولة: كان لهيرودس الملك أخ، ولأخيه امرأة جميلة له منها ابنة هي أيضاً آية في الجمال والأناقة. أخ الملك لا يزال حياً غير أن أخاه الملك يريد امرأته له. الناموس يمنع ذلك، يمنعه منعاً باتاً ولا يُغَيِّرُ الناموس مراعاة أو رشوة. يوحنا، سابق الرب، المبشر بقرب ملكوت الله والمعمودية بالروح القدس والنار، يوحنا حامل رسالة الناموس بإخلاص على كتفه يحس أن

* راديو لبنان، ١٩٤٨

هنالك شيئاً مهماً. في ضميره يشعر أن صوت الرب ينادي قـــائلاً «لا تبـــشر بالخلاص أحداً قبل نفسك. معمودية التوبة لك، قبل كل إنسان، فحـــذار يـــا يوحنا، حذار أن تحمل الناس أحمالاً ثقيلة ولا تمس تلك الأحمال بإصبع». يوحنا يشعر أن ذلك الصوت يقول له: الناموس ليس لك هو لله ومنه وليس لك الحق في أن تتصرف فيه كما تشاء ولا أن "تبيض وجهك" بتلطيخه وتشويهه.

وآن عيد ميلاد هيرودس، فسكر هيرودس بدلاً من أن يعي أنه عـــاش سنة يجب أن يشكر الله لأجلها، افتتح سنته الجديدة بفقدان وعيه، بتطرف يقع فيه تسعون في المائة من الأحياء في هذا العصر... وتتقدم هيروديا، ووشـــاحها روماني جميل فيه شِعْر ورقة، وتتمايل أمام الملك، وكأنها نشوى بخمر الفـــرح، فرح عيده السعيد... ترنح الملك وإذا به أمام الجميع وكلهم وزير وكبير يتعهد ويقول: هيروديا اطلبي، هيروديا ما تشائين فهو لك ولو نصف مملكتي. وتزيـــد هيروديا في رقصها غنجاً ودلا فتعكف على أمها تستمزجها الطلـــب فتجيـــب أمها: «ليقدم الملك لك يا ابنتي رأس ذلك العاتي، يوحنا، موضوعاً على طبـــق وتحملينه وترقصين...» حزن الملك، ولكن ذلك كان... ورقصت هيروديا ثانية برأس السابق الذي عرفه الناس جميعاً باراً، تقياً، قديساً، صالحاً أمام الله والبشر.

هذا، أيها الأحباء، ما حدث منذ قرون خلت في هذه البلاد وما يتردد كل يوم لا عندنا فقط ولكن في جميع أقطار العالم.

هيروديا داخل كل إنسان:

أينما كنا، نلاحظ أن كياننا يتأرجح بين قوتين: الأولى إيجابية تمكننا في الخير وتوطده فينا، والثانية سلبية تنتزع منا العنصر الإلهي. الأولى زيادة تحقيـــق لنا، والثانية هدم وتشويه لما نحن. أما العوامل التي تنصر عنصراً على آخر فعديدة

ولكنها لا تتعدى هيروديا:

هيروديا: عامل داخلي، عامل النشوة واللذة، عامل الراحة والركـــود، عامـــل الخمود والخمول الداخلي. هيروديا ترقص وتتمايل أمام كل إنسان ولكنـــها في نفسه تميس، وإذا بها تتجه إلى إرادته وتخرسها وإلى مصدر قوته فتحولها. هيروديا هي العاطفة، لا الإنسانية العميقة، بل الشعرية التفرجية الخارجية، هي من الحس لا من الشعور ولذا فهي تثبط وهي تقيد وتكبل وترمي: يوحنا على حق فيمـــا يقول ولكن هيرودس لا يتورع من الوعد ناسياً مسؤولياته أمام إغراء العواطف وإثارتها. كثيرون منا أيها الأخوة السامعون يستسلمون استسلاما كليا لفكرة ما أملتها هيروديا. كثيرون منا ينسون مسؤولياتهم إذا ما جاشت في أنفسهم عاطفة أو تحرك حس فإذا بهم يرمون بالحق جانباً. وفي التاريخ نزاع دامٍ بـــين الحـــق والباطل والضحايا يقربها الأول على مذبح الاستشهاد بينما الثاني يـــسخر مـــن القدر الذي أعانه ومن الإنسان الذي قرب له. العاطفية مرض متفش في أنفسنا ولذا فقد فقدنا إلى حد بعيد الشعور بالمسؤوليات، فبينما المدعوون بيننا كثيرون، المختارون قليلون. علينا أن نغير مقياس اختيارنا وأساس أعمالنـــا، وننظـــر إلى الصليب فنجد أن هناك رفع الحق دحضا للباطل، رفع الحق وإذا بالباطل يزهق.

العاطفة والعاطفية:

سبق لنا الحديث مرة أن قلنا بأن التغني بالمـــسيحية لـــيس المـــسيحية بالضرورة، وهنا نزيد: ليست العاطفية في الدين أمراً محموداً بالضرورة إذ أنها لا تؤدي إلى أن يترك الإنسان كل شيء ويتبع ربه، العاطفية في الدين عوم عليه لا انغماس فيه. أين من يقبل اليوم أن يُرفع رأسُه على طبق في سبيل الحق؟ هيروديا اليوم تزيد في غنجها ودلها في المدرسة والعائلة والمجتمع حتى وفي الكنيسة. وكل

هذه: المدرسة والعائلة والمجتمع والكنيسة بحاجة قصوى إلى أن تقطع رؤوس في سبيل الحق. إن الرقص، وهو للكثيرين عثرة وشك، يجب أن يدمى لأن الحق لم يعد يهاجم في الميدان وعلى رؤوس الأشهاد وإنما في الداخل من خلال العواطف حيث لا يعلم أحد ولا يرى ولا يشعر. إن الكنيسة اليوم لأحوج منها في أي يوم آخر إلى نزع هيروديا، إلى إبعاد العاطفية من القلوب ولا أعني بذلك إبعاد العاطفة المتأتية عن الشعور. لا الكنيسة فقط وإنما العالم في كل نواحي الحياة يتطلب بإلحاح أن يشعر الناس مع بعضهم البعض. والعاطفة الحسية هدامة، فردية، انعزالية لا يمكن أن تنسجم مع أي شيء لأنها، تحديدا، سور يحجب الشخص عن غيره، وأما العاطفة الشعورية فتلك يجب أن تسود لأنها داخلية صميمية روحية، تجريدية، عامة تشمل الجميع وفيها يتساوى الجميع...

هيروديا، إلى متى يا هيروديا تساورين الناس والحق ضحية المساورة تلك؟ إلى متى تأتين الخدور ومنها تخرجين والحاضرون سكارى بخمرك المعسول وإذا هم يدوسون الحق وبعدئذ يكتئبون؟ هل يسرك أن يرزح الناس عبيدا تحت النظر إليك والسماع لما تقولين، ويسرك بعدئذ أنهم مما يسرك يحزنون؟

هيروديا متى نعي أنك لست سوى تجربة: يوحنا —رافع علم الناموس— يموت وترقصين شامتة منبسطة الأسارير، وتنتهزين الفرص فتجعلين منا مجرمين بحق أنفسنا نضحي بما خلقنا لأجله: الحق؟

فتجيب هيروديا قائلة: مع أنه ليس في مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمدان فقد قبلتم أن يقتل. ساهمتم قديماً في القتل وأما اليوم... أين أنا منكم؟

الصوم*

الشماس اغناطيوس هزيم

في بادرتين من بوادر حياة الإنسان يظهر ضعفه: أولاً عند تكبره واكتفائه، وهذا مما يحد كيانه ويجعله فريسياً، وثانياً عند فرزه نفسه عن تراثه ومجتمعه ويكون إذ ذاك ابناً شاطراً، وإذا لم يتخلص من ضعفه بالاتضاع والصبر والمحبة فإنه سيُدان أمام المنبر الرهيب.

الدينونة مستمرة، والجحيم والنعيم، على الأرض يبتدئان، ولكنهما في السماء ينتهيان، والحياة الدنيا انعكاس وقتي للحياة الأبدية. وأما الإنسان فمسؤول عن كل ما يفكر ويعمل ويقول، وعن الشر الذي منه يتألم، وتكاد مسؤوليته تنحصر في عمل الخير مع إخوته أبناء الإنسانية لأن السيد يقول: «ما فعلتم باخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتم». على الإنسان إذن أن يحسن، والإحسان سماح روحي تعبر عنه اليد، سماح سابق لفعل الإعطاء وأكثر منه قيمة، سماح لا غاية له سوى رفع الإنسان المحتاج من حال ضيق إلى وضع أصح وأكثر إنماءً لإنسانيته، الإنسان غاية بحد نفسه وليس رأس مال يستثمر أو يتاجر به، وكل اعتبار آخر له هو نخاسة، أي جريمة.

سيداتي سادتي، هذا موجز ما قلته في الأسبوع الماضي وموضوعنا اليوم تتمة منطقية لما قيل أو حلقة من السلسلة من الخدم التي وضعتها الكنيسة الأم في بدء هذا الصوم. أما هذه السلسلة فتلخص في جملة واحدة كانت الكنيسة تقولها

* إذاعة بيروت، مرفع الجبن، ١٩٤٩/٣/٦

لأبنائها وهي: لا تكونوا فريسين لئلا تتضعوا في السماء، ولا أولاداً شاطرين فتتعذبوا، عودوا إليّ فأحضاني مفتوحة، توبوا لأن هناك دينونة، وإذا ما تبتم سمعتم من المخلص يسوع «تعالوا يا مباركي أبي» ولم تطردوا من ملكه السماوي كما طرد آدم وحواء في بدء الخليقة.

وموضوعنا اليوم طرد آدم وحواء من الفردوس.

نقرأ في سفر التكوين: «وأمر الرب الإله الإنسان قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها فإنك يوم تأكل منها تموت موتاً. وكانت الحية أحيل جميع حيوان البرية الذي صنعه الرب الإله فقالت للمرأة: أيقيناً قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه كي لا تموتان. فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، إنما الله عالم أنكما يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة، عارفين الخير والشر. انتهى الحديث. ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون، وأنها أمنية للعقل، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها أيضاً معها فأكل. وأخيراً قبل طرد آدم وحواء من الفردوس قال الرب الإله: هوذا آدم قد أصبح كواحد منا يعرف الخير والشر، والآن لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل فيحيا إلى الدهر».

فالحادثة بسيطة بمعنى أنه يمكن أن تقع حوادث أعظم منها بكثير، وعلى كل حال لكي ندركها بالضبط ونحكم عليها يجب أن ندرس تأويلها. هنالك تأويلان لقصة الخطيئة الجدية: الأول روحي والثاني مادي. الأول هو تأويل القديس غريغوريوس اللاهوتي أحد أقمار الكنيسة الثلاثة. ذهب القديس إلى أن الله أعطى آدم إمكانيات عديدة لدرس كل المواضيع العقلية الممكنة حتى

الانعكاف على درس نفس الإنسان، ولكنه حدد آدم من حيث أنـــه لم يمنحـــه القوة العقلية الكافية ليبحث جوهر خالقه، وطبيعته، و لم يعطه القوة الـــضرورية ليساهم في حياة الثالوث الأقدس. وإذا ما قصر الإنسان عن موضوع صـــمت وانفلت الخيال يصور ما يشاء والخيال منبع الوهم واصل التوهم. هذا هو التعليل النفساني الذي أعطاه القديس غريغوريوس. أما الخطيئة فوقعت هكـــذا. أوقـــع الشيطان الإنسان في دائرة تفوق عقله بعد أن أوحى له أنه إذا دخل تلك الدائرة يتأله، فإذا بالخيال يندثر وإذا بالحقيقة تتجرد أمام عينيه وإذا به خارج الفردوس بعيداً عن الله، الخطيئة إذن في نظر القديس غريغوريوس توهم الإنسان بإمكانية تألهه بدون الاعتماد على نعمة الله لا بل قسراً عن إرادة الله التي شاءت أن تعلّم الإنسان ما هو الخير.

أما التأويل الثاني فيكاد يكون هو المعروف بين الناس وخصوصاً ممـــن ليس عندهم الإطلاع الواسع والمعرفة الدقيقة للأمور الدينية. يذهب البعض إلى أن التفاحة هي اللذة الجسدية، وأن الخطيئة حصلت عندما شـــعر آدم وحـــواء بالحاجة إلى إرضاء غريزهما التناسلية، وكان ذلك فإذا هما يعرفان الخير والشر.

إن هذا التأويل خاطئ. «مغلوط» وعلينا جميعاً أن نترعه من أفكارنـــا. أما البرهان على خطئه فهاكموه من سفر التكـــوين. ففـــي الإصـــحاح الأول والعددين السابع والعشرين والثامن والعشرين يقول الكتاب المقدس: فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم: انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها. وهذا يدل على أن الزواج أمر مسموح به من الله لا بل مفروض على البشر بحيث أن من يقاومه يرتكـــب خطيئة ومن يشوهه يرتكب خطيئة عظمى.

فالخطيئة الجدية كانت في حال الإنسان الداخلي أثناء ارتكاب الخطيئة وقبلها لا في الطريقة أو الحادث الذي عبر عن ذلك الحال الداخلي. فقبل كل شيء إذن لنوقف حديثنا لا على القصة وإنما على تحليل نفسية الجدين الأولين بعد أن أغريا.

خلق الله آدم وحواء على صورته، وصورة الله حرية ومسؤولية، وكان من الطبيعي والبديهي أن يترك لهما حرية الاختيار بين عالمين: عالمه هو أي الفردوس، وعالم الملاك الساقط أي الشيطان، على أن يكون الإنسان مسؤولاً عن اختياره العالم الذي يشاء، ولكن الله سبحانه وتعالى أرشد الإنسان إلى ما يجب أن يفعل إذا أراد أن يبقى في الفردوس وحذره من شجرة معرفة الخير والشر ومن القبول بتدخل الشيطان فماذا حدث؟

أتى الشيطان فأغرى الإنسان وإذا بهذا الأخير يضرب بكلام خالقه عرض الحائط فينساه ويرمي بنعيمه جانباً ليقع في الهوة التي وقع فيها الشيطان عندما أراد أن يتأله دون أن يطلب النعمة من خالقه. فأهمية الخطيئة الجدية تنحصر في أن آدم الإنسان الأول لم يبق منسجماً مع إرادة خالقه بل انسحب عنه، انفرد بملء إرادته، فرز نفسه كما فعل الابن الشاطر، وإذا به في عالم أقل ما يقال فيه أنه غير عالم الله، انه غير الفردوس. ففي الحادث البسيط تمرد بملء الإرادة أو من الناحية الإيجابية رفض لما أراد الله. في تلك الدقيقة التي تمرد فيها الإنسان على الله، سقط وكان سقوطه عظيماً: الأرض تنبت له الشوك والحسك وإمرأته تلد أطفالها بالأوجاع وبكده وعرق جبينه يأكل خبز يومه. وكأن روحه نفسها قد طبعت بطابع أبدي فاسد فقد سقطت، هوى الإنسان بكليته: بروحه لأنها أرادت الخطيئة، وجسده لأنه نفذ تلك الإرادة المشؤومة.

نستنتج مما سبق ما يلي:

١ـــ بما أن الإنسان أخطأ بكليته روحاً وجسداً فإنه بكليته يحتاج إلى الخلاص، وبما أن محو الخطيئة الجدية لا يكون إلا بالمعمودية، فالمعمودية الصحيحة يجب أن تشمل الروح والجسد، وعليها هي أن تكون كما كانت معمودية المخلص حدثاً روحياً وجسدياً في الوقت نفسه.

٢ـــ بما أن الإنسان كان في الفردوس فلا عجب أن نـــراه يتـــوق دائمـــاً إلى الفردوس، إلى النعيم. ولكنه كلما اقترب من عالم الشيطان، عالم الإغراء والتفتح على مهيجات حيوانية ابتعد عن ذلك النعيم الذي فيه وجد.

فمن العبث أن نفتش عن النعيم على الأرض، إنه ليس هنا ولكنه فوق، ولن تصبح الأرض فردوساً، ولن ننتفع من الارتماء في أحضان الحياة متـــنعمين بالطعام والشراب والملبس، أو متلهين بين سكر ورقص وغناء. كل ذلك يبعدنا عن النعيم الحقيقي، كل ذلك لا قيمة له، والقيمة في أن تعرف أنك خلقـــت في عالم أنت لست له ولست منه وعليك أن تطالب عالمك الذي فيه كنت.

٣ـــ وبما أن عالمنا هذا الذي نخلق فيه عالمُ ألم وشقاء، وبما أننا لا نركن إليه لأنه ليس لنا فالألم عنصر ضروري لتذكيرنا بالعالم الذي فيه كنا. هدف الإنسان في الحياة نعيم الإنسان أعني السماء لا جحيمه أعني الأرض.

٤ـــ كلما تألم الإنسان في هذه الدنيا كلما تقرّب بذلك إلى الله. وعلينا أن نفهم قيمة آلامنا لا أن نتذمر منها.

٥. الألم وليد الصراع بين الخير والشر فينا ولهذا فنحن البشر فئات ثلاث: فئـــة انتصر فيها الخير فنعمت، وفئة هي ساحة للصراع، وفئة رزحت في المادة وقنعت

بها فقضت بذلك على نفسها.

فالخطيئة الجدية وصمة في الطبيعة البشرية أرادها الإنسان كما يريد اليوم الزنى والقتل والكفر والإلحاد بملء إرادته، وطالما الإنسان تحت طائلة تلك الخطيئة فلا خلاص له ولا نجاة. فالأرض شوك وحسك، والأولاد أولاد التمزق والتمرمر، والخبز يدفع ثمنه بالدم، وفي السماء جحيم لا يرحم.

الخطيئة تتجسد في الشر الساري في الكون، الشر الذي يكاد يملي كل شيء، وقد ساد في الإقطار واستولى على نفوس كثيرة حتى أصبحت تفعل الشر وتظنه الخير وترى الدنيا من خلاله فتندفع لتقلبها نعيماً فإذا هي للمخلصين عذاب وضنك.

نعم لقد طبعت النفس الإنسانية بطابع الخطيئة وهي في الأصل مطبوعة على الخير، فكأنها صفحة بيضاء لطخت بالسواد. وكل سواد في العالم انعكاس لذلك السواد، فإذا كان في عالمنا اليوم ما يدعو إلى الخوف فذلك لأن الإنسان أصبح ينقاد للطخة السوداء في نفسه، وهي وهو أعميان يقودان بعضهما ولا بد من أن يقع كلاهما في حفرة. فالإصلاح في العالم، وحل المشاكل من أرقاها وأسماها إلى أحطها وأدناها يتعلقان بحل مشكلة صميم الإنسان. باطلاً تظن أن مشاكل العصر اجتماعية أو سياسياً أو اقتصادياً. خاب ظن من يلجأ إلى إصلاح المسبّب الإصلاح يكون في السبب، الروح. إذ العالم آلة في يد الإرادة والعقل، إذن هو آلة يديرها الروح وفي هذا يكون الإصلاح. في الروح عنصر شرير يجب أن يزول وإلا فلا مناص من الشوك والحسك. وكيف يزول ذلك العنصر، «الحق أقول لكم إن هذا الجنس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة» يقول السيد له المجد.

وهكذا فقد وصلنا إلى الصوم وهو النقطة الأخيرة من موضوعنا اليوم.

ما هو الصوم؟ الجواب سهل على هذا السؤال: الصوم انقطاع عن أشياء يحبها الإنسان في الغالب لأنها ترضي شهوته أكثر مما تفيده، أشياء يحبها الإنسان لأنها طيبة، مثال ذلك اللحم والزبدة والسمك.

ما هي مبررات الصوم؟ للصوم مبررات عديدة منها:

هو عمل تقليدي، قلّدْناه ودبعة من المخلص الذي صام أربعين يوماً لم يتمكن بعدها الشيطان من التسلط عليه — هنا ألفت أنظار سامعي إلى أن الشيطان كثيراً ما يهاجم الإنسان فيما يشتهيه ويعز عليه الانتقاص منه — وبعد أربعين يوماً أتى الشيطان وأثار في السيد له المجد كل غرائزه ولكنها كانت قد ضعفت واستبدلت بقوة الروح فلم يقع و لم يتأثر بل تصلب في اتخاذه الرأي القويم وطرد الشيطان.

وهو عمل له قيمته الذاتية إذ أن الكنيسة ذات الرأي القويم، الكنيسة الأم فرضته على أبنائها علاجاً وحيداً لهم يخلصهم مما يتطلبه الجسد وما تتطلبه الغرائز والملكات النفسية التي تقوم على قوة الجسد. ويهمني الآن أن أذكر أن الصوم كما فرضته الكنيسة ليس سوى الحد الأدنى لما تطلبه الكنيسة من نفس لخلاصها فإن كنت سارقاً فصيامك لا قيمة له إذا تابعت سرقاتك وأكلت الزيت دون السمك، وكذلك أقول إذا كنت مقامراً أو سكيراً أو فاسقاً. يجب أن تذكر دائماً أن الصوم دواء لا لإضعاف جسم الإنسان ولكنه سبيل إلى إزاحة الشر من داخله.

وأخيراً الصوم ذو قيمة نفسية كبرى لأنه عمل إرادي ضروري بواسطته

يختبر الإنسان مدى تسلطه على نفسه ويمكنه من التأكد أن نفسه ملكه وليس ملك الغرائز أو الميول التي تزعم بعض النظريات الحديثة أنها العامل الأول في تكوين شخصية الإنسان، «ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه».

وأخيراً من جملة الأشياء الكثيرة التي يمكن للصوم أن يكونها: إنه موقف يجب أن نتخذه من المسائل الاقتصادية عامة: كما أنه ليست هنالك مشاكل روحية وأخرى إدارية كذلك ليس هنالك مشاكل روحية وأخرى اقتصادية وإنما الحاجة الماسة أن تتهذب الروح فتسكب من تهذيبها على المادة وتكيفها وإذا بهذه المشاكل كلها تسقط من تلقاء نفسها لأن أمام الروح ليس من عثرات فهي تثب عنها ولا تعترف بكيانها، هي لا تعترف بوجود معادل لها في العالم بل ترى فيه حقلاً للعمل، للتهذيب، والتشذيب.

الصوم نَصْر للروح على المادة، وعلامة توبة صادقة. الصوم ارتفاع جدي فعلي نحو الروح الله الذي لا يعرف مادة. الصوم رحمة للإنسان أرشده الله إليها وسكبها عليه فإذا به يصبو إلى الكمال ويجتهد كي يصل إليه. إنه جهاد ضد الشر الكامن فينا وربيع للنفوس التي إذ تتحرر من قيود الجسد تلجأ إلى المصدر الذي منه انحدرت والموئل الذي إليه ستعود.

آلام فقيامة*

الشماس اغناطيوس هزيم

أيها الأخوة، قامت قيامة رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب عندما رأوا أن ذلك الإنسان يعمل ما لم تسمع به إذن أو تره عين، وراح الجميع يضربون أخماساً بأسداس ليجدوا حلاً لقضية الناصري. وبعد حين أقروا موته على الصليب مثل سائر المجرمين. وماذا كانت جريمته؟ كان مجدفاً أمام رئيس الكهنة لأنه قال: أهدم هذا الهيكل وأبنيه في ثلاثة أيام، وكان مدعياً لأنه دعا نفسه ملك اليهود، ولم يكن لطيفاً مع الحكام أي أنه لم يخف الحق ليقول: لهذا لك كل سلطان عليّ، ولذاك رأفة بي لم أفعل شيئاً. الصلب، ذلك كان مصير جسد الرب، بين مجرمَين علق مقتبلاً اللعنة من أجل الحق الذي له يشهد، وأبناء الحق الذين لأجلهم أتى على الأرض متجسداً. لا بدع أن يحدث ذلك لأن ابن الإنسان لهذا أتى إلى العالم والعالم ساقه كالخروف إلى الذبح وهو، هو لم يفتح فاه، لأنه لو قاوم أو تململ فكيف كانت الكتب تصدُق وقد قيل فيه ما قيل؟

لم يفتح فاه إلا ليقول للآب وهو في إبان المرارة والتمزق على الخشبة: «يا أبت اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون» آه لو درى أولئك العسكر أن الجنب الذي يجرحون هو جنب الطريق والحق والحياة وأن اليدين اللتين يثقبون هما يدا ذلك الذي قال: وابن الإنسان أتى ليموت وفي اليوم الثالث يقوم. لو درى أولئك العسكر ذلك لكان فيهم رفق ورويّة وكانت حرابهم ونظراتهم أقل أحكاماً وأخف وقعاً.

* راديو بيروت، أحد الفصح، ٢٤ نيسان ١٩٤٩

ولما قال: «يا أبتِ في يديك أستودع روحي» شاهد العسكر الصخور تتفطر والرعود تقصف، القبور تنفتح، والأموات يقومون والهيكل، حجابه يتمزق من أعلاه إلى أدناه وكأن سيفاً قاصماً قد شطره إلى نصفين. قام بعض الأموات عند صلب المخلص ولذا فالشعوب ترنم: «يا رب، إن صليبك هو حياة، وقيامة لشعبك». كثيرون، يقولون حاشا للمسيح الإله أن يتألم هذا التألم، حاشا للإله أن يذل إلى هذا الحد. من يقول هذا القول لا يعرف الوجه الصحيح للسيد المسيح. نحن لا نقدر أن نفهم عظم الإله إلا إذا تصرّف إلهياً لا إنسانياً. يسوع تنازل وتجسد واتضع وتألم وخدم، ولو جلس على عرش مُذَهَّب الأطراف وارتدى ثوباً مزين الأهداب وتنعم وغني وسعد لكنا قلنا هذا إنسان إنسان لا يختلف عنا فهو يظهر كما نظهر ويتعظم كما يفعل كبار أبناء الناس. حاشا للإله أن يلجأ إلى أساليب بشرية كي يظهر ألوهيته. في دنياي هذه عن الصالحين لا يريد أحد أن يموت فالمسيح الذي مات عن الأثمة وكلنا منهم ليس إنساناً. المسيح إله. في دنياي هذه المحبة دليل ضعف وخذلان ولكن المسيح الذي أخرس قوة السلاح ومعسكرات الأمم بالمحبة وحدها ليس إنساناً، المسيح إله. في دنياي هذه إن آلمني أحد ولو عن حق أتمنى له الألم ولكن المسيح الإله بعد آلامه المريرة قال عن صالبيه: «يا أبتِ اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون». المسيح ليس إلهاً فقط وإنما الإله الواحد الأقنوم الثاني المتجسد لخلاصي أنا الإنسان، لخلاصنا نحن البشر، الإله الذي نزل إلى أسافل الجحيم فخلص منه كل المأسورين منذ آدم إلى آلامه. المسيح هو الإله الذي وعد أنه سيقوم في اليوم الثالث من القبر كالفجر يشق حجب الظلام والعروس تبرز من خدرها وكأنها مخلوقة حديثاً. المسيح قال سأنقض هيكل نفسي وأبنيه في ثلاثة أيام، نعم بناء الرب شامخ يناطح السحاب رأسه مرتفع إلى السماء. شمس الحق هو سيشرق

من العتمة كالصلاح من الخطيئة، والسرور من الكآبة. آنئذ سماء جديدة، وأرض جديدة.

المسيح قام من بين الأموات، قام المسيح منتصراً بعد أن داس الجحيم وحطم قيوده. الموت، تلك القوة الجبارة التي ينكب أمامها أقوى أقوياء العالم، تلك اليد التي لا يفلت من أصابعها أيّ كان بالغة قوته ما بلغت. الموت ذلك الملك الذي إليه تسير الملوك والرؤساء وليس لهم من يعينهم، الموت يتبعثر أشلاء ويتفتت مثل مياه البحر على الصخر المسنن. انتظر أرضاً فصادف سماء، انتظر ضعيفاً كما تعود فصادف قوياً على غير عادته. فكان انكساره حقيقياً أخيراً. كل نصر انكسار في هذا العالم لأن الموت يؤدي به وبعزه والنصر لا يكون حقيقياً إلا وراء العالم، بعد الحياة الدنيا. والمسيح وحده قبل الآلام في هذا العالم لتنجلي قوته في العالم الآخر. المسيح ملك منتصر ولكن ليس كسائر الملوك. ملوك الأرض يقتتلون لينتصر أحدهم على الآخرين فسبل اقتتالهم فانيه، وغايات اقتتالهم فانيه، وهم ونصرهم فانون، أما الرب فيقاتل العدو المطلق الخالد: الجحيم، وسلاحه لن تقوى عليه الأيام أو الأمكنة: المحبة، وغايته خلاص الإنسان وقيامته لا في عالم عابر وإنما في العالم الأزلي الأبدي، عالم السعادة، مملكة الله. المسيح منتصر لا بالسيف بل بالوداعة ولذا فلن يفهم نصره الذي له نعيد إلا الذين يأتون إليه بوداعة الحمل وطمأنينة من عمل وحقق. بتلك الوداعة، وتلك المحبة المسيح يغلب العالم، لأن المسيح يقود إلى البقاء والعالم إلى الفناء.

أخي السامع الكريم. إن هذا هو اليوم الذي جعله الرب لنفرح فيه ونتهلل لأن هذا اليوم يوم ظفر لنا. لقد ديس الموت، ذلك السلطان المخيف المريع، لقد أشرقت الشمس بهية بنور العدل ونفض كل شيء عن نفسه غبار

كيانه العتيق. اليوم انتصرت أنت وأنا وصرنا مؤمنين أن الموت فقد روعته وأصبح عبوراً بين عالم فانٍ وعالم خالد. اليوم لم يعد مبرر للأحزان لأن العدو الأكبر قد سُحق وملك الرب إلى كل الأجيال. ألسنا جسد الرب؟ ألسنا أعضاء منه؟ ألسنا نسير كما يريد الرأس؟ فلتفرح الأعضاء وتبتهج لأن الرأس يلمع بنور الألوهة، ويتسربل حلة المجد ويتحدى حجر القبر وحراسه والملوك والأمراء وجميع من يعظمهم الناس إن باسمهم الخاص أو باسم من يمثلون.

الكنيسة اليوم جذلى، فرحى بقيامة الرب، الملائكة في السماء تصرخ: «المسيح قام ــ هللوا لله» والمؤمنون على الأرض يتصارخون «المسيح قام ــ هللوا لله». «قام المسيح»، المجد لقيامتك المقدسة. فليترنم كل إنسان معنا، وليخرج الكلام حلواً من فمه: حقاً قام. حقاً قام.

مجمع إلهي*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

تعيّد الكنيسة اليوم للآباء الذين اجتمعوا في المجمع المسكوني الأول في نيقية في السنة ٣٢٥ ميلادية. وكان بينهم الأسقف والكاهن والشماس وحتى العلماني. ولكن الجميع مدعوون آباء للكنيسة بمعنى أنهم أنجبوا في الكنيسة أولاداً هم نحن الذين نحيا بعدهم في التاريخ ونستقي من تعاليمهم الكنوز العميقة الغنية في معرفة الأمور الإلهية.

كانوا آباء كما تدعوهم الكنيسة. وعند الأب محبة وسلطان — لأنهم أحبوا كنيسة المسيح على أنفسهم ووضعوا أنفسهم في خدمتها. لم يستخدموها ولم يشردوا القطيع وينصرفوا إلى فُرشهم ينامون براحة البال وملء الاطمئنان. لا لم تتحجر قلوبهم أمام شعب الله يهاجمه الأعداء وينالون منه مقتلاً. ولكنهم غادروا بلدانهم حيث دعاهم الله إلى رعاية خرافه إلى القسطنطينية البعيدة، همهم الدفاع عن الحق والذود عن الحقيقة الإلهية الموحاة.

في الأب — كما قلنا — محبة وسلطان والمحبة ينبوع غزير كلما أخذت منه ازداد تدفقاً وازددت أنت غنى وكثافة. من الصعب أن نعلل الجفاف الروحي والفقر الداخلي سوى بفقر في المحبة وجفاف في المحبة. وإذا كان أبي لا يفيض علي محبة فإن أبوته لا تعني لي شيئاً. لن يربحني بأني ابنه في اللحم والدم. وإذا كان أبي لا يحبني فكيف يطلب منه إرشادي وتوجيهي وكيف يطلب مني أن

* راديو بيروت، أحد الآباء، ١٩٥٤/٦/٦

أقبل إرشاده وتوجيهه في حال حدوثهما. هؤلاء الآباء ما كانوا كذلك. هؤلاء كانوا «معسكراً إلهياً شريفاً» هم فيه قواد خَدَمة يحملون راية المسيح ويبذلون في سبيلها كل ما أعطوا من قوة وأوتوا من عزم. هؤلاء الآباء ما كانوا كذلك، وكان عندهم مع المحبة سلطان.

كل سلطة لا تتخذ المحبة وسيلة زائلةٌ حتماً ومنقرضة. والزوال والانقراض هنا لا يعنيان بالضرورة إمحاء من الوجود، فكم من المؤسسات زالت بزوال صفاتها وخصائصها وبقيت كتلة من الجماعة متحيرة في وجودها متبرمة به. حتى الحق، في ثورتي لا أريده إلا إذا أتاني في لباس المحبة فسلبني حريتي وأصبحت به ذلك السليب السعيد. لا سلطان بدون محبة. وفي الكنيسة لا شيء بدون محبة فكيف بالسلطان نفسه. الآباء القديسون إن كانوا ذوي سلطة فلأنهم أحبوا الكنيسة وأحبوا كل في أخيه رئيس الكهنة أو الكاهن أو الشماس ورأوا فيه الآلة التي يستعملها الله ليقول كلمته في مخلوقاته البشرية ويحقق مشيئته. تقول الترنيمة في الآباء: «إنهم قد اقتبلوا مصباح الروح القدس العقلي بجملته وبنتيجة ذلك نطقوا بقول الوحي بكلمات وجيزة وفهم غزير آخذين عن الاعتقادات الإنجيلية والتراث الديني إذ أنهما معلنان من العلاء». فهم في نظر الكنيسة التي تعيد لهم جماعة اقتبلت الروح ومصباحه بجملته. وهذا يعني أنهم لم يهتموا لما يقولون أو يفعلون بل الروح يفعل فيهم بدون أي تحفظ. لم يكن الآباء من الجماعات التي تفكر سياسياً ومصلحياً في الكنيسة. لم يكونوا ليحوكوا للروح القدس فخاخاً من التدابير الإنسانية والروية الخادعة والمراعاة العاطفية. كانوا إذا استوحوا الله سألوه أن يكون في أساس أعمالهم لا أن يأتي في آخر المطاف يبارك ما صنعت أيديهم. موقفهم أمام الروح موقف اقتبال وشكر لا موقف حنكة أو

عدم اكتراث.

ولما كانوا كذلك فقد اتبعوا في تفكيرهم الطريق القويمة التي رسمتها الكنيسة لكل من يريد أن ينتصب أداة للتعبير عن تعاليمها. وهذه الطريق خطوات:

الخطوة الأولى: أن تقتبل الروح القدس بكل انفتاح وبدون أي تحفظ. وبكلمة واحدة أن تصمت ليتكلم وتنسحق ليتمجد.

الخطوة الثانية: أن تنطق بقول الوحي لا بكلامك أنت لأنك إن كنت في الكنيسة أباً فذلك لأنك تختفي وراء كلمة الرب وتستتر تَستُّر العبد خَفَراً واحتراماً عند مرور سيده. والناس يعرفونك حاملاً للكلمة وإياها ينتظرون منك لا غيرها.

أما كيفية النطق بكلمة الوحي فتقول عنها الترنيمة إنها يجب أن تكون «بكلمات وجيزة وفهم غزير». فإذا كنت لا تقدر أن تفعل هذا فإنك تسيء إلى الكلمة. على كل حال، الفهم الغزير لا يأتي عفواً وثمنه ليس رخيصاً كما يظن الناس.

الفهم الغزير لا يكون كذلك إلا إذا أُخذ مباشرة عن الاعتقادات الإنجيلية والتراث الديني. وهذه هي الخطوة الثالثة. أما الاعتقادات الإنجيلية فلا تقدر أن تعرفها بالصدفة ولا هي بالحزازير.

عليك بقراءة الإنجيل ودرسه، وهكذا كان الآباء يفعلون إذ كانوا آباء. وأما التراث الديني فهو بدوره لا يمكنك التطفل عليه تطفلاً. التراث الديني هو معرفة وعلم فإما أن تعرف موضوع اجتماع المجمع المسكوني الأول مثلاً وإما أن

لا تعرف، أو كما قال الآباء: «إما أن تعرف إيمان الكنائس أو لا تعرف» وهذا أيضاً لا يكون في مصف الخزازير.

«إن لم تأكل معي، فليس لك معي نصيب» وإن لم تـــرتم في التـــراث فإنك تخطئ الطريق.

وتنتهي الترنيمة بهذا التأكيد الرائع: «إذ أنهما معلنان من العـــلاء». إذن فاسترشاد الكتاب المقدس والتراث الشريف هو استرشاد من في العلاء، أبي كل إلهام وكل وحي. وهكذا فإن آباءنا كانوا في المرتبة الأولى أولئك الذين يسألون الله ما يريد.

أيها المستمع الكريم، إذا كانت الكنيسة تعيد اليوم للآباء فلأن مثلـــهم خصب من الوجهة الروحية وخصب من الوجهة العلمية.

كانوا نفوساً قدمت نفسها للرب دون شرط وعقولاً انفتحت للإلهـــام انفتاحاً كلياً «كانوا نجوماً نيرة وأبراجاً منيعة، أزهاراً عطرة الأريـــج وأفواهـــاً للكلمة كلياً تذهبها».

صياد البشر وصياد السمك*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

«هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس. فتركا الشباك للوقت وتبعاه». هذا ما حدث عندما رأى يسوع على بحر الجليل أخوين هما سمعان الملقب بطرس وأخوه اندراوس. «ثم جاز من هناك فرأى أخوين آخرين وهما يعقوب بن زبدي وأخوه يوحنا.. فدعاهما وللوقت تركا الشباك وتبعاه». (متى٤: ١٨–٢٢).

يرسم الإنجيل أمامنا لوحة جميلة: بحر عميق كالحياة، يضم حلاوةَ الحياة في رقة مائه وصفائها وصخب الحياة في أمواجه الزاخرة التي لا تني تهاجم الشاطئ وكأنها تتمنى بَث فكرة جنين، ولكنها تعود نادمة حانقة كي تعيد الكرة إلى ما لا نهاية. بحر كالحياة وما الحياة سوى حركة وولادة وإنتاج. بحر كالحياة الدنيا عبثاً تنظر إلى آفاقها البعيدة إذ يستوي فيها العلم والجهل، والقدرة والضعف، آفاق كلما اقتربت منها ابتعدت عنك. أما حاضرك فقعقعته تصم الآذان روحةً وجيئةً وتغيّرٌ مستمر يبهر الأنظار.

ويطل على هذا البحر فئة قليلة من الصيادين كرهوا البشر وأحبوا البحر وحنوا إليه ليل نهار يستطلعونه جوفه السحيق ويلحقون بأسماكه كي يلتقطوها. ميزة الصياد صبره وثباته ففي ليلة يصطاد سمكاً كثيراً وفي ليال ينقضي الزمن فترات وهو يلقي الشباك ويجتذبها إليه فلا يجد فيها سوى بضعة من الحجارة.

* الأحد الثاني للعنصرة، ١٩٥٤/٦/١٧

وميزة الصياد أنه ينصرف بكليته لعمله ويعشقه فلا يرتد عنه إذا احتدمت الشمس ولا يرتد عنه إذا ألب الصقيع جيوشه وانقض فتصطك له الأسنان وترتعد الفرائص. وميزة الصياد أنه إذا سار إلى البحر لا يحمل معه سوى الضروري البسيط لأنه ينسى نفسه في عمله، وكم مرة غفل عن موعد طعامه حتى اجتُذبت الشباك إلى الشاطئ وبسطت وأخرج منها صيدها. أما عين الصياد فلا تعرف الوَسن ولا تألف النوم. جسد الصياد يشكو عينه باستمرار لأنها لا تُغمض وإن أُغمضت فلوقت قصير. هل رأيت الصياد يخترق المياه بشعاع بصره؟ إذن لو تمكن أن ينقلب عينين وذراعين لفعل.

هذا الصياد الصبور، المثابر، العاشق عمله، المتقشف، ذو العين المفتوحة أبداً، هذا الصياد هو ذاك الرجل الذي أحبه يسوع فدعاه قائلاً: «اتبعني، اتبعني إلى مغامرة لا تقل عن مغامرتك هذه. أمام البحر قد تقضي الليالي تصيد حجارة، وأمام الحياة قد تقضي من عمرك القصير أمداً غير قصير تفشل في صيدك. اتبعني، احمل صليبك واتبعني».

هذا الصياد سيصبح صياد الناس،كما يقول يسوع، وبحره بحر العمر بنفسه. هذا الصياد يصبح رسولاً يفوه بكلمة الله أمام البشر ليقتنصهم من العالم ويرفعهم إلى شطه الأمين، شط النعمة والمحبة والإيمان. أولئك الذين قال لهم اتبعني: لم يترددوا. لم تكن عندهم حقول ولا قصور ولا أهراء لا تتسع لمواردهم حتى يقولوا له: انتظر يا صاحبي سنتبعك بعد وقت، أو يقولوا له: أمجنون أنت؟ كيف نترك كل هذه ونتبعك، هذه الخيرات ماذا تريد أن نفعل بها؟ أو أخيراً يقولوا له بشيء من الاقتناع: نعم يا سيدي سنتبعك ولكن بالروح (الروح وعالمها هو اليوم المهرب من عالم المسؤولية والواقع).

أولئك ذوو القصور والحقول والأهراء ليسوا ممن دعاهم المسيح أيام بدأ رسالته على الأرض. ومن يدري ربما كان ذلك مقصوداً حتى يعطي رسوله صفات الصياد، الصياد الذي وصفناه.

الرسول، رسول المسيح صياد يسمع صوته قائلاً: اتبعني فيترك كل شيء ويتبعه. فكأن كلمة «اتبعني» هذه حديث طويل لرسول المسيح يقول:

«يا رسول المسيح أو يا خليفته تذرع بصبر الصياد. النرفزة والحنق واليأس ليست من صفاتك فإما أن تكون صبوراً وإما أن تعود إلى شباكك الأولى. اصبر واثبت فإن الصبر والثبات دليلا إيمان قوي بأن مرسلك لا يريد أن يتلاعب معك أو بك. ألقِ شباكك اصطدتَ أم لا، ألقِ الشباك فما أنت سوى العبد البطال أمام سيدك.

يا رسول المسيح أو يا خليفته أحب رسالتك وهي مسيحك حبَّ الصياد صيده. عندما يحمى الحر لا تنثنِ عن التفكير بشباكك. غيرك يفتش عن راحته وأما أنت فلا راحة لك. وعندما يشتد الزمهرير لا تنسَ الشباك. حذار أن يغيب عن ذهنك أنك صياد ولست مفتشاً عن وسائل الدفء والعيش. فإذا أثر فيك البرد والحر وحطا من همتك في الصيد، فاترك الشاطئ. وارتمِ في البحر فما أنت سوى سمكة كسائر الأسماك، دع الصيد لغيرك واذهب إلى الفيء وتفيأ.

ويا رسول المسيح أو يا خليفته، تعلم نسيان نفسك يا حبيبي. إذا توجهت إلى تأدية رسالتك فلا يثقلك الزاد ولا العتاد ولا الغنى ولا الجاه لأن البحر كثيراً ما يطلب منك أن تنزع عنك كل لباس وتتعرض للشمس عرياناً. البحر ليس أشد منه، وليس كل إنسان أهلاً لمواجهته. وستجد في الصيد أنك في ساعة الخطر ستفتش عن خلاص نفسك قبل كل شيء. لا عن زادك وعتادك

أو غناك أو جاهك، هذه تُكَوِّن وزناً يشد بك إلى الأعماق يا رسول المسيح أو يا خليفته.

أما عينك، يا رسول المسيح أو يا خليفته فلا تغمضها. شاطئ البحر ليس مكانَ النوم، لك الفراش لا شاطئ البحر إذا كان يستعبد الوسن عينك، الإنسان كله عين والحياة والموت في النهاية عين مفتوحة وعين مغمضة، عينك افتحها.

يا رسول المسيح ويا خليفته اتخذ صفات الصياد كما اتخذت أنا الصيادين وتعال اتبعني فأجعلَك صياد الناس. وإلاّ فلن تترك شيئاً وتتبعني، على العكس ستأتي إليَّ ومعك كل شيء وتخنقني.

احبك بسيطاً، غاية في البساطة، صياد سمك. يا رسول المسيح وخليفته».

في كنيسة المسيح*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

شمولية المعمودية:

آخر الأسرار التي تحدثنا عنها في هذه السنة كانت المعمودية. وفي حديثنا عن المعمودية قلنا إنها الشرط الأساسي أو الخطوة الأولى التي يجب أن يقطعها المريد لكي ينتمي إلى الكنيسة وإنها تتميز بكونها ذات صفتين متناقضتين: هي أولاً موت وثانياً حياة أو على الأصح كان يجب أن نقول: المعمودية موت فحياة أو قيامة، وفي ذلك نحن نعود إلى الفكرة التي نجدها في رسالة بولس الرسول إلى الرومانيين حيث يقول إذا كنا غرسنا معه على شبه موته. نكون على شبه قيامته أيضاً قيامة. في فكرة الحياة نفسها شيء من التطرف، تطرف بمعنى أن الإنسان لا يمكنه أن يكون حياً أم لا والمعمودية كذلك كونها حياة يطرح أمامنا مشكلة كوننا مسيحيين بكليتنا أم لا. ليس هنالك حال تدعى الحال بين بين. وهذه الحال بين بين هي بدورها مفقودة فيما يخص المعمودية.

في العملية الأولى التي تطلب من المريد أن يدخلها تواجهنا الكنيسة بحدث ذي صفة كلية شاملة. المعمودية حدث شامل كما أن الحياة، كما قلت، لا تحيا إلا بشمول، ولا يمكن أن تفهم إلا ككل.

والآن إذا ألقينا نظرة إلى الإنسان يجد نفسه ذلك الكائن الذي تطلبه الكنيسة بكليته حتى يدخلها وجدنا أنه هو بدوره كل. إذاً لا يمكن للإنسان أن

---

* ١٩٥٤

يكون في نصف حالة من الحياة: لا معنى لنصف الشر، لا معنى لنصف الخير، لا معنى لنصف الحنق كما أن لا معنى لنصف الصداقة. الإنسان إذن كُلٌّ في سيره نحو الحياة، ولذلك فإن هنالك تشابهاً بين الطبيعة الكلية للعملية التي تطلبها الكنيسة منا عند دخولنا إياها وطبيعة الكائن الذي سيدخلها والذي هو نحن. الإنسان كل، عبثاً قولنا: أنا كممثل للهيئة أقول ما أقول وأنا كشخص يحس ما أحس وأقول ما أقول. ذلك لا شك لا يعطي الصورة الصحيحة عن كوننا بشراً وكوننا إنساناً بكليتنا. إذن في بدء مسيحيتنا وكما رأينا في هذه السنة سير كل إلى كل: الكل الأول هو الإنسان، نحن، والكل الثاني هو الكنيسة.

والطريق التي ترسمها لنا الكنيسة هي بدورها كلية، شاملة. يمكننا إذا كنا نمثل هيئات مختلفة في المجتمع وإذا كنا نتكلم على صعيد لا شخصي أن نقول أنا ممثل للهيئة الفلانية لا للهيئة الفلانية الأخرى. ولكن في قدومنا إلى الكنيسة وفي دخولنا إياها لا يمكننا إلا أن نكون بكليتنا فلا يجوز لي أن أكون مسيحياً في سلوكي مثلاً وغير مسيحي في سياستي كما أنه لا يجوز لي أن أكون مسيحياً في سياستي وغير مسيحي في حياتي الخاصة. الكنيسة تدعونا، وهي كل، إلى السير بطريقة كلية نحو الحق، نحو الحقيقة. واسمحوا لي أن نتساءل هذا المساء، باختصار مطلق، عن ماهية الحق وماهية الحقيقة.

ما هو الحق؟

عندما يحدث إنسان إنساناً آخر يقول له لي حقي ولك حقك. والحرية كما تقول الديمقراطية مثلاً هي ألا يتجاوز الإنسان حقوقه إلى حقوق الآخرين فكأن هذه الفكرة عن الحق تجعل مني ومن غيري كائنين على تساويهما في الحقوق وفي العيش خصمين يتصفان بالتقابل. أو بكلام ثان الحق إذا شئتم

تطرح مشكلته بيني وبين غيري إذا كان هنالك خوف من أن يتجاوز غيري نفسه إلي أو أن أتجاوز نفسي إليه. أظن أننا لا نغالي إذا قلنا إنه في فكرة الحق في الأساس يوجد شيء من خوف الإنسان أخاه الإنسان. والخوف، الخوف يتنافى والمحبة. الخوف يفرض أن فلاناً، في ساعة من الساعات، يمكنه أن يصبح خصمي، ولذلك فعلي حل مشكلتي وإياه بفصل حقوقه عن حقوقي. والحق قانوناً هو وضع حد بين ما يخص الآخرين وبين ما يخصني أنا. من هذه الفكرة البسيطة نقدر أن نرى بشيء من الوضوح كون الحق القانوني سلبياً، سلبياً بمعنى أنه يفصل بين شخصين إذ يفكر بالشخصين من حيث أنهما سيتجاوز كل منهما نفسه إلى الآخر. قلت هنالك فكرة الخوف هي التي تبطن فكرة الحق وأزيد فكرة ثانية فأقول هنالك فكرة الخصام وهذه هي بدورها تتنافى والمحبة وهي أيضاً تبطن فكرة الحق هذه. خوف وخصام هما الفكرتان الأساسيتان مع أنهما يعبر عنهما بعبارة حب العدالة، هاتان الفكرتان تكونان الأساس لفكرة الحق.

الكنيسة تقود إلى الحق ولكن هل تقود إلى هذا الحق؟ لا أظن. لو كانت الكنيسة تقود إلى هذا الحق لانقلبت هيئة تشريعية في المجتمع الإنساني وما كانت الكنيسة هكذا في تاريخها. لو كانت الكنيسة تدعو إلى حق من هذا النوع لما بقيت إنجيلية إذ إن الإنجيل يتجاوز الحق إلى ما بعده. عالم الإنجيل وهو عالم الكنيسة لا يطرح مشكلة ما يجب أن يكون كذلك. عالم الإنجيل لا يكرس هذا الحق. واذكروا أن الرب يسوع عندما جاءه شاب قائلاً تعال يا معلم اقسم الميراث بيني وبين أخي، قال له يا صاحب من أقامني حاكماً عليكما. ويمكننا أيضاً أن نأخذ مثل الزانية عندما أتى المسيح ووجد اليهود مجتمعين حولها والجميع يودون رجمها وقف موقف إنسان لا يحب أن يدين. وفي الواقع لم

يدنها. فموقف المسيح، على الأقل في هذين المثلين، لم يكن موقف قاض ولا موقف الحاكم. بالعكس كان المسيح يبعد المؤمنين به عن أن يوقفوا أنفسهم قضاة على الناس وأن يحاكموا الناس «من أقامني حاكماً عليكما» إذن هذا الحق، الحق القانوني ليس ذلك الحق الذي تدعو إليه الكنيسة والذي يدعو إليه الإنجيل.

الحق الذي يدعو إليه الإنجيل إيجابي محض. أنا إنسان وأنت إنسان، أنا مسؤول عنك شعرتَ بأنك مسؤول عني أم لا. أعرف شيئاً واحداً إني أحبك والمحبة كما قال الرسول بولس "لا تطلب ما لها". وقول بولس الرسول هذا ليس مبدأ فلسفياً مجرداً. في الواقع حيث توجد المحبة يسقط الحق. ما الحق بين أم وابنها وما الحق بين متحابين مثلاً. كل هذا يصبح فكرة فارغة المضمون لا معنى لها. الإنجيل يقودنا إلى حق كما قلت، لا يفترض أن هنالك خصاماً وأن بيني وبين الآخرين تعدياً بالتأكيد وإن علي تحاشي التعدي. مشكلة الإنسان حسب الإنجيل ليست تحاشي الآخرين وإنما بناء النفس. ومن يدري بما أصبنا إذا قلنا في ظرف واحد إذا حدث حادث تعد من آخر علي وفي الوقت نفسه شك في قلبي، المهم هو أن أزيح الشك من نفسي لا أن أرفع التعدي علي. إذن الحق الذي تقود إليه الكنيسة والذي يقود إليه الإنجيل لا يعترف إلى سلبية عالم الحق القانوني ولا يفترض خصاماً بين الإنسان وأخيه الإنسان، ولكنه حق يتجاوز الحق، حق يعلو على الحق حتى يصل إلى عالم المحبة والحقيقة.

ما الحقيقة؟

الكنيسة تقودنا إلى الحقيقة ولكن هذه الكلمة التي نستعملها في غالب الأحيان كثيراً ما نسيء فهمها.

قال الفلاسفة في الحقيقة: الحقيقة المنطقية هي أن تقول عن الطاولة إنها طاولة لا أن تقول عنها إنها كرسي مثلاً. الفرق بين الحكم الأول أنه صحيح بينما الثاني هو حكم مغلوط. من هذه الناحية الحقيقة حكم على الواقع بما هو فهي إذن عملية عقلية متجهة نحو واقع، وصحة هذه العملية متوقفة على انطباقها على الواقع أو عدم انطباقها. حسن أن يعرف الإنسان أن الساعة ساعة والطاولة طاولة والإنسان إنسان. حسن أن يكون عقله طبيعياً فيرى الأشياء بطبيعتها كما هي. حسن أن يواجه خليقة الله كما خلقها أي كما تقدم له لأن الاعتراف بالأشياء الموجودة شيء من التواضع، والانحناء أمام عظمة الكون وعظمة المخلوق. ولكن إذا عدنا إلى أنفسنا وتساءلنا إلى أي حد نحل مشاكلنا بحكم على واقع لوجدنا أن هذا المفهوم للحقيقة مفهوم فيه فقر عظيم، فقر لأنه لا يتعرف إلى حقيقة يعبر عنها. والتعبير المنطقي والنطقي ليس بالضرورة أعمق وأشمل ما يمكن للإنسان أن يعبر عنه، رب صمت أفصح بكثير من نطق ورب جنون أعمق بكثير من منطق. الحقيقة في عالم الفلسفة تسير في العالم الذي تريد الفلسفة أن تتبناه أعني عالم المعرفة، والحياة تتجاوز المعرفة إذ المعرفة جزء منها وليست إياها كلها.

الحقيقة في المسيحية هي كائن وليست فكرة. الكنيسة تواجهنا بشخص، بصخب الشخص وقوة الشخص وغناه. فرق عظيم بين الحقيقة في نظر فيلسوف عقلي والحقيقة في نظر مسيحي يؤمن أن المسيح هو الحقيقة (لا أقول عنده الحقيقة، الحقيقة هي هو). الشخص يحيا والفكرة تفكر، الشخص يوجد والفكرة نوجدها. الشخص ذو حضرة، وإن صمت الشخص ففي حضوره قوة وفي حضرته معنى. بينما الفكرة تحتاج إلى تعبير، تحتاج إلى قول

وكثيراً ما تحتاج إلى قوة لتظهر، أما الشخص فبمجرد كونه شخصا هو هنا ولا يمكننا أن ننكره لفكرة سمعناها. المسيح هو ذلك الشخص الذي يجسد الحقيقة والذي يمكننا أن نراه بعد تجاوزنا عالم الحق إلى عالم المحبة. ولذا ففي النهاية اختبار المسيحي مع المسيح ليس بالضبط معرفة بالمعنى العقلي الجاف، اختبارنا المسيحي مع المسيح ربما كان في النهاية اختبار مواجهة الشخص، كيف نفكر الشخص؟ الفكرة من بنات الفكر والشخص ليس من بنات الفكر ولكنه هنا. لا أقدر أن أفكر بالشخص وإن فكرت بصفاته واسمه وخصائصه. المسيح في النهاية ليس موضوع معرفة تجريدية، سطحية، تعدادية لصفاته، المسيح شخص. فرق عظيم بين أن تعرف عنه وأن تعرفه، بين أن تسمع به وأن تواجهه. ولا شك أن الكنيسة تقودنا في طريقنا الروحية إلى مواجهة المسيح أكثر مما تريدنا عارفين إياه من بعيد.

في مواجهة المسيح غبطة، غبطة شخص يواجه شخصاً يحبه، غبطة شخص أدرك أنه في ظلمة وعرف أن هنالك نوراً فأتى النور وقبل النور. خبرة المسيح أن تقف وإياه وجهاً لوجه، أن يعطينا مما هو شخصي وأن نعطيه مما هو شخصي، والشخصي ليس ذلك الذي نحتفظ به في داخلنا كما نفهم الكلمة اعتيادياً. أنا شخص لا بمعنى أنني منغلق على نفسي كما أن الحجر مغلق على نفسه ولا ينفتح لي، ربما العكس كان هو الصحيح. أنا شخص إلى الحد الذي فيه أنا أخرج من ذاتي وأبذل من نفسي وأعطي للآخرين، نحن أشخاص إلى الحد الذي فيه نحن نتبادل ونبذل من أنفسنا ونأخذ ونعطي. الأخذ والعطاء علامة محبة. الشخص هو أيضاً محبة، والمسيح ونحن في خبرتنا إياه محبة متبادلة، غنى يمر من كائن إلى آخر ومن هذا الكائن الآخر إلى الكائن الأول.

المعمودية موت وحياة كما قلنا، موت عن عالم فحياة في عالم ثـــان. والحياةُ كُلّ، والإنسان كل (مصيبة أن ينقسم الإنسان على نفـــسه). الكنيـــسة تطلبنا كلاً في عملية كلية حتى نواجه المسيح. قلت في مواجهة المسيح غبطـــة، أقول الآن في مواجهة المسيح قيامة بعد موت، نهوض، أخذ حياة من جديـــد، تَعَلّم للحقيقة بعيشها، بكونها، بمشاهدتها من الخارج. في مواجهة المسيح قبـــول كلي وبذل كلي، قبول محب لمحب وبذل محب لمحب.

وسواس الأسقف الأرثوذكسي*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

اكليمنضوس أسقف رومية أحد الآباء الذين عرفوا بتقواهم ومخافتهم الله. عاش مخضرماً بين القرنين الأولين المسيحيين ولكننا لا نعرف شيئاً عنه سوى رسالتين وجّه أولاهما إلى أهل كورنثوس والثانية إلى جماعة المؤمنين من «اخوة وأخوات».

ولكي نفهم هذا القديس فهماً صحيحاً يجب أن نذكر هذين المبدأين:

١ــ الأسقف يتكلم باسم الكنيسة ويَمَّحي في جسد المسيح إمحاء تاماً.

٢ــ دأبه الاستشهاد بالكتب المقدسة ومحور تفكيره تهيئة الرعية للراعي الأصيل.

«إذن أيها الأخوة والأخوات، إني لقارئ لكم عظة كي تهتموا بما هو مكتوب حتى تخلصوا ومن يقرأ الآن بينكم». بهذه الكلمة يحدد اكليمنضوس غاية عظته وغاية كل عظة على الإطلاق: إن الغاية منها هي خلاص نفوس الأبناء فللآباء الشقاء والعذاب لا الجزاء والغبطة.

كثير من الناس يجهلون أبسط الأمور في الكنيسة. من ذلك أنهم لا يدركون مقام المسيح فيها. لهذه الكثرة من الناس يقول اكليمنضوس: «لنفكر بالمسيح تفكيرنا بالله، إذ بقدر ما يعظم المسيح في أنفسنا، يعظم فيه رجاؤنا». ومن ظن هذا الأمر تافهاً وقع في الخطيئة أمام الله وأمام نفسه. وبالحقيقة أي إنسان واعٍ لا يتساءل من آن إلى آن من دعاني ومتى دعاني وبواسطة من دعاني

* تأملات في رسائل القديس أكليمنضوس أسقف روما، ١٩٥٥

وإلى أين دعاني؟ هذه الأسئلة تتبادر بالسليقة لكل من يفتش عن فهم ذاته ومقامه في هذا الكون.

ربما خطر لنا أن أسئلة من هذا النوع لا تتبادر إلى ذهن متعلم مثقف راق. وربما كان ذلك على شيء من الصحة. غير أن المسيحي الحقيقي المؤمن الإيمان اليقين بيسوع المسيح رباً ومخلصاً لا يقدر أن يتهرب بدوره من السؤال التالي: «ماذا فعلتُ أنا مقابل ما فعل المسيح من أجلي؟» المسيحي إذن إنسان أغدقت عليه خيرات شاء أم أبى. وليس عنده الخيار إلا في قبولها أو رفضها. وهذه الخيرات تتجسم في تضحية عظمى حصلت في التاريخ وهي: «أن المسيح قد أحبني وبذل نفسي لأجلي».

حياة المسيحي في الكنيسة حياة إنسان يرى بوضوح «الإحسانات الصائرة إلينا» و«ضعف بشرتنا نحن الأشقياء». لقد علم اكليمنضوس في رسالته الأولى أن الوصف الذي ينطبق خير الانطباق على الإنسان هو قول النبي في نفسه: «أنا دودة ولست إنساناً، عار الرجال وحقير الشعب» ومع كل هذا يلفتنا أسقف رومية إلى أن المسيح دعانا «أولاداً» وأنقذنا من الضلال.

يعبد الوثني أصنامه مصنوعات يديه. ومعظم رجال هذا العصر يعبدون العالم الذي خلقوه وكونوه. ذلك ظلام يكتنف العقول على حد قول اكليمنضوس؟ ذلك عدم يملك فيه الموت. وهل أصح من هذا القول انطباقاً على كبارنا وصغارنا، من غارق في مركزه ومقامه الاجتماعي وصحته وسمعته ومصالحه؟ إن الله خلصنا ــ إذا لم نرفض ذلك ــ من الاتجاه نحو مصنوعات أيدينا لينصب لنا المسيح الرب غاية ومرمى لا يصلح غيره كائن أو شيء يكون غاية ومرمى. مساكين أولئك الذين يطمرون أنفسهم في حفرة تعبت فيها

أذرعهم.

كل متشائم في هذا العمر غير نقي لأنه افتتح بـــاب الخـــلاص. لقـــد «ولدت العاقر وفتح باب الرب والمؤمنون يدخلونه» أجل أن الكنيسة قد ولدت وهي العروس البكر للعريس البكر. وهي مدعوة لإنجاب أولاد كـــثيري العـــدد كرمل البحر وطيور السماء.

ولا يقولن أحد أني خاطئ. لا أستحق الانتماء إلى الكنيسة. فليـــسمع قول الرب: «ما جئت لأدعو صديقين بل خطأة إلى التوبة». تعلموا من هـــذه الكلمات أمثولة مثلي: أعطوا من يحتاج إلى الأخذ لا من لا يحتاج: «إنه لعظيم أن تعطي الواقع لا أن تهب الواقف».

وخصوصاً يا اخوتي، أنتم تعبدون آلهة ميتة. أفما عرفتم المـــسيح؟ مـــا بالكم غارقين في المقابر وكأنها فردوس القيامة؟ أنسيتم أننا بالمسيح عرفنا الإلـــه (أبا) الحقيقة؟

كباركم يستحيون بالمسيح أكثر من صغاركم، وكهنتكم أكثـــر مـــن علمانييكم. وإذا لم تصدقوا حادثوا هؤلاء وأولئك فمن منهم يذكر لكم يسوع؟ فهل ذلك كذلك لأن الاعتراف باسم يسوع دليل تأخر في المدينة أو الفكـــر أو الثقافة؟ أم هو عنوان الرجعية في العلم والاجتماع؟ أسارع بالجواب عن أسئلتكم هذه قائلاً: «نعم إن ذكر يسوع وصليبه شك عند الكثيرين. ولكن، هل يفتش المسيحي عن إرضاء الناس على حساب الله؟ إني أربـــأ بكـــم أيهـــا الأخـــوة والأخوات أن تقعوا في مثل هذا وتجرأوا على دعوة أنفسكم مسيحيين».

اعترفوا بيسوع أمام الجميع. أما جزاؤكم فليس في العالم هذا وليس من

العالم هذا. إنه جزاء أعظم من كل ثروات الدنيا ومتاعها: «من اعترفَ بي أمام الناس اعترفت به أمام أبي الذي في السماء» وهل أتم وأكمل من أن يذكر الرب يسوع خليقته أمام الله الآب ويعترف بها؟ أما إذا كنتم لا يهمكم هذا الجزاء فتتهربون من التضحيات في العالم المتوجبة عليكم. فأعود إلى دعوتكم إلى الشجاعة والوجدان الحي بأن تنكروا الله شفوياً نُكرانكم له واقعياً. والاعتراف بيسوع يكون بالعمل بوصاياه وبتكريمه لا بالشفاه فحسب ولكن بالقلب والذهن، إذ الترديد من وقت إلى آخر: «يا رب، يا رب» لا ينقذ ولا ينفع: «ليس من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يعمل أعمال الصلاح». لنعترف بيسوع بأعمالنا، بمحبتنا بعضنا البعض الآخر، بعدم ارتكاب الزنى، بعدم النميمة والاغتياب، بضبطنا نفسنا وبكوننا رحماء صالحين».

شديدة برودة هذا العالم. أين نار المحبة تحرق الأحقاد وتطهر النيات وتذيب المصالح الواحدة في الأخرى؟ كل ما في العالم اليوم محبة المال والحاجة ليست إلى هذا: «حتى نعيش يجب أن تعود لهفة الواحد إلى الآخر، نعم أن يهفو القلب إلى القلب». يجب ألا نخاف الناس فنراعيهم على أن نُبطل خوف الله فننساه».

عالمنا نحن عالم آت. الغبطة والسيادة في هذه الدنيا تزول مع هذه الدنيا. نحن لا نخاف الاغتراب عن هذا العالم، غبطته وسيادته لأن الرب أرسلنا قائلاً: «إنكم كالحملان بين الذئاب». ولذا «فأمور هذا العالم ليست أمورنا. فلا نشتهينها. إن في اشتهائها لشططاً وزللاً».

«هنالك عداوة بين عالم اليوم والعالم الآتي». فإن أنت عمرت في هذا

العالم هدمت في العالم الآتي. وإذا أزهرت في هذا العالم، ذبلت وديست أوراق تويجك في العالم الآتي. هنا «يتحدثون بالزنى والفساد ومحبة المال والخداع ويرون فيها موضوع لذة وسلوى، بينما هناك، في العالم الآتي يقولون لكل هذه الأمور: «وداعاً». لا يمكنك مصادقة العالمين كليهما الحاضر والآتي. لك واحد منهما فقط. ولك الآن الخيار.

أنا عارف بصعوبة هذا الخيار. ولكن متى كانت الصعوبة سبباً في التراجع عند المؤمن؟ كل ما في الحياة صعب، وكل ما في الحياة صراع وسباق. ولذا فإن النصر أكيد لبعض الناس. فلمَ لا تكونون من بني النصر والأكاليل؟ أو على الأقل كونوا ممن يقتربون جهدهم من أولئك. أليس هذا صحيحاً في حياتكم الفانية؟ إذاً لِم استغرابه ودهشتكم منه إذا طلب شرطاً للحياة الآتية؟

أما غاية الصراع في الحياة فأمران: التوبة والطهارة. ومهما صغرت هذه الغاية في أعينكم اعتبروها دينونة لكم: «كن أميناً في القليل فتقام على الكثير وتدخل فرح ربك». كلكم خاطئ. ولكن الزمان زمان توبة. حذار أن تعايشوا الخطيئة دون الاعتراف بها لأن معايشتها مع إخفائها يؤدي إلى الاطمئنان والراحة إليها. ويقسو قلبك بالخطيئة يا أخي المؤمن.

والطهارة ليست فقط طهارة الروح. إنها طهارة الجسد أيضاً: «جسدك هذا سيحاكم في الدينونة لأنك ساعتئذ ستكون كما كنت ساعة الخلاص».

«جسدك هيكل الله. وقد دعيت بالجسد، فعليك تلبية الدعوة بالجسد».

«ما معنى التجسد لولا ضرورة قداسة الجسد وطهارته؟»

«ما أقوى هذا الجسد! وكم يزداد قوة إذا استعان بالروح القدس! إذن لاجترح العجائب في الكون».

«فكروا بمن هم خارج الكنيسة. الرب تهينه الأمم بسببنا. عندما يسمع الوثني من أفواهنا كلام الله، يعجب بجماله وعظمته. ولكنه عندما يرى أعمالنا تتنافى والكلام ذاك ينقلب إعجابه إلى سخرية فإهانة، ويرمي إلهنا بأنه شخصية من الأساطير. يسمع الوثني من أفواهنا: أحبوا أعداءكم، لأنكم إذا أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم؟ ويرى فإذا بنا ليس فقط لا نحب أعداءنا بل نكره الذين يحبوننا».

«من أتبع نصيحتي أنقذ نفسه وأنقذني، لأن أعظم جزاء لي رد نفس إلى الطريق السوية. وكل ما يمكننا تقديمه لله متكلمين كنا أم سامعين يتلخص في أن يتكلم المتكلم بإيمان ومحبة ويسمع السامع بإيمان ومحبة».

«أنا خاطئ بكليتي ولما اتحاش التجربة. على العكس، أنا أعيش في حبائل الشيطان. غير أني جاد في طريق الصلاح لعلي على الأقل اقترب منها». وهذا جزائي.

في الدنيا، انتظار المكافأة تجارة، وفي العالم الآتي دليل إيمان.

ومَن قريبي؟*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

«ومن قريبي؟» هذا هو السؤال الذي طرحه أحد علماء الناموس على يسوع عندما قال له يسوع: «أحبب قريبك كنفسك».

«مَن قريبي؟» في كل يوم يردد الناس كن «آدمياً»، كن مستقيماً، كن لطيفاً، كن كريماً، كن وكن وكن... وفي كل يوم يتساءل الجميع: مع من؟ أحب أن أكون «آدمياً» ومستقيماً ولطيفاً وكريماً، ولكن مع مَن؟ كن هذا وكن ذاك، ولكن الأشخاص الذين يجب فعل هذا معهم مفقودون. ليس خيراً من حب القريب ولكن من هو قريبي؟

أيها الأخوة المؤمنون ما سمعت مرة اعتراضاً على عمل الخير بحد نفسه، ولكني سمعت اعتراضات متتالية ومتعددة على الأشخاص الذين معهم يجب عمل الخير. فإذا كان ذلك العالِم في الناموس قد سأل يسوع هذا السؤال، وإذا كان قد سأله إياه ليجرّبه كما يقول الإنجيل، فكل ذلك لأن السؤال محرج ولأن الواقع يطرحه كل يوم.

دعونا الآن نسر مع جواب المسيح لنرى وقعه في أيامنا هذه، والجواب كما تعلمون مثلٌ مأخوذ من صميم الحياة. «كان رجل منحدراً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه ثم مضوا بعد أن تركوه بين حي وميت. فاتفق أن كاهناً كان منحدراً في ذلك الطريق فأبصره وجاز. وكذلك لاوي

* الإذاعة اللبنانية، ١٩٥٨

وافى المكان فأبصره وجاز. ثم إن سامرياً مسافراً مر به فلما رآه رقّ له، فدنا إليه وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وحمله على دابته وأتى بـــه إلى فنـــدق واعتنى بأمره. وفي الغد أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال: اعـــتن بأمره ومهما تنفق فوق هذا فأنا أدفعه لك عند عودتي» (لو١٠: ٣٠ــ٣٥).

اللوحة التي يرسمها السيد المسيح في هذا المثل تضعنا أمام واقع نشاهده حيثما كنا وفي كل الظروف: وهي تتلخص في موقف كاهن ولاوي وسامري من إنسان يحتاج إلى رحمة عملية.

الجرحى في الحياة كثيرون. وأولئك الذي يحتاجون الرحمة كثيرون جداً: فقير المال، فقير المعرفة، فقير القلب، صغير النفس. أولئك كلهم يحتـــاجون إلى رحمة وحنان، وفي كل يوم نمر بهم وبالكثير من أمثالهم، ويمر بهـــم هـــم أيـــضاً الكاهن واللاوي والسامري.

الكاهن؟ أتصوره جادَ على الجريح بكلمات معسولة تعود قولهـــا، أو اكتفى برمي الحمل على الله قائلاً للمسكين: شفاك الله يا ابني. هذا الكـــاهن لم يجرب في حياته أن يخلع رداءه ليعطيه مسكيناً لأنه لم يعلمه أحـــد أن رســـالته ليست كلامية وإنما فعلية عملية. ربما لم يكن مسؤولاً لأنه هو نفـــسه، عنـــدما أصبح كاهناً، اقتنع أن كل ما يخص حياته العملية لا يترل في نطاق رسالته: قول كلام عن الخلاص، وتفوه بما يدعى الحكمة والتعقل. اقتنع أن نـــوع حياتـــه لا يشبه ذلك الذي فيه يتعب الإنسان ويعرق ويشقى ويعود مساء إلى البيت يشكر الله على العرق والشقاء والتعب.

مَن يدري؟ ربما كان كهنوته نتيجة فشله في الحياة الحياة، فلم يبق له إلا أن يطل عليها من بعيد ويطالها بالكلمات كمن يسند حملاً ثقيلاً برأس اصـــبعه.

هذا الكاهن أتصوره وهو يجود بالكلام على الجريح ولو كان جريحاً، هو نفسه، لما اكتفى بالكلام ولا بالحديث. غير أن نص الإنجيل لا يقول كل هذا بل يكتفي بالإيجاز إذ يقول: «فأبصره وجاز». نعم أبصره، ولاح برأسه ولو كان أحد أمامه لقال عالياً: «افٍ ما أكثر المصائب يا ابني».

وأتى اللاوي وهو من الصميم، من عظام الرقبة كما يقولون، فأبصر هو بدوره الجريح وجاز. ولعله قال بتجهم: على الرجل الرجل أن ينقذ نفسه مهما كانت الطريقة. من عظام الرقبة، نعم. ولكن عظام الرقبة لا تجتمع ولا تتفق إلا لتهاجم الغريب وتحمي الشرف، شرف العائلة، شرف القوم، شرف الأمة ولكنها، والكل يعلم، لا تمنع أن في العائلة خصاماً وفي القوم خصاماً وفي الأمة خصاماً. أبصره وجاز بعد أن أتحفه بموعظة عن الرجولة والاعتماد على النفس. ما أكثر الأصدقاء الأغنياء بمثل هذا.

وفي الآخر يأتي السامري، والسامريّ نجس تحديداً في أعين اليهود. نجس لأنه انسحب من شعب الله الخاص أعني من العرق والقوم والأمة التي يكونها ذلك الشعب فأصبح إنساناً صالحه سيئ وجميله قبيح لأن طبقته مشوّهة. أتى السامري، ذلك النجس الغريب عن شعب الله فرَقَّ لحال الجريح، ولعل الله حدّثه عفوياً فأطاع بالسليقة، ففعل ما فعل، وما فعله خير كله وصلاح. وهذا ليس بعجيب ولا بغريب. أنا أعرف جماعة من الناس لا تؤمن بالله كما أؤمن ولكنها تحب الإنسان أكثر مني بمئات المرات. على كل حال يكاد الملحدون يحتكرون الرحمة بالفقير والمطالبة بالعدالة الاجتماعية ويموتون من أجلها، يكاد الملحدون يحتكرون ذلك وأعين المنتمين إلى أبي الرحمة والعدل مفتوحة تتفرج وتكتفي بالتفرج. الكاهن واللاوي يصبان الكلام سيلاً وهمياً والسامري النجس

يصب الرحمة كيلاً مفعماً بالعطاء الفعلي العملي.

حيف على المسيحيين أن يَتَسَمَّوا بهذا الاسم ويناموا هذا النوم الـــذي يشكك الكثيرين.

حيف عليهم ألا يتألموا لتألم غيرهم ويقدموا المسيح للناس في أجسادهم وأنفسهم. يجب أن نعظ ولكن الوعظ أبعد ما يكون من التفـــرج الـــسطحي البعيد.

فلينـــزل الكاهن ويبلل جبته بدم الجريح على طريق أريحا إذ لا يجوز أن تبقى جبته نظيفة بينما دم ذاك يسيل على التراب. لينـــزل من عزلتـــه ليـــذوق التوجع مع المتوجعين فلا يتكلم عن الوجع وكأنه غريب عنه. لا يمكنه أن يكون أبي إذا لم تحتك به ركبتاي في عملي وفي حياتي.

ولينـــزل اللاوي من عالم عصبيته واكتفائه بالأصل والحسب والنسب، فأنا مثله ومثله تماماً. لينـــزل من عالم كله وهم وخيال إليّ أنا الذي يلاقي كل يوم «في وجهه» ويرى كل يوم.

لينـــزل الكاهن واللاوي لأن كليهما ينتمي إلى رب الرحمة لأنه مـــن العار أن يحتكر الملحدون عمل الرحمة والسعي وراءها ولو ظاهرياً. فإن قريبي في النهاية من صنع الرحمة بي.

الحركة والكنيسة*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

سأتجه في كلمتي أولاً إلى الكنيسة من حيث هي حاملة الحقائق الإلهية ومستودع النعمة العاملة بلا انقطاع، الحية والمحيية، الفعالة والمنيرة، التي، في المحبة والحرية اللذين لا حد لهما، تحب الحق وتحببه بكل وسيلة وثمن، وبعدئذ إلى الرئاسة الروحية التي تستمد سلطانها:

أولاً : من النعمة الإلهية التي تنتدبها ووضع الأيدي.

ثانياً : من الإيمان القويم الذي تعلن محافظتها عليه ونشره.

ثالثاً : من التقليد الأرثوذكسي المسكوني الذي تنسجم معه.

١- إذا كانت عملية اتخاذ موقف من الكنيسة تفترض بمعنى ما وفي وقت ما نظرة إليها نظرة مَن لا يقبلها ولا يرتمي في أحضانها ارتماء كلياً غير مشروط، فالحركة لم تقف يوماً موقفاً من الكنيسة بهذا المعنى. الحركة تعرف أنها من الكنيسة وفيها ولها وأنها ليست إلا منها وفيها ولها. هي خاضعة لها وتؤدي لها الحساب. الكنيسة تحكم على الحركة لا الحركة على الكنيسة وليس من عضو واحد واعٍ يتصور أو يشتهي أو يتمنى أن تنعكس الآية فتصبح الحركة كنيسة على الكنيسة. والفضيلة الأساسية التي يضعها الشباب أساساً لكل أعمالهم هي الأمانة للكنيسة، خدمتها، السير في الطريق التي ترسمها، والأصالة في التعبير عن غنى النعمة المتدفقة فيها.

* ١٩٥٨

٢- وبما أن كنيسة المسيح هي بالطبع ميدان النعمة الفاعلة الحية والمحيية ترى الحركة أنه من الطبيعي المنتظر قيام نهضة في الكنيسة وبعث. وما التيار الإيجابي في كرسينا الانطاكي إلا الدليل على فاعلية النعمة فيه. وقد تفجر والحمد لله في كل الأصقاع الأرثوذكسية مثل هذا التيار جامعاً الشباب، موجهاً قواه إلى خدمة الرب، ونافخاً في الأرثوذكسية روحاً جديداً ونَفساً جديداً.

بالروح الجديد والنَفس الجديد حيوية الشباب تتجند لخدمة الكلمة الإلهية.

الروح الجديد والنَفَس الجديد إلحاح الشباب على أمهم الكنيسة للتحرك والتقدم، إلحاح جماعة لا تريد كنيستها يسبقها الآخرون، جماعة لها وطيد الإيمان أن أمها الكنيسة وحدها قادرة على إرواء عطشها الروحي.

الروح الجديد والنَفَس الجديد التزام الشباب في كنيسته التزاماً رصيناً. المعَمدون باسم المسيح والذين إياه لبسوا يرون في الكنيسة التي فيها تجلى المسيح لهم، باباً للحرية والنور، الباب المطل على آفاق رحبة واسعة للعمل والتأمل. يتجهون إليها وكلهم ثقة أنه لا يمكن تجاهلهم أو التعامي عنهم أو النظر المزوّر إليهم. الطبيعي بالأحرى أن تعطيهم من وقتها واهتمامها وحبها، تعطيهم مما لها فيزداد ما عندهم. الطبيعي المنتظر أن ترشدهم بدون ملل أو غضب أو ازدراء أو مقاومة، فيزداد إقبالهم إلى معينها ويستعر تشوّقهم إليها وترحيبهم بما تريد.

الروح الجديد والنَفَس الجديد حرب على الجمود. من قال إن القاعدة في الكنيسة الجمود؟ وأن التحرك، أي تحرك، انسلاخ؟ من قال إن المحافظة، في أن تتسرب إلى الكنيسة برودة القدم وبطء الشيخوخة؟ الكنيسة في كل أطوار تاريخها أحبت المتحرر النشيط إذا لم يصل إلى التطرف والمغالاة. الكنيسة

بطبيعتها تحب من يحيا ويعمل لأنها تريد أن تعبر عن حياة، والواقع أليست الأسرار دعوة إلى الحياة في مجموعة المؤمنين؟

ما الطقوس إن لم تكن من الأبواب التي تفتحها الكنيسة للمؤمن ليتصل بالإله الحي؟

ما اللاهوت إن لم يكن حركة دائمة جريئة تواجه أقدس وأعمق ما في الكنيسة من عقائد ونصوص وتعليم وتربية؟ ما المجامع إذا لم تكن دماغ الكنيسة الواعي المستعد أبداً للإجابة عن كل سؤال يطرحه معتقد جديد أو وضع جديد أو ظرف جديد؟

وكل هذا يكوّن الكنيسة لأنها تفهم نفسها حية بالنعمة معطية الحياة. لا ركود في الكنيسة ولا راحة. والشباب يريد أن تخلع الكنيسة عنها ثوباً ليس ثوبها وتكشف عن شبابها الخالد.

٣- عند بعض الاخوة الأرثوذكسيين نوع من الخوف يخلقه الغريب عمداً بمختلف الوسائل المدبرة المدروسة، ثم يستغل ذلك الخوف فَقَلَبَه مركب نقص بما عنده من مدارس ومؤسسات وتنظيم شبابنا يحارب هذا الخوف بنفسية من لا شك عنده بأنه يتبع الطريق القويم، وأن الله وضع في كنيسته الأرثوذكسية كنزاً من الحقائق والنعم والبركات. وقد يظهر الأكيد من إيمانه مظهر الفخور الصلف، لكن شبابنا لا ينتفخ ولا يعجب ولا يفخر بنفسه بل بإيمانه. على العكس إنه يمج الانتفاخ والعجب والفخر حيث وجدت لأنها الخطوة الواسعة نحو الكبرياء وبالتالي نحو انغلاق باب الإيمان.

٤- ويطالب الشباب بحياة جديدة فيجفل البعض من هذا المطلب لأن الجديد

يخيفهم. الحركة تقصد بالتجدد وقعاً جديداً في النفوس للتراث الأرثوذكسي القديم في التاريخ ولكنه يتعالى على التاريخ. هذا يزول ولكنه يبقى.

الإخلاص يدعو إلى أن نحيا كنيستنا. وإذا أردنا تراثنا وقبلناه فعلينا أن نعرفه ونتبناه ونمارسه. وكنيستنا تعيش وروح الله يجري فيها العجائب. والحياة دبت فيها في كل أقطار العالم. والحركة في كرسينا الانطاكي المقدس ليست سوى واحدة من حركات. وإيماننا اليوم هو أقوى منه في أي يوم آخر إنه لم يكتب لغيرنا أن يزيد ولنا أن ننقص. كافر بالكنيسة من يشك لحظة واحدة بأن النصر النهائي فيها للمسيح.

٥- بهذا الإيمان نتمسك بالرغم من «إبرة التخدير» السارية اليوم: «إن الأرثوذكسي متساهل». كلا، ليس على الأرثوذكسي وحده أن يتساهل ويتساهل حتى يرى نفسه عارياً وكنيسته مجردة عن أبنائها، يغذي هذا الحزب أو ذاك، وهذه الفئة أو تلك ويترك كنيسته تتحرق حاجة إليه. كفانا جفجفة وتخاجلا. ليس هذا من الإيمان. الإيمان بطبيعته محبة وجرأة، قدرة وفعل، عزم والتزام. أما نفسية المدحور والمغلوب على أمره فليست نفسية مَن يؤتمن على وديعة الحق ولا تقدر أن تكون.

٦- وهكذا، أيها الأحباء، وجود الشباب الخاضع لكنيسته العامل لها بنَفس جديد دون انسلاخ أو تطرف أو تحجر، وجود الشباب الوطيد الإيمان بكنيسته، الشديد الرجاء بها، المتمسك بالوديعة الأرثوذكسية، وجود مثل هذا الشباب في الكنيسة لما يتفق وإرادة الله الذي يريدها أن تغلب أبواب الجحيم. ومن هنا أيضاً وجود حركة للشباب في الكنيسة ليس عرضاً ولا حدثاً اصطناعياً. كلا. إنه أمر طبيعي ينبثق عن جوهرها ويتمم حيويتها ويقويها. إنه بالتالي التعبير الصادق عن

تحسس أبناء الكنيسة لحياة الإيمان والتغذي بالغـــذاء الإلهـــي الـــذي لا يـــشح والإشعاع بالنور السماوي الذي لا ينطفئ.

والآن أتوجه إلى رئاستنا الروحية الموقرة في الكرسي الانطاكي وأعلن:

١- ليست الحركة جمعية سرية تعاضدية. وليس بين أعضائها عهد دم علـــى أن يفضلوا أنفسهم مهما كانوا، على أي كان مهما كان. والولاء الذي يربطنا هو فقط الولاء للكنيسة الأرثوذكسية بمفهومها الواضح الاعتيادي. لذلك فعـــضوية الحركة ليست ضمانة لأحد منا. نحن لا نتعاون إلا على الخير، وفي تاريخ الحركة أننا لم نوفر عضواً أراد بالكنيسة شراً أو استثمرها. وأننا لم نسم الرذيلة فـــضيلة ولا الخطأ صواباً. وإذا كنا متحدين فلأن إيماننا واحد ورجاءنا واحد لا لأننـــا نفتش عن اتحاد عصبي مقصود.

٢- إن أحداً من أعضاء الحركة لا يطمح إلى مصلحة أو مركز، وأن أحداً منهم لم يقم بأي مسعى في هذا السبيل. وأننا لا نعتبر مهمة مهمتنا إلا بعد أن تسندها إلينا الرئاسة الروحية الرسولية.

٣- الحركة تهتم لأوضاع لا لأشخاص. تنتقد الوضع لأن أثره يؤذي الكنيـــسة وفي الوقت ذاته تنتظر البركة على يد المسؤولين وترفع ابتهالات مـــن أجـــل أن يؤازرهم الرب. لذلك نسأل أولياءنا الجزيلي الكرامة إذا شاءوا اعتبـــار قـــول موجهاً إليهم أن يأخذوا منه غايته الإيجابية لا أن يكتفوا بطريقة التعبير. والغايـــة الأخيرة لكل قول هي دائماً البنيان والبنيان وحده. أما الآلاعيب والنكـــرزات المتجهة إلى الأشخاص فهذه لم تأخذ من أوقات الحركة كما قد يظن. وحرام أن تأخذ من وقت أي أرثوذكسي على الإطلاق في هذه الأيام التي نحتاج فيهـــا إلى كل دقيقة من أجل البنيان.

٤- نحن كسائر الناس في الكنيسة، يهمنا وجود قانون ومراعاته ووجود تنظيم وكل ما من شأنه إنهاض كنيستنا. ونحن كسائر الناس نرى المخالفة مخالفة وندعوها كذلك. وإن كنا نطلب الشدة في تطبيق القانون فلإيماننا بأن الرئاسة حارسة القانون. إذن إيماننا بالقانون يسبقه إيمان بالحارس. ومجرد مطالبتنا برهان وثيق على عظيم رجائنا بأن الإصلاح آت لا محالة وأن المسيح لا يترك كنيسته. لذلك نرى الوقوف في وجه متطلبات الإيمان المجرد أدل على الضعف منه على القوة وأن الموقف الوحيد أمام حاجات الأبناء تبنيها ودعمهم وتوجيهها أي حبهم لأنهم أحبو الكنيسة.

٥- لا داعي للاستغراب أمام ما للحركة. مركز الثقل عندها الروحيات وهي تجد خيراً في الاتجاه الصريح نحو المعالجة المجمعية لقضايا: الاتحاد والفتور والبدع والهرطقات، والسعي إلى زيادة المدارس وفتح الأديرة ودرس تجنيد عدد أكبر من الإكليروس، وطبع الإنجيل المقدس طبعة أرثوذكسية، وإبداء الرأي الواضح في المدنية الحاضرة والتربية والتعليم، حتى تشتد أنفس المرتخين وتمتلئ بالذخر الأرثوذكسي خزانة مريدي العلم ويطمئن من ساوره قلق المراهقة، إلى أن الحق معه وأن كنيسته هي الأصيلة.

٦- وقد يرد في خاطر البعض هذا السؤال: ولِمَ تطفل هؤلاء؟ فنقول: يتطفل الإنسان على ما ليس له. وهنا ليس من تطفل لأن الإيمان الأرثوذكسي مقياس حياة الأرثوذكسي، بالنسبة إليه نُحسن وبالنسبة إليه نخطئ، والمكتفي بالتفرج على الكنيسة عالة عليها وثقل، عدا أن المتفرج لا يصمد أمام التجربة لما تأتيه من الخارج.

فليطمئن الوجلون. الحركة أبسط بكثير مما يظنون. إنها جماعة لا تفخر

إلا بإيمانها ولا تعرف لها غاية إلا العمل له بكل تواضع. وشبابنا قوة مستمدة من العلى لا تتصور نفسها تخدم إلا المسيح ولا ترمي إلا إلى رؤية فجر جديد يبزغ في سماء هذا الكرسي الانطاكي المقدس.

العذراء في الكنيسة الأرثوذكسية*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

١- العذراء في الكتاب المقدس:

في العهد القديم صور عديدة رأى فيها الشراح تلميحاً مباشراً عن العذراء:

١- حواء: سمعت كلام الحية، العداوة بين نسليهما، المخلص من نسل المرأة.

٢- العليقة الملتهبة دون أن تحترق: منها انبثق اللاهوت ومنها سمع موسى صوت الله.

٣- «قامت الملكة عن يمينك موشحة بثوب مذهب». المزامير.

٤- يؤتيكم السيد نفسه آية: «ها إن العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» (أشع٧: ١٤)

٥- رأتها البنات فغبطنها، رأتها الملكات والسراري فأثنين عليها. «مَن هذه المشرقة كالصبح؟ الجميلة كالقمر، المختارة كالشمس، المرهوبة كصفوف تحت الرايات؟» (نشيد٦: ٨-٩).

في العهد الجديد: العذراء

١- يقول لها الملاك: افرحي، يا ممتلئة نعمة الرب معك. يا مريم لا تخافي فقد نلت نعمة عند الله، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، وهذا سيكون عظيماً وابن العلي يُدعى (لو١: ٣٠-١٣) أم يسوع.

* ١٩٥٨

٢- ويقول لها: الروح القدس يَحلُّ عليك وقوة العلي تظللك ولذلك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله. (لو١: ٣٥) «أم ابن الله».

٣- هي التي قالت للملاك: «ها أنا أمة الرب فليكن لي حسب قولك».

٤- إنها «المباركة في النساء» وهي «أم الرب» (لو١: ٤٣) التي لها الطوبى.

٥- كانت «تحفظ هذا الكلام وتتفكر به في قلبها» (لو٢: ١٩-٥١).

٦- هي الشخص الذي يغبطه القول «طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما».

٧- وهي التي شهد لها ابنها أنها: «تحفظ كلمة الله وتعمل بموجبها».

٨- هي التي حنا عليها ابن الله ووكل عنايتها ليوحنا لما كانت المسامير تفعل في جسده فعلها المرير.

٩- وتغيب العذراء حتى تظهر في العنصرة في بدء الكنيسة.

١٠- وهاهي في الرؤيا تظهر «آية عظيمة امرأة ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً، وهي حبلى تصيح وتتمخض وتتوجع لتلد» (رؤيا١٢: ١و٢) (صعوبة التأويل. إرجاعه لأشعيا ٥٤).

ولكن العهد الجديد يعطي عن العذراء وجهاً آخر:

١- اضطربت عند سماع الملاك المبشر ولعلها خافت.

٢- دهشت عندما سمعت بالحَبَل وأكدت أنها عذراء.

٣- اطمأنت للبشارة فقط عندما شرح لها الملاك «كيف» ستحبل فكأنها كانت تهتم لما تهتم له كل صبية عذراء عندما تسمع بحديث من هذا النوع.

٤- في أورشليم قالت لابنها: «يا ابني لم صنعت بنا هكذا؟ ها إننا أنا وأباك كنا نطلبك متوجعين». ولما قال لهما: «لماذا تطلبانني؟ ألم تعلما أنه ينبغي لي أن أكون فيما هو لأبي؟». يقول الكتاب المقدس: «فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما». أليس في عدم الفهم هذا مدعاةٌ للدهش والاستغراب؟

٥- عندما تقدم يسوع إلى الهيكل تنبأ سمعان لأمه وقال: «وأنتِ سيجوز سيف في نفسكِ حتى تكشفَ أفكار في قلوب كثيرة» (لو٢: ٣٤) وقد فسر بعض الشراح أن هذا السيف سيف عدم الإيمان أو برودته على الأقل.

٦- لا يذكر الإنجيليون الثلاثة أن العذراء كانت على قدم الصليب ويوحنا وحده يفعل ذلك.

٧- ما كانت العذراء بين النساء اللواتي بكرن ليطيبن جسد يسوع. ولم يظهر لها يسوع بشكل خاص كما فعل للمجدلية ومريم أم يعقوب، وكما ظهر للتلميذين الذاهبين إلى عمواس، ومن ثم للتلاميذ وهم متكئون. (مر١٦: ١٤ ولو٢٤: ٣٦ ويو٢٠: ١٩).

إجمالاً ومما سبق رؤيته في الكتاب المقدس يجوز لنا أن نميز في العذراء كما يصفها الإنجيل شخصها الإنساني الطبيعي فهي تضطرب وتنسى ولا تفهم بعض الأمور، وشخصها المتقدس الذي تليق به الطوبى وتطلق عليه عبارات: «أم يسوع» «أم الرب» «أم ابن الله»، والتي تنتهي بالمجد الأبدي مع ابنها في السموات.

بتعبير أدق: كل ما يخص شخص العذراء فهي إنسان بالطبع ككل إنسان، وكل ما يخصها كإناء يحوي ابن الله متأله ومتقدس فوق كل تأله

وتقدس.

٢- العذراء في الفن الأرثوذكسي:

أ. مكان أيقونة العذراء في الكنيسة: في كل الكنائس الأرثوذكسية عن يسار الباب الملوكي، مرتبتها الثانية بعد المخلص وقبل جميع القديسين.

ب. ليس في الأرثوذكسية أيقونة للعذراء ليس عليها ابنها المخلص.

ج. ثلاث نجوم تزين كتفي كل أيقونة وجبهتها.

د. لها أيقونات تدل على انتقالها وتمتاز بأن فيها صورة يهودي مقطوع اليدين وبأنها: إما تصور جسد العذراء متجلياً ومتنقلاً إلى السماء، وإما تصور روحها في يدي ابنها في شكل جثة بيضاء. وأخيراً تمتاز بعض أيقونات الانتقال بتصوير الجثة في نعش وشخص العذراء يتكلل بالمجد في عالم لا هيولي.

هـ. وهنالك بعض أيقونات تمثل دخول العذراء الهيكل وحتى قدس الأقداس.

هذه هي بعض الأيقونات وكلها تعبير خاص عن أمر يقين يؤمن به أولاد الكنيسة المقدسة.

من الأيقونات وحدها يمكننا استنتاج بعض العقائد الأرثوذكسية ومنها:

أ ــ يقترن اسم العذراء بالكنيسة حيث وجدت ولا كنيسة بدون العذراء.

ب ــ إن العذراء في الكنيسة لتعلو كل قديس وكل ملاك وكل روح متقدس، كل هذا من جهة، ومن جهة أخرى العذراء أم، وفي أمومتها تربض قيمتها، وهذه القيمة مقدورة بالنسبة إلى الطفل يسوع. في العالم قيمة الطفل يستمدها من أمه، في الكنيسة قيمة العذراء الأم تستمدها من ولدها.

ج ــ دوام بتوليتها ترمز إليه النجوم الثلاثة في لغة الرسامين: فهي بتـــول قبـــل الولادة وأثناء الولادة وبعد الولادة.

د ــ أما في أيقونات الانتقال فيتضح أن الرسامين أخذوا ببعض الآراء اللاهوتية التالية:

١- إن الإنجيل الابوكريفي الذي استقيت منه قصة اليهودي ليس باطلاً بكامله.

٢- إن العذراء لم تمت وإنما انتقلت انتقالاً.

٣- إلى أين انتقلت؟ الجواب: إلى الفردوس، إلى حضن ابنها قبل مجده، إلى مجد ابن الله الوحيد.

٤- فإذا سألتم هل انتقلت بجسدها كما هو؟ كان الجواب حيناً «نعم» وحينـــاً «لا»، إذ ــ كما قلنا ــ يصور بعض الرسامين بين يدي المسيح المتمجد روح العذراء فقط. مع العلم أن هذه الأيقونات لم يمنعها شيء مـــن أن تعـــرض في الكنائس الأرثوذكسية.

٣- العذراء في النصوص الطقسية: لها جزء خاص في الذبيحة الإلهية:

١- بعد كل قطعة موجهة للسيد لها قطعة خاصة بها (كانين) وهذا يصح في كل الخِدم.

٢- القوانين والقطع في الصلوات الصباحية والمسائية لا تني تذكر النبوءات عنها وتحقيقها فيها.

٣- بعض ما يقال فيها: «إنها مجد العالم بأسره، الباب السماوي، هذه التي تجلت سماء وهيكلاً للاهوت. هي مرساة الإيمان»، «هي باب الإله والسحابة والســـلم

المصعدة إلى السماوات والعرش السماوي وجبل سيناء..الخ».

البتولية ــ «تمت نبوءة أشعياء لأنك ولدت وأنت بتول ولبثت بعد الولادة كما كنت قبلها، لأن المولود منك إله هو». «كما أن العليقة كانت ملتهبة ولا تحترق، كذلك أنت ولدت ولبثت عذراء». «لأنك وأنت مختومة الطهارة ومصونة البتولية عُرفت أُماً بدون ريب». «لقد وسعت غير المحصور وغير المدرك سرياً في أحشائك». Mystiquement.

الوساطة والإعلان ــ «إياك نسبح يا والدة العذراء، أيتها المتوسطة بخلاص جنسنا». «بواسطة ولادتك ابنك عرفنا سر الثالوث الواحد غير المختلط. السر الخفي منذ الدهور وغير المعلوم لدى الملائكة بك ظهر يا والدة الإله للذين على الأرض». (لاحظ: المسيح أعلن الآب. العذراء أيضاً تعلن الثالوث).

صورة البحر الأحمر عن البتولية ــ «إن صورة البكر العروس التي لم تعرف زواجاً قد بدت وقتاً ما في البحر الأحمر. هناك موسى قسم المياه وهنا جبرائيل خدم العجيبة. هناك عبر إسرائيل و لم تبتل قدماه وهنا المسيح يولد من غير زرع. البحر لم يدنس بعد اجتياز إسرائيل والعذراء لم تفسد بعد ولادتها عمانوئيل».

عملها الخلاصي ــ العذراء «وحدها جسر نحو الله ناقل المائتين إلى الحياة الأبدية». «إنها هي التي أصعدتنا من اللعنة الأولى». «يا والدة الإله أنت رجاؤنا فأنقذينا من آثامنا التي لا تُحصى وخلّصي نفوسنا». «تمنحين الكل تطهير الخطايا».

أما ما يُقال في ميلادها:

٤ــ «إن الذي ثبت السماوات بحكمة قد أنشأ بمحبته للبشر سماء حية». «إنها فاقت كل مولود بهاء» «هي وحدها الباب لابن الله الوحيد الذي اجتازه وحفظه مغلقاً». «إن بها تقترن الأرضيات بالسماويات» (لاحظ قرب الفكرة من طبيعتي المسيح).

إنها «التي سبق تحديدها أماً لإلهنا قبل تصويرها في الحشى».

العذراء في تدبير الخالق ــ «إنها السابق انتخابها من بين الأجيال جميعها لسكن المسيح الإله ملك الكل وبارئهم».

هي سلم يعقوب: «وارتاع يعقوب وقال: إن هذا المكان المخوف ان هو إلا بيت الله وهذا باب السماء».

وتطبق الكنيسة على العذراء نبوءة حزقيال القائلة: «وردني الرب إلى طريق باب القديسين وكان مغلقاً. وقال لي الرب هذا الباب يكون مغلقاً ولا يفتح ولا أحد يعبر فيه لأن الرب إله إسرائيل يدخل فيه ويكون مغلقاً... وأولجني في طريق الباب ورأيت وإذا بيت الرب ملآن من مجده».

مستقر حكمة الله ــ وقد رأت الكنيسة أيضاً تطبيق النص التالي على العذراء: «الحكمة ابتنت لها بيتاً ودعمته بسبعة أعمدة وذبحت ذبائحها، ومزجت في كأس خمرها وأعدت مائدتها وأرسلت عبيدها ينادون بعالي الصوت: من كان جاهلاً فليجنح إلي...» ألا نرى هنا صورة الكنيسة نفسها تنطبق على العذراء؟ وخصوصاً في «يا من بها جميع تراب البشر قد أعيدت جبلته جسداً لله».

وهذا شيء مما يقال في رقادها:

ماتت ــ «إن ينبوع الحياة قد وضعت في قبر، واللحد صار سلماً

مصعدة إلى السماء».

انتقلت إلى المجد ــ «لقد انتقلت اليوم من الأرض إلى السماء، فمجدك حسن البهاء يسطع بأشعة المواهب الإلهية».

الجنود السماوية كانت تتقدم الجسم: «هوذا ملكة الكل، الفتاة الإلهية قد أقبلت. هي التي لا يمكن النظر إليها».

لم تمت ــ «كرامتها تفوق العقول وهي حية على الدوام مع ابنها اللابس الحياة».

تمجدت رأساً ــ «انتقلت بتمجيد وبحال تفوق الوصف على يدي ابنها وسيدها».

ماتت بالجسد فقط ــ بينما كان الرسل يهتمون بجسدها كانت الملائكة يقول بعضها للبعض الآخر: «ارفعوا أبوابكم وتقبلوا والدة صانع السماء والأرض».

«لأنك انتقلت إلى الحياة بما أنك أم الحياة».

ما ماتت حتى ولا بالجسد ــ كثير من القطع في الطقوس يتحدث عن انتقال العذراء دون ذكر رقادها. «في رقادك موت بدون فساد. لأنه كيف تجهز أم الإله بالأطياب كمائتة؟».

وهنالك ترنيمة تقول: «عندما كان يهيأ انتقال جسدك الطاهر، أحدق الرسل بالسرير ناظرين إليك برعدة».

ماتت ــ فبعضهم تأمل بالجسد فاعتراه الذهول وأما بطرس فهتف

نحوك بالعبرات قائلاً: «أيتها البتول إني أراك جلياً ملقاة طريحة يا حيـــاة الكـــل فاندهش».

دفنت ــ «إن مصف الرسل قد دفن جسمك القابل الإله ناظرين إليه باحتشام».

انتقلت بالروح ــ «إن القوات الملائكية ذهلت لما شاهدت ســيدها ضابطاً بيديه نفساً نسائية وهو يخاطبها قائلاً:

ماتت بالجسد ــ «هلمي أيتها العفيفة لتتمجدي مع ابنك وإلهــك». وهنالك حث على تقبيل ضريح العذراء. على كل حال العذراء تقول: «أيهـــا الرسل اضجعوا جسدي وأنت يا ابني وإلهي اقبل روحي».

لم تمت ــ غير أن هنالك تأكيداً لا يجوز أن نمر به عبوراً سريعاً وهـــو الآتي: «إن والدة الإله لم يضبطها قبر ولا موت لكن بما أنها أم الحياة نقلـــها إلى الحياة الذي حل في مستودعها الدائم البتولية».

من كل ما سبق ذكره نقدر أن نستنتج:

١- إنها تتصف بما لا يتصف به غيرها من البشر فإذا قيل عنها: «التي هي أكثر إكراماً من الشيروبيم، وأرفع مجداً بلا قياس من السيرافيم» فذلك لا مغالاة فيه.

٢- إنها أداة للإعلان الإلهي ولذلك فهي مخلصة وهي منقذة من الآثام.

٣- هي الباب الوحيد الذي يصل السماويات بالأرضيات ولا بأس هنا أن نغالي ونقول: إذن لا خلاص إلا من خلال العذراء وليس بواسطتها مباشرة.

٤- إنها السماء الحي وهيكل اللاهوت التي لم تعرف الفساد (بالمعنى الفلـــسفي)

ولذا فهي غير مائتة وهي جزء أساسي وعنصر أولي في عملية الخلاص رآه الله وهيأ له منذ الأزل.

٥- بما أنها لا تقبل تغيراً في جسدها فهي بتول أثناء الولادة كما كانت قبلها، وبقيت بتولاً حتى بعد الولادة.

٦- وأخيراً إنها بيت حكمة الله التي أولمت وليمة ودعت إليها الجهال.

٧- وبكلمات موجزة العذراء صورة مصغرة للكنيسة، كنيسة الله في السماء وعلى الأرض.

٨- أما رقادها فيثير القارئ الأرثوذكسي للترانيم الطقسية إلى الوقوف أمام التشعبات التي رأيناها:

أ. ماتت العذراء أم لم تمت؟

ب. دفنت أم لم تدفن؟

ج. انتقلت بكاملها أم انتقلت روحها فقط؟

د. انتقلت إلى السماء، أم إلى الفردوس، أم مباشرة إلى مجد ابنها؟

والغريب أن لكل من هذه الأسئلة جوابين: نعم ولا. وهكذا فإننا نجد أن الطرفين الإيجابي والسلبي اللذين وجدناهما في الكتاب المقدس وفي التعبير الفني عن حياة العذراء ووصفها اللاهوتي، أقول نجد هذين الطرفين في النصوص الطقسية. هذا إلى جانب أمرين مهمين:

١- ليس من نص طقسي واحد يبحث قصية العذراء بالاستقلال عن ابنها.

٢- إن الكنيسة تصلي لا للعذراء فقط ولكن من أجلها إذ نقول: «أيضاً نقرب

لك هذه العبادة الناطقة من أجل المتنحين بإيمان الأجداد.. وكل روح صـــديق توفي بإيمان وخاصة من أجل الكلية القداسة الفائقة البركات المجيدة سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم».

وهذه النتيجة كما ترون لا تختلف عما وصلنا إليه في النقطتين الأوليين اللتين بحثناهما:

نصلي للعذراء ولكننا نصلي أيضاً من أجل العذراء.

٤ـ العذراء في اللاهوت الأرثوذكسي:

١- النصوص الكتابية لا تفهم بالضبط إلا في الكنيسة.

٢- النصوص الطقسية لا تفهم إلا كعبارة عن وضع طيب أساسه الإيمان والحياة في الكنيسة ولكنه لا يصلح أن يكون أساساً للاهـــوت وخـــصوصاً إذا كـــان وحده. الشعر شيء والقانون شيء آخر.

٣- أما التعبير الفني فهو تماماً التعبير عن النصوص الطقسية وفيه من العاطفية ما فيها. وهو بدوره لا يصلح وحده أساساً للاهوت المريمي في الكنيسة.

٤- التعبير الصحيح الذي يعرف أين يكون دقيقاً وأين يكون غامضاً هو التعبير اللاهوتي وهذه آخر نقطة نبحثها.

كيف عبر اللاهوت الأرثوذكسي عن موقفه تجاه والدة الإله.

١ـ عن ولادتها من والديها: ولدت ولادة طبيعية وكانت تحمل معها الخطيئة الجدية مثل سائر الناس. وفي الكتاب المقدس ليس من شيء واضح في هذا الأمر كما أن كل مشكلة الخطيئة الجدية كما يفهمها اللاهوتيون غير واضحة تمامـــاً

فيه. أما عقيدة الحبل بلا دنس فلا نأخذ بها لأنها:

أ ــ لا تستند إلى أساس كتابي واضح.

ب ــ تخالف الرأي الذي يقول: كل خلاص صار على الصليب وليس من خلاص قبل الصليب. العذراء تخلص ولكن بالصليب وليس قبله.

ج ــ حتى هذا الرأي ضعيف جداً لأنه يحصر الخلاص بحدث الصليب بينما اللاهوت الأرثوذكسي يشدد على أن التجسد هو عملية الخلاص والصليب حدث من أحداث التجسد و لم يكن فيه المسيح أكثر ألوهة منه في غيره. وربما كان الصحيح أن نقول مع ناظم خدمة المديح: «مع الصوت تجسد سيد الكل» ومع تجسده في العذراء حصل خلاصها. نعم إنها أول مَن تخلّص لأنها في وضع خاص. وهذا تخالفه عقيدة الحبل بلا دنس.

د ــ وجه الشبه بين حواء الأولى وحواء الثانية أن كلتيهما «أم كل حي» غير أن الفرق بينهما هو: أن الأولى سارت بملء حريتها من الصلاح إلى الخطيئة الجدية أما الثانية فقد سارت من الخطيئة الجدية نحو الصلاح. الأولى قبلت الخطيئة وأشركت معها الجنس البشري والثانية قبلت الخلاص وأشركت معها الجنس البشري.

عقيدة الحبل بلا دنس تهدم هذه العلاقة وترى نفسها مجبرة على التأويل الطويل والمنطق الذي لا يرتكز على الكتاب المقدس.

هـ ــ وأخيراً يصعب علينا، لا بل يستحيل أن نأخذ بعقيدة الحبل بلا دنس لأنها تضعف سر التجسد أضعافاً يفقده جل معناه. وفي الحقيقة ما معنى التجسد إذا لم يكن التجسّد في الطبيعة الإنسانية كما أراد الله خلاصها. ما معنى التجسد

إذا حصل في برج عاجي يختلف عن أية طبيعة من طبائع أولئك الذين يريد الله خلاصهم؟ عقيدة الحبل بلا دنس تقتطع العذراء من الطبيعة الإنسانية وتبعدها واقعياً عنها فيكون قد انهدم القرب الذي أتى المسيح من أجله، القرب بين الله والناس.

و ــ أخيراً إن تفسير كلمتين من الكلمات اليونانية وعصر الكلمتين عصراً ظاهراً لا يكفي لقيام عقيدة ولا لإرجاعها إلى الكتاب المقدس. هنا اعتذر الا أوافق الأب جورج فاخوري البولسي على رأيه.

ز ــ أعتقد أن اختلافنا واخوتنا الكاثوليك يعود في النهاية إلى اختلافنا وإياهم على النعمة والطبيعة من ناحية والاستحقاقات من ناحية أخرى.

غير أن من واجبي الاعتراف بأن المسألة ليست بسيطة إلى هذا الحد.

٢ـــ عن قيمتها بحد ذاتها: إن قيمة العذراء في الكنيسة الأرثوذكسية لا تحد. وعندما عرّفها مجمع أفسس المسكوني بوالدة الإله لم يقصد إضعاف قيمتها بل إعلاءها. صفتها الأولى والأخيرة انها «والدة الإله». هنا تنقلب الآية عما هي في الواقع العادي: الأم تنسب إلى ولدها من حيث القيمة لا الولد إلى أمه: أما يردد المرنم أنه ابنها وإلهها، ابنها وسيدها إلى ما هنالك من عبارات تعطيه الأولية عليها؟ وهنا يجدر بنا العودة إلى الفن الأيقونوغرافي الذي يمثل العذراء، لا وحدها، كما في الغرب، بل مع ابنها ذلك الذي هي له أم ولذا فهي ما هي.

إذن، وباختصار، كل موقف من أم الإله يمزجها أماً بالناس الخطأة عملياً كما يفعل البروتستان أو بابنها المخلص كما يكاد يفعل بعض اللاهوتيين الكاثوليك، وهو موقف إما أن يحط من كرامتها وإما أن يمحو عنها إنسانيتها.

العذراء نعم الوسيط بين الرب يسوع والناس إذ فيها التقت ألوهة الابن بطبيعة أبناء آدم وتجسدت فيها.

وإذا أوغلنا قليلاً في التفكير وصلنا إلى نقطة هامة وهي أن العـذراء لا تختلف عن الكنيسة جوهراً. يقول بولغاكوف: «في رأي الأرثوذكسي لا كنيسة بدون العذراء». وهذا قول صحيح صميمياً إذ أن في العـذراء اجتمعـت أولاً العناصر التالية: الإنسان، الروح القدس فكان رأس مضمونها المخلص. والكنيسة اجتمعت بها ثانياً وفي الزمن العناصر نفسها. وإذا لم تكن الكنيسة تحوي المسيح كما حوته العذراء، وإن لم تحوِ المسيح وهي مشاركة العذراء احتواءها إياه، فهي ليست كنيسة.

إن كل تفكير يبعد العذراء عن الكنيسة يقطع الصلة بين النعمة والطبيعة الإنسانية التي في العذراء قالت لها: «هاءنذا أمة للرب». وإن كل فصل أو مقابلة بين العذراء وابنها لهو فصل لا يرتكز على شيء كتابي أو لاهوتي: المسيح وأمه شخصان إذا أكرمت أحدهما أكرمت الثاني. ونحن نكرم أحدهما الأم حتى نكرم الابن لأننا نعرف هذه المرأة قبل كل شيء أماً لهذا الابن.

٣. ولنقل الكلمة الأخيرة في انتقال العذراء:

العيد ١٥ آب: حديث بين ٦١٠ و٦٤٩. يوحنا مطران تسالونيكية صـاحب قصة اليهودي. القديس Modeste بطريرك أورشـليم (مـات عـام ٦٣٤)، هيبوليتس الطيبي (شخص مجهول كتب بين ٦٥٠ و٧٥٠) القديس جرمـانوس بطريرك القسطنطينية (مات ٧٣٣) الذي أعطانا المقاطع في السنكـسار عـن الرسالة من يسوع إلى أمه لما حان أوان انتقالها. القديس اندراوس الـذي مـن أقريطش مات (٧٤٠). القديس يوحنا الدمشقي (توفي ٧٤٩) في مواعظه ذكر

العيد والانتقال.

أما الذين رنموا لهذا العيد وأعطونا العبارات الطقسية التي رأينا فهـــم: قزما مايوما وثيوفانس غرابتس أسقف نيقية (توفي ٨٤٥)، ثيودورس أبو قـــره (مات ٨٢٠)، ثيودورس الأسطوذيتي (مات٨٢٦)، الراهب أبيفانيوس (أوائـــل القرن التاسع) الراهب ثيوغنسطس (مات ٨٧١)، جورج الذي من نيقوميديـــة (مات بعد ٨٨٠) والإمبراطور ليون السادس العاقل (مات ٩١٢). كل هـــؤلاء ذكروا الشيء الكثير عن انتقال العذراء ولكنهم لم يحددوا موقفهم بشكل جازم.

وهكذا فإن الوضع الحالي للقضية هو ما يلي:

لا تزال فكرة انتقال العذراء فكرة في الكنيسة وليست عقيدة. وأجسر أن أقول إنها عقيدة من حيث المضمون وليست عقيدة من حيث الشكل. ليست في دستور الإيمان ولكنها موضوع إيمان في الكنيسة. على كل حال اعتمدت.

معمودية الأطفال*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

المعمودية عامة:

لا يذكر الإنجيليون أن يسوع نفسه قد عمَّد أحداً. ومع أن يوحنا يؤكد أن المسيح عمَّد (٣: ٢٢) فهو يعود إلى إصلاح ذلك فيقول في (٤: ٢) «ولم يكن يسوع يعمد بل كان تلاميذه يعمدون». ولنلاحظ أيضاً أن المخلص لم يقل: «اذهبوا وتلمذوا كل الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى٢٨: ١٩) إلا قبل انتهاء التدبير الخلاصي بفترة قصيرة وبالتأكيد بعد الآلام فالصلب فالقيامة. وهذا يضعنا أمام ارتباط وثيق بين المعمودية التي طلبها المسيح من المؤمنين به وآلامه وصلبه وقيامته. وهكذا جعلها ضرورة لازمة.

المعمودية عند اليهود:

كان اليهود يفرضون المعمودية فقط على معتنقي اليهودية وهم من أصل غير يهودي. ولم يطلب يوحنا المعمدان المعمودية من الجميع بدون استثناء إلا ليقول: أصبح اليهود غرباء عن إسرائيل الحقيقي لأن إسرائيل الحقيقي الجديد قد أتى وهو المسيح والجميع مدعوون للاشتراك فيه.

معمودية يوحنا:

والفرق بين معمودية يوحنا والمعمودية المسيحية مذكور في (متى٣: ١١ ولوقا٣: ١٦) حيث نقرأ: «أنا أعمدكم بالماء لمغفرة الخطايا وأما هو فسيعمدكم

* ١٩٥٩

بالروح القدس وبنار». ومن الواضح أن العنصر المزاد في هذا النص هو عنـــصر النار. ومن الواضح أيضاً أنه يربط المعمودية المسيحية بالمصير الأخـــير، بالـــدهر الآتي، بالدينونة. وأما الروح القدس في هذه المعمودية فبإمكاننا القول فيه إنـــه العنصر الجديد الذي يميز ويفرق بين معمودية يوحنا والمعمودية المسيحية. وهذا يوضح لنا كيف أن الكنيسة لجأت إلى المعمودية المقدسة حالاً بعد العنصرة وأن ذلك لم يكن منها دعوة إلى الوراء إلى معمودية يوحنا بل خطوة أكيـــدة نحـــو الملكوت، كما أنه يوضح لنا أن المعمودية مرتبطة بحلول الروح القدس ارتباطها بآلام المسيح وصلبه وقيامته كما رأينا.

المعمودية والروح القدس:

رب سائل يقول: هل تناقض المعمودية المسيحية معموديـــة يوحنـــا؟ الجواب: كلا. لأن مغفرة الخطايا لا تكون إلا بالروح القدس. وخصوصاً وأنها تحدث مع الروح القدس في المعمودية كما ذكر في الأعمال (٢: ٣٨) «وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع لينال غفران الخطايا ويحصل على موهبة الـــروح القدس».

لذلك أمكننا الجزم بأن العنصر الجديد في النهاية في المعمودية المسيحية إنما هو الروح القدس.

الماء والروح:

في الماء كان يحدث التطهير الجسدي صورة عن التطهير الروحي. ولكن التطهير الروحي يحصل بالروح القدس. إذن أمكننـــا القـــول الآن: إن أثـــري المعمودية موحدان. ولهذه الوحدة تفسيران:

التفسير الأول: إن هنالك علاقة أكيدة بين الماء والروح أوحي بها في سفر التكوين عندما يقول: «وكان روح الرب يرف على المياه» (تكوين١: ١) وهذا التفسير قدمه ترتوليانوس.

التفسير الثاني: أما بولس الرسول في الإصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية فيعطينا التفسير الثاني لوحدانية أثر المعمودية إذ يقول: إننا حين نعمَّد، نشارك في موت المسيح وقيامته. وهكذا نشارك المسيح في المغفرة التي حصل عليها من أجلنا إذ مات على الصليب ثم قام.

ناحية جديدة:

وفي الإصحاح السادس المذكور نتعلم أننا نصبح مع المسيح «غرسة جديدة» (رو٦: ٥) عندما نتعمد أي نموت معه ونقوم معه. فالتغطيس في الماء لم يعد إذن غسلاً منظفاً ومطهراً فقط. إنه مربوط بالدفن مع المسيح (٥: ٤) وبعدئذ بالسير في جدة الحياة (٥: ٤) وجدة الحياة تعني السير بحسب الروح القدس (غلاطية٥: ٦).

الخلاصة:

صار الآن يمكننا إيجاز ما سبق بقولنا: مغفرة الخطايا في المعمودية توازي آلام المسيح وصلبه في التدبير الخلاصي، ونعمة الروح القدس في المعمودية توازي قيامة المسيح وصعوده والرابط الضروري الأكيد بين الآلام والصلب من جهة والقيامة والصعود من جهة ثانية هو نفسه الرباط بين التغطيس ومغفرة الخطايا في المعمودية ونعمة الروح القدس. وكما أن المسيح الواحد تألم مرة وصلب وقام مرة واحدة كذلك فالمعمودية واحدة ومن هنا القول: «أومن بمعمودية

واحدة...»

معمودية المسيح من يوحنا:

ولكي نزداد وثوقاً من علاقة المعمودية بالمسيح يجب علينا أن نبحث في المعمودية التي قبلها يسوع على يد يوحنا المعمدان. والسؤال: لماذا اتخذ يسوع معمودية معدة للخطأة وهو لم يكن خاطئاً؟ أوَ لم يتعجب المعمدان نفسه ويسأل المسيح: «أنا محتاج لأن اعتمد منك، أوَ أنت تطلب مني المعمودية؟» (متى٣: ١٤) الجواب عن هذا السؤال تجده في الصوت السماوي القائل: «أنت ابني الحبيب الذي به سررت» (مرقس١: ١٠ ومتى٣: ١٦ ولوقا٣: ٢٢).

الجواب: الصوت السماوي، صوت الآب، ردد العدد الأول من الإصحاح الثاني والأربعين من أشعياء النبي والذي يتوجه إلى «عبد يهوه» العبد الذي كان يجب أن يتألم مكان شعبه. «أنت ابني الحبيب الذي به سررت» تعني: «أنت يا يسوع تقوم وتتم دور عبد يهوه الذي يتألم عن شعب الله ويحمل خطاياه. يأتي اليهود إلى المعمودية ليتطهروا من خطاياهم هم. وأما أنت فتعتمد لمغفرة خطايا الشعب. نعم أنت تعتمد استعداداً للآلام». وبما أن يسوع كان مستعداً لتحمل أعباء الشعب لم ينفصل عنه بل أتى معه إلى الأردن بالرغم من عدم حاجته الشخصية إلى المعمودية. وهذا يفسر أن يسوع قال ليوحنا: «يجب أن نتم كل بر» لا برّنا وحدنا يا يوحنا.

معمودية المسيح إذاً مقدمة لآلامه. وإذا كان لم يعمد هو نفسه فلأنه يعرف أن المعمّد مدعو إلى: «الآلام فالموت من أجل الشعب» وهو أتى ليموت لا ليميت. (وفي الواقع استعمل المخلص مرتين كلمة المعمودية بمعنى الموت: مرقس١٠: ٣٨ ولوقا١٢: ٥٠). إنه لا يعمد أفراداً لأنه يقوم بمعمودية عامة هي

معمودية الموت. وبوسعنا منذ الآن وفي أذهاننا معمودية الأطفال الملاحظة بأن هذه المعمودية، المعمودية التي قام بها المسيح، لا ترتبط بإيمان المعمَّدين ولا بفهمهم ولا بإدراكهم.

وها نحن نقترب أكثر فأكثر من معمودية الأطفال.

مما سبق في وسعنا الاستنتاج أن المعمودية الحقيقية ـــ معمودية الموت ـــ قد قام بها المسيح وأتمها كما قام بالخلاص وأتمه، لأنه هو «أحبنا أولاً». يبقى الآن أن نبحث بالمعمودية الفردية وعلاقتها بتلك التي تممها المسيح.

لا يمكن أن تكون المعمودية الفردية إلا أخذ علم بالمعمودية التي قام بها المخلص من أجلنا. لذلك وجب أن يكون المعتمد قادراً على أخذ العلم بذلك، ولذلك لا يمكن أن يكون طفلاً.

قبل الجواب على هذا الاعتراض يجب أن نؤكد للذين يريدون برهاناً لمعمودية الأطفال من الكتاب المقدس أن الكتاب المقدس لا يزودنا ببراهين حسابية عن هذا الموضوع حتى ولا العبارة «واعتمد هو وأهل بيته» تكفي لتكون برهاناً حسابياً. هذه الفئة نطلب منها النظر إلى النص كما هو على ألا تمزج بينه وبين التعليم عن المعمودية وهو شيء آخر.

كما أنه يجب أن نؤكد لناكري معمودية الأطفال أنه ليس في الكتاب المقدس مكان واحد تنكر فيه معمودية الأطفال. وإن هذه المشكلة لم تطرح في الكنيسة الأولى وفي الكتاب المقدس كما يريدون هم طرحها. إنهم ينسون أن الكنيسة لم تكن مؤسسة ولكن في طور التأسيس وإن ظروف ممارسة معمودية الأطفال لم تكن إلا من نوعين:

١- عندما تحدث معمودية جماعية.

٢- عندما كان يولد للمؤمنين أولاد بعد انتمائهم للكنيسة.

ولو تطلعت هذه الفئة إلى كتابات العلاّمة يواكيم أرميا لعرفت أنه أكد أن اليهود كانوا يعمدون الأبوين والأولاد عندما كانت عائلة تعتنق الدين اليهودي. ويذهب هذا العلاّمة إلى أن الكنيسة الأولى لم تتوقف عن معمودية الأطفال، كما وأن النصوص (مرقس١٠: ١٣ ومتى١٩: ١٣ ولوقا١٨: ١٥) والتي تبدي يسوع مباركاً الأطفال، هذه النصوص ترجح الكفة نحو تعميد الأطفال في العهد الجديد.

ويتوجه العلاّمة أوسكار كولمن إلى فئة الناكرين فيقول: لا يحتوي العهد الجديد على أثر لمعمودية كانت لكبار من أصل مسيحي، كبار تربوا على أيدي أبوين مسيحيين. فإذا كانت معمودية تحتاج إلى برهان كتابي فهي في الحقيقة معمودية المعمدانيين الناكرين على الكبار تعميد أطفالهم.

والنص الوحيد الذي نعرفه عن أولاد الأبوين المسيحيين هو (١كور٧: ١٤) وهو لا يؤكد معمودية الأطفال ولا ينفيها.

وهكذا نعود إلى الناكرين معمودية الأطفال بكلمات أوسكار كولمن نفسها فنقول: «على الناكرين على معمودية الأطفال صفتها الكتابية الخضوع للواقع، لأن ما يدعونه أعني المعمودية المتأخرة لأطفال ولدوا من آباء مسيحيين وتربوا على أيديهم، أقل برهاناً في العهد الجديد من معمودية الأطفال، ولترد أن ما يدّعونه لا مستند له في العهد الجديد على الإطلاق».

في هذه الحقبة من بحثنا الكامل يمكن أن نطلب إلى كل مَن يريد أن

يبرهن حسابياً من الكتاب المقدس عن معمودية الأطفال أو ضدها أن يقلع عن مراده لأن الموضوع الصحيح ليس البرهان وإنما انطباق معمودية الأطفال على مفهوم المعمودية في العهد الجديد أم عدم انطباقها. هذا هو الموضوع الحقيقي.

قبل البدء بالجواب عن الموضوع الحقيقي نرى من الواجب لفت القارئ إلى الملاحظتين التاليتين:

أولاً: غير صحيح الذهاب إلى أن ميزة الكنيسة الأولى الأساسية تنحصر في فرض الاعتراف بالإيمان على كل من يود الانتماء إليها. ذلك لم يكن سوى ناحية واحدة من نواحي حياتها. وفرض الاعتراف بالإيمان كان يرافق مجرى حياة المؤمن كلها، فكان يعلن إيمانه في كل خدمة واستقسام وفي تعاليم الكنيسة وخصوصاً أمام المحاكم (١بطرس٣: ١٥).

ثانياً: إذا كان الإيمان موجوداً عند معمودية الشخص البالغ فهذا لا ينتج عنه أن الإيمان المعبّر عنه كان فرضاً على كل مقبل على المعمودية، أو أن الاعتراف بالإيمان والمعمودية لا ينفصلان.

وإذ ندخل الموضوع مباشرة فسنحاول كما وعدنا برهان نقطتين اثنتين وهما:

أولاً : إن مفهوم المعمودية الكتابي ينطبق على معمودية الأطفال.

ثانياً : النصوص الكتابية التي تبرر معمودية الأطفال قابلة للتطبيق على معمودية البالغين.

النقطة الأولى: لما كانت المعمودية إجمالاً مرتبطة بمعمودية الموت التي تممها المسيح بموته وقيامته وجب أن تكون طبيعتها كطبيعة عمل الخلاص الذي قام به

يسوع. وبما أن عمل الخلاص ــ بمقدار ما هو آت من المسيح ــ لا علاقة له بإيمان الخاطئ أو عدم إيمانه، بوعيه أو عدم وعيه، لذلك لا يمكن أن تكون المعمودية من حيث أنها فعل إلهي مشروطة بإيمان المعتمد أو عدم إيمانه بوعيه أو عدم وعيه.

المعمودية والمناولة:

ولما كانت المعمودية، كالمناولة، دعوة إلى الاشتراك الفعلي في جسد المسيح، دعوة هي نعمة من عل لا نتيجة إرادة بشرية، صار في وسعنا الفهم أن يأتي الإيمان نتيجة للدعوة الإلهية التي يطلقها الله في نعمة المعمودية، لا سابقاً للدعوة.

فيكون في كل الأحوال، عند الصغار والكبار، ارتضاء المسيح أن تتسع كنيسته كشبكة الصياد لتحتضن عضواً جديداً، سابقاً حتماً الجواب الفردي الواعي الذي قد يأتي أو لا يأتي أبداً.

وكما أن إيمان المتناول أو وعيه لا يزيد أو ينقص في شيء طبيعة الجسد والدم، كذلك الإيمان على ضرورته، ليس الشرط الوحيد الأول لحدوث المعمودية، خصوصاً وأن المعمودية هي أيضاً اشتراك في جسد المسيح ووجود في الوحدة مع سائر الأعضاء.

نوجز ما نلاحظ في هذه الحقبة من الموضوع فنقول: بين العنصرين المعمودية والإيمان يجب أن يبقى الترتيب هكذا: معمودية فإيمان. وليس في الكتاب المقدس ما يبرر الترتيب: الإيمان أولاً ثم المعمودية أو أن الإيمان يجب أن يرافق المعمودية. والقاعدة أن المسيح هو المخلص، وهو لا ينتظر إيماننا ليدعونا،

ذلك وقوع في هرطقة البيلاجيين. على العكس كل إيمان استجابة لدعوة مسبقة يوجهها المسيح في الروح القدس. وفي المعمودية لا يتغير هذا الترتيب العام.

ولنأخذ الجنسية في الدولة كمثال على ذلك. فالأساسي في الجنسية حدوثها أو حصولها لا أن يعرف المواطن أنه متجنس. كل ما في الدولة ينفتح أمام المواطن رضي أن ينتفع بذلك أم لا، عرف ذلك أم لم يعرف. وإذا كان له أولاد فيكتسبون جنسية أبيهم عرفوا أم لم يعرفوا رضوا أم لم يرضوا. كذلك لا فرق بين من اكتسب الجنسية هكذا ومن اكتسبها بعد أن طلبها عن عقيدة ووعي. كذلك في المعمودية المسيح هو الذي يعمد ويضم إلى جسده عضواً جديداً.

وبعدئذ يأتي دور المعمّد ليغنم من المعمودية أم لا. من الخطأ الذهاب إلى أن المعمّد يعتمد لنفسه بمجرد إيمانه هو ومن ثَمّ يأتي دور المسيح. هذه هي بالضبط الهرطقة البيلاجية.

دور الإيمان:

دور الإيمان الحقيقي يأتي في استمرار نتائج المعمودية ولكنه لا يسبب المعمودية. الروح القدس الفعال يضم إلى الكنيسة عضواً جديداً وإيمان العضو الجديد يؤمن بقاءه مزاداً على أعضاء الكنيسة بقطع النظر عن عمره أو علمه أو وعيه. غاية المعمودية لا أن يؤمن إنسان أو لا يؤمن، بل أن ينضم إلى جسد المسيح أم لا ينضم. وعملية الضم فاعلها الروح القدس ولا إيمان صحيح خارج الروح القدس. والآن فيما يخص الطفل السؤال ليس إذا كان الطفل مؤهلاً للاستجابة للروح القدس. السؤال الحقيقي هو فيما إذا كان الطفل مؤهلاً للاستمتاع بمواهب الروح القدس. والجواب حتماً نعم، وهو يتمتع بها كما

يتمتع بخلاص يسوع الذي منحه بالتجسد والصليب والقيامة.

إذن مفهوم معمودية الأطفال ينطبق على مفهوم المعمودية العام في الكتاب المقدس. وننتقل الآن إلى النصوص الكتابية لنرى أنها تنطبق على معمودية الأطفال انطباقها على معمودية البالغين.

١- «دعوا الأولاد يأتون إليَّ... ثم وضع يديه عليهم وباركهم» (متى١٩: ١٣...الخ). نحن نعرف أن وضع اليد دليل على حلول الروح القدس وأن ذلك حصل عندما أرسل الرسل بطرس ويوحنا لوضع اليد على أهل السامرة وكان أن حل عليهم الروح. إذن ما حصل للصغار حصل للكبار بالطريقة ذاتها وللغاية ذاتها.

٢- (أعمال٨: ٢٦...الخ) حدثت معمودية الخصي في مجموعة من الناس. وكانت هذه المجموعة تهتم لكون هذا الشخص يتعمد فيها وينضم إليها (الجماعة المتفرجة الباردة تكف عن كونها كنيسة ويكف الروح القدس عن الدفق فيها). ولا نرى لماذا لا تحدث معمودية الطفل في جماعة مؤمنة ولا يصل الروح القدس الفعال في الكنيسة إلى طفل ولد فيها.

٣- النص الذي يتكلم عن الزواج (١كور٧: ١٤) يتحدث عن تقديس رجل بامرأة والعكس وتقديس الأولاد بمجرد وجود أحد أهلهما مقدساً. فإذا عنى هذا النص شيئاً فإنما عنى أن هنالك قداسة جماعية وتقديساً جماعياً وانتماءً جماعياً إلى عائلة الروح القدس. وهذا يوصلنا إلى نتائج مهمة.

أولاً: «إن الوجود في جسد المسيح غير متوقف على قرار شخصي مسبق».

ثانياً: إن فكرة التقديس الجماعي تقاوم وتعاكس القول: بأن أولاد المسيحيين <u>لا</u>

يقدرون أن يتقبلوا المعمودية إلا بغد أن يتخذوا هم قراراً بذلك.

ثالثاً: لا عجب إذن أن يكون هنالك معمودية لأطفال المسيحيين. كما لا عجب أن يكون إيمان العائلة، ممثلاً بشخص الأب أو الأم، الإيمان الفعال، لا الإيمان الفردي.

٤- عند ذكر عبور البحر الأحمر (١كور١٠: ١ وما يليه) نلاحظ أن الشعب بمجموعه أعطي البركة — ونحن نعلم أن العبور رمز للمعمودية — ولم تُعط البركة لكل عبري بمفرده. كذلك الكنيسة وهي نسل إبراهيم الحقيقي (غلا٣: ١٦ ورومية٤: ١١ و٥: ١١، ١٢ و٢كور١: ٢٢ وأفسس١: ١٣ و٤: ٣٠) واستمرار لإسرائيل العتيق تعطى النعمة مجموعة ليس فقط كأفراد. وهنا أيضاً لا فرق إن كان الفرد رجلاً بالغاً أم طفلاً.

تدعى المعمودية في الكتاب المقدس «ولادة ثانية». والولادة الثانية تشبه الولادة الطبيعية. وفي ضوء هذا التشبيه نسأل: هل يجب أن يوجد الإيمان عند المعتمد في وقت التعميد؟ الجواب حتماً: لا. لأن الولادة شيء واستمرارها شيء آخر. وإذا فاجأ الموت المولود فهذا لا يعني أن الولادة لم تحصل ولم تكن حقيقية. هكذا المعمودية إذا لم يرافقها الإيمان هي بدء حقيقي يفترض استمراراً، حتى إذا حدث الاستمرار. وهي بالنسبة إليه ليست نتيجة ولا هي مشروطة به. إذن كما رأينا سابقاً أنه ليس من الضروري أن يسبق الإيمان المعمودية، نرى الآن أنه ليس من الضروري أن يرافق الإيمان المعمودية.

غير أن المهم في الإيمان مع المعمودية هو الإيمان الجماعي كما رأينا في عبور البحر الأحمر. ففي هذه الصورة أمكننا التأكد أن الوعد المعطى للشعب كمجموعة يختلف عما حدث لبعض ذلك الشعب إفرادياً (رو٥: ٧).

وهذا يزيد إيماننا بأن المهم في النهاية أن يتبع الإيمان المعمودية وليس العكس لأن المعمودية هي الولادة، هي نقطة الانطلاق والبدء الذي لا يسبقه أي شيء.

وقد يسأل البعض: لماذا كانت الكنيسة الأولى تفرض الإيمان شرطاً للقبول في أحضانها؟ الجواب إنها كانت تعتبر الاعتراف بالإيمان دليلاً على أن طالب المعمودية مؤهل لأن يؤمن في المستقبل. إنه إشارة إلى إمكانية اندماج طالب المعمودية في جسد المسيح.

والشيء الذي ينساه محاربو معمودية الأطفال هو أن الكنيسة كانت تطالب بالإيمان والتعليم قبل المعمودية فقط اليهودي أو الوثني لا من وُلد من أبوين مسيحيين وعرف الوجود في بيئة الكنيسة.

وبعد، أليس عند الطفل المولود في جو مسيحي ضمانة أهم من تلك التي يؤديها غريب يعترف بالإيمان؟

الإيمان يأتي أولاً عند الكبار الآتين إلى الكنيسة من اليهودية أو الوثنية. وهذا لا علاقة له بمعمودية الصغار المنحدرين من أصل مسيحي. وفي الحالين جوهر المعمودية يبقى واحداً في كليهما أعني أن الإيمان يأتي بعد المعمودية ليؤمن استمرارها ولا يسببها أو يكون مصدرها. ويزداد ذلك ثبوتاً في أذهاننا إذا عدنا إلى حادث حارس السجن (أعمال١٦: ٣١) الذي وجهت دعوة المعمودية إليه هو فكان أن عم الخلاص بيته بأسره.

لذلك لا يستهن إنسان بقيمة إيمان الجماعة أي الكنيسة. إنه جزء أساسي من عملية المعمودية والدليل أن المؤمنين كانوا يصلون لطالب المعمودية

(أعمال٨: ١٥) والمسيح نفسه شفى المقعد في سريره (مرقس٢: ٥) وقال له: «مغفورة لك خطاياك» عندما رأى إيمان حامليه لا إيمانه هو. وكم مرة شفى مريضاً قبل ملاقاته بمجرد طلب أحد أهل المريض والتعبير عن إيمانه، فكانت الأعجوبة في المريض تسبق إيمان المريض؟

ختام: والآن بعد أن رأينا أن:

١- المعمودية يسببها المسيح لا الشخص المعتمد.

٢- مشكلة معمودية الأطفال ليست موضوع برهان وإنما هل تنطبق هي على مفهوم المعمودية العام أم لا.

٣- إيمان المعتمد ضروري لقبول نعمة المعمودية بعد حصولها ليؤمن نتائج المعمودية واستمرارها.

٤- النصوص التي تنطبق على معمودية الكبار تنطبق على معمودية الصغار.

٥- مشكلة عدم تعميد الصغار المنحدرين من أبوين مسيحيين لم تكن يوماً مطروحة في الكنيسة الأولى.

بعد كل هذا صار يمكننا اختتام هذا الموضوع بإيجاز، محددين جهد المستطاع مكان الإيمان بالنسبة إلى المعمودية فنقول:

إن الإيمان **قبل** المعمودية ضرورة تطلب من اليهود والوثنيين القادمين إلى الكنيسة إشارة إلى أن الله يريد هؤلاء الغرباء وإلى أن الكنيسة بالتالي تقدر هي أن تعمدهم.

في المعمودية يطلب الإيمان من جماعة المؤمنين المجتمعة لتصلي من

أجل المعمود.

ولكن بعد المعمودية يطلب الإيمان من كل معتمد باسم الآب والابـــن والروح القدس.

أن تحب*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

«ما هي أعظم الوصايا في الناموس؟» هذا هو السؤال الذي طرحه على يسوع أحد الفريسيين مجرباً إياه. فأجابه يسوع: «أعظم الوصايا أن تحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك... وقريبك كنفسك» (متى٢٢: ٣٨).

موضوعنا اليوم المحبة. وسنجرب أن نرى مكانها في تركيب الإنسان كما فهمه اللاهوت العبري.

إذا عدنا إلى العهد القديم وجدنا في سفر التكوين أن الإنسان نتيجة لعمل إلهي هو عمل الخلق وفاعل لعمل موجه إلى الله، فهو مخلوق بالنسبة إلى الله وخالق بالنسبة إلى الكون.

نقرأ في سفر التكوين ذاته: «ومات كل من كان في منخريه روح حياة» (تك٧: ٢٢). ويستعمل النص كلمة «روح». الروح حس بالمفهوم العبري وهو عنصر أساسي في المركب الإنساني. الروح كالريح تذهب وتأتي، تروح وتجيء. الروح قدرة، وفعل وعطية. وهي متعلقة بإرادة الإنسان بروحتها وجيئتها، بقدرتها وفعلها وبذلها ذاتها. هي متعلقة بما يسميه العبرانيون «لِبِب» أي القلب، والقلب عندهم مصدر الإرادة ومحركها. فإذا كانت النفس نسمة الإنسان، فالروح هي النسمة في الإنسان. وهذه النسمة خاضعة تمام الخضوع

* ١٩٥٩

للقلب.

وهكذا فإن جملة «أن تحب الرب إلهك من كل قلبك» تعني أن يكون الرب مقصدك وموضوع إرادتك. أن تريد الرب وتختاره، أن تحبه بإخضاع إرادتك له إخضاعاً كلياً. وبعبارة أخرى عليك أن تكون ذا إرادة لا تقاوم الله بل تستلهمه بدون انقطاع، ولا تحاربه بل تحالفه. لأن مركبك الإنساني الطبيعي يفترض ذلك الاستلهام المستمر والمحالفة الوثيقة.

عندما خلق الله الإنسان نفخ فيه «نسمة حياة» (تك٢: ٧) يقول الكتاب. وفي التوراة العبرية الكلمة «نفش» أي نسمة والنسمة متحركة والحياة حركة ونسمة الحياة هي حياة كالنسمة متحركة لأنها حية. تلك النسمة تقطن الدم كما يقول سفر اللاويين (لاو١٧: ١١) وهذا ما يفسر أن العبرانيين لا يأكلون الدم، وهذا ما يفسر أنهم يفهمون بالتقدمة سفك في الدرجة الأولى أي الذبيحة، وهذا أخيراً ما يفسر أنهم لم يكونوا يرفعون إلى مذبح الرب سوى الدم الذي به كانت تطلى قرون المذبح.

إذن عندما تقول التوراة: إن الله عندما خلق الإنسان نفخ فيه «نسمة حياة» هي تعني: أن الإنسان هو أيضاً موجه نحو التقدمة، تقدمة نفسه أمام الله. هو حيوان خلق ليذبح ويضحى به في سبيل الله. وبالتالي جملة «أن تحب إلهك من كل نفسك» تعني أن تكون في كل دقيقة مستعداً لأن تضحي لأجل إلهك. أن تحبه تعني أن يسفك دمك من أجله.

الآن، وبعد هذا الدرس الوجيز لكلمتي «قلب» و«نفس» كما يفهمهما العبران صار يمكننا أن نتطرق إلى علاقة المحبة بهما. «أن تحب» هذا ما يطلب منك. ولكن ما المحبة؟ إن هي إلا ذلك الوضع الداخلي العميق الذي يمتاز بأنه

من صميم طبيعتك فلا يوبخك ضميرك عليه ولا تشعر بأنه مزاد عليك. ذلك وضع داخلي يمتاز باتجاهه نحو الخارج، نحو الآخر، هو دافع لو تكلم لقال لك: قدم نفسك، ابذل، أعط. والمحبة تقديم وبذل وعطاء تمتاز بتمامها وكليتها إذ لا تجزئة في المحبة.

«أن تحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك» تعني في النهاية أن تسخو بنفسك باذلاً الدم ومتجهاً بالقصد نحو الرب إلهك. هي تعني أن تقدم للرب إلهك ما أعطاك لأنك قادر على التقدمة هذه: الإنسان قادر بالطبع على إجابة سؤال الله وتحقيق رغباته، والمخلوق الإنساني، إذا شاء، خير رد على الإرادة الإلهية.

«هذه هي الوصية العظمى والأولى» (متى٢٢: ٣٨). للفريسي الذي يهتم بحرف الناموس إلى حد ينسى فيه السبب الذي وضع الناموس من أجله والكائن الذي وضعه، لهذا الفريسي يقول المسيح: «أن تحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك، هذه هي الوصية العظمى والأولى». هذه هي الوصية العظمى التي بدونها لا تصلح علاقتك بالقريب أخيك. بكل إرادتك يجب أن تحب الله وبكل نفسك يجب أن تقول له: هاءنذا يا رب.

جهاد فظفر*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

قال يسوع لتلاميذه: «وأنتم من تقولون إني أنا»؟ أجاب سمعان بطرس: «أنت المسيح ابن الله الحي». فأجاب يسوع وقال له: «طوبى لك فإنه ليس لحم ودم كشف لك هذا لكن أبي الذي في السماوات، وأنا أقول لك أنت بطرس: إني على هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها». (متى١٦: ١٥-١٨).

إني على هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. هذا يعني أن السيد له المجد يبني كنيسته في عالم هي تختلف عنه، عالم ترتع فيه قوى الجحيم. كما يعني هذا أن وجود الكنيسة في العالم لن يختلف عن طبيعة وجود المسيح فيه: مجرد وجود المسيح ألقى سيفاً، شهر حرباً، دشن عهد دينونة في العالم، والدينونة أن «النور أتى إلى العالم والعالم لم يدركه، إلى خاصته أتى وخاصته لم تقبله».

بنى المخلص كنيسته وأطلقها في العالم إطلاق الأم ابنها فيه: من ولادة بالوجع إلى حياة بالألم، حياة ميزتها أنها صراع لا يتوقف ولا يعرف هوادة.. الكنيسة في العالم لها عدو واقف بالمرصاد يزأر ويزمجر وينتظر ساعة تضعف لكي يزدردها لقمة سائغة، فتموت ويحيا، تختفي وتمحي، ويعلو ويعظم ويزداد شأناً وبأساً.

* عيد الحركة السابع عشر، ١٩٥٩، بيروت.

الكنيسة طرف في معركة بدأت منذ بدأت هي، في نضال بـين إرادة الله الواهب المعطي، والجحيم الآخذ المبتلع. وأعـضاء الكنيـسة مـن كهنـة وعلمانيين، ملتحمين جسداً واحداً، ملتزمون في هذا النضال لأنه نضالهم، ولأنهم بمقدار ما يلتزمون فيه برصانة وإيمان، وإخلاص وتجرد، يجعلون الظفر قريباً، يوم تشرق شمس المحبة الكلية ويتبادر عهد الحرية والانعتاق من كل خوف وضعف.

لذلك لكل واحد منا حصته في المعركة، لكل منا نـصيبه في القتـال. ولكل منا حظ بالإكليل الذي أعده الله لخائفيه. العدو على الأبواب، اسـهروا لأنه كالسارق الذي يأتي قوياً، فإذا وجد رب البيت يقظاً تخفى وانحجب وعاد فارغ اليدين.

في صراعنا ضد أعداء كنيسة المسيح كيف ننام؟ لا ننام وفينا أي أثـر للإيمان والغيرة والكرامة. قضية المسيح بين أيدينا الضعيفة وفي ذواتنا المحـدودة المسكينة. ومن هذا الضعف وهذه المحدودية تنفجر ويا للعجب قوى أين منـها كل قوى، قوى لا تحد ولا تحصر.

الكنيسة لم تثبت لأننا نحن أبطال في جهادنا للمسيح. الكنيسة لم تبـق لأننا نحن لامعون في فضائلنا ومستميتون في كرهنا للشيطان. الكنيسة باقية حية منتعشة متحدية الزمن لأن قوة الله تنازلت وظهرت في أيدينا الضعيفة وذواتنـا المحدودة المسكينة.

قال أحدهم وهو هندي: «لو أخلصنا لقضينا العمر نياماً. ولو أخلـص المسيحيون لقضوا العمر بأعين لا تغمض ولا تعرف لذة الوسن».

وهذا يعني أننا في الكنيسة، الآن قد وضعنا اليد على المحـراث، فـلا

رجوع ولا تقهقر. المسيح أمامنا يقول: اتبعني، اتبعني وإذ نسمع صوته فكيف نقسي قلوبنا، كيف ننصرف عن الصوت وهو فينا الحياة والحركة؟

«ملكوت الله في قلوبكم» يقول الرب، والمعركة بين الملكوت وبين الجحيم تحتدم أيضاً في قلوبكم. كل قتال يبدأ في الداخل. في الداخل يخطط ويصمم ثم ينطلق. الذي يرى القذى في عين أخيه يهرب من ذاته، ويتستر كي لا يرى الخشبة في عينه. إنه ينصب نفسه قاضياً على كل أحد، ونفسه أجدر بالقضاء والحكم. كم مرة كان الآخر بالنسبة إليّ ستاراً أخفي فيه عورة نفسي واسوداد داخلي!

الكنيسة تحارب ليس فقط في الخارج ولكن بشكل خاص في الداخل. حرب الكنيسة حرب صميمية مخفية، ولكنها صارخة العواقب خطيرتها. والكنيسة تبنى كالبيت من حجارة هي أنتم وأنا وكل مدعو إلى الإيمان القويم. فقد تكون، وأنت تنظر انحراف حجر جار لك، تنحرف أنت أضعاف ما ينحرف هو.

وفي آخر المطاف ألست أنت الذي يقف أمام الله؟ إذن، أنت أنت أيها المحبوب غايةُ الصراع، غاية الجهد، غايةُ التزام الله ضد البشر. هذا يحدث فيك، من أجلك. خلاصك بيدك فاغتنم الفرصة وأشكر الله. أنت حجر في الكنيسة المقدسة فلا تهمل اخوتك في الكنيسة ذاتها، وأذكر أنك وإياهم تحققون إرادة الآب السماوي وتباركون الأرض بالبركة التي من عنده.

هل عندك عزم؟ الكنيسة تحتاج إلى عزمك.

هل عندك جاه وسلطان؟ الكنيسة تسألك جاهك وسلطانك.

هل عندك غنى ومال؟ وجّه كنزك إلى كنيستك، إنك عامل فيها إلى أن تنكرها أو تتنكر لها.

هل عندك كل هذا أو بعضه، فقدم منه أو قدمه ثمن دمٍ سُفِك من أجلك ولن تجد أحداً أرفع أو غاية أسمى لتقدمه إليها. ومن كل ما ذكر إذا لم يكن عندك شيء عظيم بقي لك شيء لا يساويه في العظم شيء. إنه قلبك. هذا دعه ينبض بمحبة المسيح. أحببه من كل قلبك. الإنسان بدون قلبه رخام وصقيع، تنظر إليه فيبهرك جماله. وتنكب عليه متكلماً فإذا به لا يحس ولا يجيب.

إذن كرّس الأرض إيماناً وغيرة ومحبة. ازرع الدنيا فرحاً بالقيامة وابتهاجاً بالخلاص. ولكن، أيها المحبوب، إذا لم تعرف أن الكنيسة هي لك ومن أجلك،

وإذا لم تفهم مجرد كيانك كعضو فيها يعني تكريس كل شيء فيك ولك في سبيل الرأس يسوع المسيح،

وإذا لم تكن عندك حرارة من يؤمن بأنه منتصر حتماً بقوة الله حسب وعد المخلص، مهما بلغت الكبوات التاريخية، إذا لم يكن كل ذلك فإيمانك وغيرتك ومحبتك أوهام ونسج خيال ولن تزرع الدنيا فرحاً بالقيامة وابتهاجاً بالخلاص.

اليتيم والمجتمع*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

لا يغرب أن يكون اليتيم في المجتمع البدائي ـــ مجتمع القوة والتنازع ـــ آفة قتالة تلقي باليتيم في العالم دون حماية أو ذود، معرضة إياه كل آن لعتوِّ العاتي وظلم الظالم وجبروت الجبار.

وفي كل العصور وكل المجتمعات اليتيم شخص يستدعي الإشفاق والرحمة، يستدعي الدعم والمساعدة لأنه ذاق من الموت مرارة الفراق والفراغ، وطرح في دنيا العراك وحيداً أو شبه وحيد، أعزل في غالب الأحيان، ينظر إليه الكثيرون وكأنه عالة على غيره.

ويأتي الإلهام الإلهي فيرفع الإنسان إلى مستوى أسمى من مستوى التنازع الحيواني، ثم يطلب إليه أن ينطلق من ذاته الضيقة إلى الآخرين، حتى يعطي حيث يجب العطاء ويبذل حيث البذل ضرورة وواجب، ويتجاوز في عطائه وبذله اعتبارات الجنس والدم والعرق وما إلى ذلك.

لذلك أجمع المؤمنون أن اليتيم شخص يجب أن تحنو عليه فقد يكون الله يمتحن محبتنا بوجوده، وقد يكون الله سمح بتيتمه لكي يكون كلُّ أبٍ له أباً وكلُّ أم له أماً.

ومن هنا نشأت الجمعيات بالإضافة إلى الأفراد تهتم باليتيم وتقيم مؤسسات كهذه التي نشكر الله على أنها أنشئت. ومن هنا إننا جميعاً مقتنعون

* تدشين ميتم جمعية السيدة الأرثوذكسية في طرابلس، ١٩٥٩

بأن الأعمال الخيرية عامة والعمل من أجل اليتيم بوجه خاص هي أعمال يرضى عنها الله ويرضى عنها الضمير، وأنه يجب أن تشجع وتنمو حتى يصبح عمل الخير في هذه الدنيا مكافئاً للكوارث والويلات والمصائب فيها.

فالمشروع الذي نسأل الله ازدهاره الآن، كسائر المشروعات الخيرية، له أساسه الديني العميق كما أن له أساسه الإنساني في الكفاح من أجل إنعاش الخير في الناس، في الشعور البشري بالمسؤولية الواسعة، وفي ضرورة الإسهام مع الآخرين بما يحدث لهم، خصوصاً إذا كان ذلك الحادث مكروهاً.

غير أن هنالك أخطاراً قوية جداً يتعرض لها إجمالاً العامل من أجل اليتيم، لا تختلف عن الأخطار التي يتعرض لها أي مسؤول عن تربية أحد الأولاد. والخطر الأول والأساسي في هذا الأمر هو ألا يعرف المسؤول ماذا يريد من مشروعه، ألا نعرف في مجتمعنا ما الغاية من إيجاد دار للأيتام.

والجواب في نظري صريح: الغاية من دور الأيتام أن تخلق رجالاً بالضبط كما هي الغاية من سائر المؤسسات التربوية.

اليتيم ليس شخصاً عجيباً في المجتمع: إنه ابنه وله ما لسائر أبنائه من حقوق، وعليه ما على سائر أبنائه من واجبات. أليس كل إنسان يتيماً وفي وقت ما من حياته؟ العجيب أن يتربى اليتيم وكأنه أقل من الناس درجة، كأنه رجل ولكن ليس كالرجال. الإحسان والمعروف والخير لجماعة من البشر تشعر بأن الفراغ الذي خلفه موت أب أو أم أو كليهما لما يمتلئ.

العجيب أن نرضى ونحن نعطي أن يصبح عطاؤنا قيداً يرزح تحته اليتيم بدل أن يكون له أداة تحرر وانطلاق واندفاع.

العجيب أن تصبح الحياة التي نريد أن تساعد، عبئاً على قابلها، عبئـــاً على عائشها، تحطه بدل أن تقويه وتفقره بدل أن تغنيه.

أولئك الذين يعيشون وكأهم يستجدون معيشتهم من المجتمع لا يمكـــن أن يصبحوا يوماً رجالاً بالفعل.

لأن الرجل لا يستجدي.

الرجل لا يتنازل عن رجولته إن في فكر أو قول أو عمل.

الرجل لا يتسكع على الأبواب يشحذ عطفاً ورقة وحناناً.

الرجل يؤمن بأن لله مقصداً في خلقه له وأنه هنا لكي يحدث فرقـــاً في هذا العالم، ليكون غني النفس، كبيرها، قوي الهمة، شديدها جـــديراً بإثبـــات وجوده كإنسان غير متمرغ أمام الأعتاب.

حاجة اليتيم ليكون رجلاً أن يكون كل شيء في تربيته حافزاً له علـــى احترام ذاته واحترام الغير، أن يكون كل شيء في تربيته مثيراً له علـــى التعلـــق بالكرامة الإنسانية والتشدد فيها. الدنيا مليئة بالخسيس والصغير الدنيء والـــذليل والمتخنث، الدنيا مليئة بأولئك الذين لا قمهم الكرامة ولا يقيمون لهـــا وزنـــاً، الذين ينباعون بأبخس الثمن، هؤلاء يجب ألا يصبح اليتيم واحداً منهم. ليس من الخير أن يزيد مجتمعنا أعضاء مشلولين.

حاجة اليتيم بعد الأبوة الدموية والأمومة الدمويـــة إلى أبـــوة وأمومـــة حقيقيتين، إلى عاطفة أصيلة تنصب عليه من كل صـــوب. والأبـــوة الحقيقيـــة الأصيلة والأمومة الحقيقية الأصيلة، لا تقومـــان بالإحـــسان الاصـــطناعي ولا بالعاطفة المائعة البكاءة.

إن أمامنا طريقاً مهماً يجب أن نسلكه في تربية اليتيم وهو: أن نجعله يشعر أن له في كل واحد منا أباً وأماً وأخاً، وأن الموت الذي حرمه شخصاً قدم له أشخاصاً أو سد في طريقه مجالاً فتح له في الواقع مجالات. ولكن ذلك لن يكون إلا إذا انفتحنا كلنا له، فخرج الأب عن عادته في عد أولاده وتهيأ لزيادتهم ولو لم تكن الزيادة من صلبه، وتحررت الأم من رباطها العاطفي الأناني لتقبل بين ذراعيها وفي قلبها ولداً لزميلة لها قضت كما ستقضي هي. فإذا بالأب يحب كل ابن وإذا بالأم تحب كل ولد.

وفي هذا التيار من الإخلاص في تربية اليتيم يمكننا أن ننظر لهذه البلاد يتامى رجالاً رجالاً. هؤلاء إذا شكروا الجميع فهم يعبرون عن شكرهم لا بالكلام الخارج من فم متلجلج وقلب كسير، بل بابتسامة الظافر على بلاوى الدهر، العامل الفعال، الشاعر بقدرته المؤمن برسالته إيماناً يتجاوز الجبال متانة ورسوخاً.

يا صاحب القداسة*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

منذ سنوات أربع ونحن بفارغ الصبر ننتظر زيارتكم هذه المباركة، ومنذ سنوات أربع واهتمامكم بالكنيسة الأرثوذكسية يتخذ لباس العمل والتنفيذ. بعد الصلوات المتواصلة والدرس الطويل اتجهتم بالنعمة المعطاة لكم إلى آفاق الله الواسعة فرأيتم أن الكنيسة لا يمكنها أن تنغلق على نفسها وكأنها غارقة في قضاياها الداخلية الخاصة بل إن أمامها أموراً يطرحها العصر ويجرها ما في هذه الحقبة التاريخية من تيارات وتحديات وأوضاع لا يصح أن تبقى أمامها الكنيسة المقدسة، قناة الروح القدس، متفرجة، ولا المسيحي المؤمن جامداً.

رأيتم كل هذا بثاقب بصركم وبالنور الذي تلتمسونه في صوم، في صلوات، في أسهار، في أسفار، في أتعاب، فكان أن علقتم قلبكم على وحدة الكنيسة يوم كان الكلام بها لا يتجاوز كونه كلاماً، وفتحتم صدركم الرحب العامر بالمحبة والتواضع للبحث فيها برصانة والتعمق فيها بمسؤولية والاهتداء بنور المسيح الواحد لكي تسيروا بها حيث أرادها السيد أن تسير فتكون كما شاءها أن تكون لا كما يشاء العالميون أن «يركبّوها».

ولقد تكرمتم بنعت الخلافات بين الكنائس الشرقية بأنها شكلية كلامية لا حقيقة لاهوتية لها في الأساس إلا ما بقي فيها من رواسب الماضي. يا صاحب القداسة، إن إقدامكم على هذا القول إنما يشجعنا نحن الشباب لنفتح قلوبنا أمام

* ١٩٥٩

الأقباط والسريان والأرمن وغيرهم ممن نشعر في كل آن الحاجة إلى تسميتهم «أخي في الإيمان» وخصوصاً وأن الله لم يحرمهم الإيمان الغزير والنعمة الدفاقة والغيرة المسيحية والتشدد في أنهم غير مستعدين للتضحية بأي حرف من الإيمان إلا إذا كان الحرف خطوة نحو المعنى والجوهر، وكلنا قد مللنا الحرف.

إن الشباب في الكرسي الانطاكي الرسولي لفخور أن يكون، في المستوى الشعبي، الوسط الوحدوي مع أخيه الشباب الأرثوذكسي الآخر حيث تبادل المحبة والمعرفة والاختبار بتشجيع مباشر من أخيكم ومعادلكم في الرتبة غبطة بطريركنا المفضال السيد ثيوذوسيوس، وحث بنوي رسولي من كل من همه هذه الأمور الرفيعة من آبائنا السادة أعضاء المجمع الانطاكي المقدس.

وعكفتم بالزهد والتقشف على إعطاء الكنيسة وجهها المسكوني الشامل فعززتم الصوت الأرثوذكسي بين اخوة إنجيليين هم بدورهم مخلصون يحبون الحق والتعرف إليه حيث وجد فكان الوجود الأرثوذكسي بينهم عنصر تعمق، وتركيز في التاريخ، وفتح نوافذ للاستضاءة الروحية أثمرت في الكثيرين. وقد فعلتم ذلك بشجاعة كلية ـــ والمؤمن المحب لا يعرف الوجل ولا التردد ـــ فصرنا نسمع أناساً هنا وهناك وهنالك يتكلمون بالإيمان الأرثوذكسي ويعبون منه النعمة تلو النعمة إلى ما لا نهاية، وما أشد فرحنا نحن إذ نسمع الشهادة للإيمان الحقيقي، هذا الذي بجهودكم وضع كالسراج على المنارة لا تحت المكيال فصار يضيء للجميع.

وأطللتم على معادلكم في الرتبة قداسة أسقف روما إطلالة الأخ الحبيب فكنتم في كل سنة تجددون الصلاة من أجل وحدة كنائس الله في الإيمان الواحد، وكم أكدتم اخوّتكم وشددتم على مشيئة الله بقطع النظر عن كل ما يفرضه

البشر والزمن من أعباء وأثقال، وما كنتم في ذلك كله سوى الخادم الوفي للكلمة، والحامل الأمين لرسالة الكنيسة في قداستها ووحدها ورسوليتها وجامعيتها.

وأعرتم الشباب لفتتكم الكريمة وعطفكم الأبوي وقلتم: نحتاج إلى قوة ونشاط في عملنا، لذلك علينا إذا أردنا أن نكون عمليين فعالين أن نفتش عن القوة والنشاط بالضبط حيث أودعهما الله — والمقصود في الشباب — ثم استطردتم القول: «بالطبع يستحيل على الأب ألا يحب أبناءه»، مبررين هذا القول حدبكم الخاص واحتضانكم الأبوي للشباب المؤمن العامل، ومؤكدين أن مجرد وجوده في الكنيسة دليل محبة الله إياها، وأنه بالمحبة والهدي والأبوة يصبح السيف القاطع في معركة الجهاد التي تجتازها الكنيسة وخصوصاً في هذه البلاد.

يا صاحب القداسة، إن زيارتكم لنعمة وقوة وتشجيع. فيكم بالصفة المسكونية تتجسد آمال واسعة ورؤى ما كان لها في الواقع من أثر يذكر وعلى مساعيكم تتوقف لملمة الجهود الأرثوذكسية في كل الأقطار وسجمها طاقة واحدة، قوة، واحدة واندفاعاً واحداً. ولنا ضمانة أكيدة بنجاحكم في مشروعاتكم هذه المخلصة في إرادة الله ونعمته من ناحية والمعاضدة الوثيقة المقتدرة لأخيكم ومعادلكم في الرتبة غبطة بطريركنا المفضال وأصحاب السيادة أعضاء مجمعه المقدس الجزيلي الاحترام.

وإذ نرحب بكم نسألكم الصلاة والبركة ونقدم لكم قلوبنا البنوية عربون ولاء وإخلاص وتفان في سبيل كنيسة المسيح.

هذا الغموض*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

في كل مرة تصدر حركة عن الكنيسة الروسية أو تحرك بين المسؤولين فيها، تنطلق الألسنة والأقلام معلقة شارحة مفترضة، وفي كل مـــرة، كانـــت الكثرة الساحقة من هذه الألسنة والأقلام لا تسلك جادة الصواب، بل تتزلق من ظن إلى ظن قد يوصلها إلى الريب بالكنيسة الروسية والشك بإخلاص القائمين عليها والطعن بكل ما قد يوحي للناظر والشاهد اطمئناناً ما كائناً ما كان نوعه.

وفي بلادنا، لسنا بعيدين تمام البعد عن هذه المزالق، لأننا غير مزودين بما يجب من المعلومات الحقيقية عن وضع الكنيسة الروسية في روسيا بـــل علـــى العكس، نحن مجربون بأن نرى الحاضر من خلال الماضي، يوم كان القيصر ينطق باسم الإيمان، والدولة الروسية باسم الحفاظ على المؤمنين. نحن مجربون بـــذلك التاريخ المجيد الذي عرفه الأرثوذكس خاصة والمواطنون عامة حـــافلاً بالعطايـــا والمساعدات من مدارس إلى مياتم إلى مؤسسات خير ورحمة. وتعظم تجربتنا أمام الماضي لأنه يلائم شعورنا وآمالنا ويغطي الحاضر، وعندئذ قد نرى أقـــل مـــن الواقع أو نرى هالة تطمس الواقع.

والآن، بعد أن انقضى زمن طويل يتجاوز الربع قـــرن علـــى الثـــورة الحمراء، وبعد أن مرّت الكنيسة بأدوار وأطوار مختلفة، الآن وقد اتضح الكـــثير بل الأكثر من وضع الكنيسة الروسية والدولة الروسية وعلاقتهما، لم يعد يجـــوز

* ١٩٦١

لنا أن نخلط ما تعودنا خلطه بحكم احتكامنا إلى الماضي ولجوئنا إليه في تقييمنا.

الآن صار علينا أن نرى رؤية ثاقبة ورأياً سديداً، وأن نعطي الحق لكل ذي حق، لأن الكنيسة كانت في كل الأحوال وحدها تتحمل وزر الغموض والخطأ والمغالطات، كما كانت بنتيجة هذا تزيد آلامها آلاماً وجراحها جراحاً.

لقد أصبح من باب إضاعة الوقت الترديد بأن الدولة الروسية ملحدة لا تؤمن بالله، كما أصبح مبتذلاً القول بأنها تحارب الإيمان والدين عامة بكل الوسائل الممكنة: في المدارس، وفي الكتب والمجلات والخطابات والإذاعات غير موفرة وسيلة واحدة لكي تطعن بالله والدين عامة معتبرة إياه خرافة ووهماً. وفي هذه الحرب ضد الدين لا فرق عندها بين مسيحي ومسلم، أو كاثوليكي وأرثوذكسي. كل دين مهما كان موضوعه يجب في نظر الحكومة أن يحارب، والمتدينون عالة على الشعب وعبء.

ونحن إذ نؤكد هذه التأكيدات لا نرى حاجة إلى برهانها لأي مطّلع اعتيادي، فالتصريحات بهذا الشأن غير قليلة والإذاعات في أيام الأعياد وفي مناسبة إطلاق الصواريخ وغيرها واضحة بأنها تنفي الله وتسخر من الاعتقاد به. ويزيد على هذا القول جهاراً ولا يرى فيه عيباً ولا ضيراً. أما أخبار إعادة فتح الكنائس في روسيا والعودة إلى السماح بممارسة العبادة داخلها فهي نفسها تعني على الأقل أن الكنائس وقتاً ما أغلقت تحت الحكم السوفياتي كما أن العبادة كانت غير متوفرة.

ومن البساطة كل البساطة والسذاجة كل السذاجة الظن بأن الإلحاد في الدولة الروسية اتخذ وجهاً جديداً أو هادن الإيمان، أو تهاون في محاربة الدين بحد ذاته، أو المؤسسات الكنسية كتعبير عن الدين. إن المشتغلين في الإلحاد في روسيا

لأرصن وأشجع بكثير من أن يكذبوا أو يخفوا نواياهم لأنهم مؤمنون بأن إلحادهم هو الحقيقة. والمؤمن المخلص لا يخاف ولا يرتاح له ضمير إذا ستر إيمانه وحجبه. من هذه الناحية هم يقدمون أثراً للإخلاص ما كان أحلى للمسيحي أن يقتفيه.

أما الكنيسة في روسيا، وهنا أقصد الأرثوذكسية بشكل خاص، فقد عاشت تاريخاً مريراً أين منه تاريخ الكنيسة في العصور الأولى للمسيحية. وكان عليها أمام الخصم العنيد القوي المؤمن أن تثبت بعناد وقوة وإيمان: عنادها من تاريخ الإيمان الطويل في روسيا، وقوتها من قوة رأسها يسوع المسيح فاعلاً في ملايين متعددة، وإيمانها من الروح القدس الذي، وكأنه في تجليات لا حصر لها، كان يعطي البرهان الساطع للناس أن المسيح نبع محبة لا حد لها وحياة وإخلاص يتجاوزان كل قياس وكل وصف.

وبمقدار ما الخصم جبار كان على الكنيسة أن تكون جبارة وقد كانت كذلك والحمد لله. الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا أثبتت أن روح الرب لا يغلبه روح الشر، وإن سمح الله أن يميل الأول أمام الثاني في عدد من الجولات. الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا شهادة في التاريخ لكل متطلع ناظر أن الإيمان في روسيا، في الشعب وفي العامة لم يكن صورة خارجية ولا شكلاً سطحياً ولا مظهراً اجتماعياً فحسب بل كان ولا يزال عنصراً مكوناً للشخصية المؤمنة، وأساساً من أسس الكيان الروحي الذي لا يتقهقر أمام أية قوة لأنه بلغ من الأصالة والسلامة مبلغاً لا يجارى ولا يبارى. وإذا بدا آناً أن الدولة تلين أمام الكنيسة فلأنها فهمت أن واقع الإيمان هو بدوره ملموس في روسيا وأن تجاهله ليس على شيء من الحكمة بل على العكس هو وهم بوهم. وكما أن الدولة لا

تني جهداً في مغالبتها الكنيسة، كذلك فالكنيسة هي أيـضاً بقـوة الله لم تـرم السلاح بل بقيت وتبقى سباقة في حبها للشعب وخدمتها إياه، وهـي أولى في التبشير بكل خير منبثق من صُلْب إيمانها وتتبناه ظاهرياً جماعة الإلحاد أعني السلم الحقيقي. الكنيسة في روسيا حدث أصيل عميـق، يكـوّن في صـميم حيـاة الجماعات تاريخاً صامتاً ولكنه واقع، وينفث ناراً تبعث حرارة في الإيمان شديدة جامحة، لكنها لا تقر البريق المثير ولا اللمعان الفارغ. إنها واحة الرجـاء لكـل مؤمن ومحط يد الله في إحلال مشيئته هناك.

وماذا نقول في غبطة البطريرك ألكسي زائر هذه الأنحاء؟ لقد قيل فيـه الكثير من الذم، وظنت الكنيسة الكاثوليكية أنها لن تنسجم مع نفـسها إذا لم تقف منه موقفاً سلبياً لا بل عدائياً ظاهراً للعيان، وكتب فيه النائب البطريركي للروم الكاثوليك انه «بطريرك يمثل الظلم والطغيان». ففي سـياق الحـديث لا نرى مناصاً من كلمة قصيرة جداً في هذا الحكم على صاحب الغبطة الجليل.

إن نكران مآثر هذا القائد الكبير في الصراع بين الإيمان والإلحـاد، لا يمكن استيعابه أو قبوله إلا إذا تعامينا عن كون البطريرك، منذ تـسلمه قيـادة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية كان الركيزة الأولى والعظمى لعالم الإيمان في تلك البلاد.

ويخيل لي أن التعامي عن هذا الواقع من الصعب أن يصدر عن مـؤمن بأن وجود الكنيسة، مجرد وجودها، صامدة بين العواصف التي لا تقف الـدول ذاتها أمامها بسهولة، هذا الوجود هو من إرادة الله ومشيئته. التعامي عن هـذا الواقع يكشف عن ظلمات في النفس وخذلان في الإيمان. هذا التعامي من باب السياسة والمسايرة لا من باب الإيمان والحق.

هل البطريرك ألكسي، صاحب الغبطة يمثل الظلم والاستبداد؟ لا، هو لا يمثلهما بل يصورهما إذ يحمل في شخصيته وفي رعيته سمات الظلم والاستبداد. هذه السمات هو يحملها لا فقط عن نفسه وعن الأرثوذكسية، إنه يحملها عن كل كنيسة وعن كل دين في روسيا. إنه ذلك السندان الذي بالنعمة الإلهية يتلقى الضربات تتوالى كالمطر دون توقف، لكنه يرد المطرقة بالقوة التي فيها وقعت، هي تتراجع وهو يبقى ثابتاً لا يضطرب ولا يتزعزع.

من لم يُظلَم البطريرك عنه؟ مَن ظُلِمَ من دون البطريرك؟ متى لم يكن الأول في تحمل الهجوم والأخير في التنفس منه قليلاً؟ الظلم كل الظلم أن يقال فيه ظالم، والطغيان كل الطغيان أن يُعامل معاملة من يشهد للشر ويدعو له. بينما أقل ما يُقال فيه عدلاً وإنصافاً: إنه الداعية للخير، إنه رسول السلام، إنه مسلة تحت إبط الملحدين وتحد قائم في كل وقت لمن يحصرون فيهم كل القيم الموجودة في هذا العالم. البطريرك ألكسي حامل الكهنوت الرسولي، وأمير الكنيسة والنجم الذي يتألق بنور البشارة بالمسيح ناشراً المحبة والسلام، بالضبط حيث قرقعة الآلة وصخب الصواريخ والإفادة من الناس.

وبالنسبة إلينا نحن الأرثوذكس، البطريرك ألكسي مدعاة فخر ورفع للرأس، لأنه صورة الرئيس الذي يخدم قبل أن يُخدم ويتوجع قبل كل أبنائه في أوان التوجع، والمثال الحي لرئيس الكهنة الذي يشقى قبل الجميع وينعم آخر الكل.

وفي زيارته لنا فتح جديد وآمال كبار ومغزى فريد في تاريخنا الحديث. في هذه الزيارة تأكدت مسكونية الكنيسة الروسية أمام الملأ. وإذا كان قداسة البطريرك المسكوني قد صرح بإمكان التئام المجمع الأرثوذكسي المسكوني في

الصيف القادم بعد أن تعثر المشروع وارتبك في صعوبات جمة، فذلك كان عقب زيارة صاحب الغبطة البطريرك ألكسي الجزيل الاحترام.

قالوا إنه أتى هذه البلاد ليعطل الجهود المبذولة في طريق الاتحاد المسيحي، هكذا قالت الصحف في أوروبا. إن هذا لقول خفيف. نعم الخفيف وحده يركن إلى الظن أن الكنائس الأرثوذكسية كانت لتقبل الدخول في حديث عن الاتحاد غير مجتمعة، أو أن كنيسة أنطاكية مثلاً كانت لتدخل الحوار الاتحادي بدون كنيسة روسيا. أخطأت هذه السياسة التقليدية تجاه الأرثوذكس وسيؤدي السائرون فيها العاملون على تفتيت كنيستنا حساباً أمام الله عسيراً، إنهم هم بأيديهم حاولوا ويحاولون هدم صرح لن يكون اتحاد بدونه، ولن تكون وحدة لا تبنى على إيمانه الرسولي وتراثه الحي القويم.

البطريرك لم يأتِ ليعرقل الاتحاد لكنه بمجيئه برهن أن الكنيسة الأرثوذكسية تجابه الأمور واحدة غير متفرقة، وأن الاتحاد الخارجي يعني بالضرورة وفي الوقت ذاته اتحاداً في الداخل. ومن هنا تصريحاته في دمشق وبيروت واسطنبول وأثينا ومن هنا سعيه الحثيث لزيارة كل الكراسي في الشرق الأوسط.

فأهلاً وسهلاً بالقائد المجاهد والربان الحكيم. إن قلوب المؤمنين بالله أياً كان دينهم يحبون فيك سيف الدين في إطار الكفر والإلحاد. وأما الأرثوذكسيون محبو الكنيسة والمطيعون لمشيئة الله فيرون فيك أداة الروح التي تحركها إصبع الخالق. نعم، إنك حيث أنت، حجر زاوية لبناء هيكل رب الجنود. إنك حيث أنت، بذرة لموسم قريب، وبكر لخليقة ستكسر بحر الظلمات وتجتاح العدم إلى الزهو والضياء.

الخدمة*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

الخدمة تعبير عن إدراكنا لمحبة الله للناس أبنائه. وفي إمكاننا تلخيص دستور إيماننا بها كما يلي: «يحب الله الأب كامل خلائقه دون تمييز بين الألوان والطبقات الاجتماعية. هؤلاء فداهم الله الابن بدمه الكريم وبذل حياته من أجلهم. والله الروح القدس يمكنهم من القداسة ومن تحقيق شخصيتهم في مثال المسيح وفي حياة الشركة الفرحة الخلاقة». إذن نحن نحب جواباً لمحبة الله. وما العدالة التي ننشد إلا تعبيراً عن المحبة. وبما أن المسيح أتى ليَخدم لا ليُخدم، فإن الكنيسة إذ تقوم بالخدمة للبشر تشعر أنها تقدم عبادة الله.

أما التطور السريع فقد يحدث إحدى ردات الفعل التالية:

١- خوفاً على الكنز المتراكم من أن يبدد.

٢- محافظة على كل قديم ومعهود مما في التركيب الاجتماعي.

٣- القبول المنفعل الذي فيه نقبل ما حدث لأن لا مفر منه ولكننا نندب كل تغير.

٤- القبول الإيجابي الذي يستخدم كل تبدل يزيد في البنيان.

٥- القبول الإيجابي الذي يرحب بكل تأكيد معتبراً إياه فرصة للسعي وراء عيش أكمل وأتم للجنس البشري بكامله.

* ١٩٦١

لا شك أن ردة الفعل المسيحية أمام التطور يجب أن تكون إيجابية صرف.

وهنالك حدث النمو ذاته. إن هو إلا تفتيش الناس عن حياة أفضل. إننا نرحب بالنمو ونراه مشروعاً ولكننا نربأ بالإنسان أن تستعبده الآلة. كما أننا نرفض الوهم الذي يعطى للناس في بعض الأحيان أن المستقبل يحمل كل خير لذلك فلنضحّ بالحاضر. الحاضر في نظرنا أثمن من أن يُضحى به. وأما النمو الاقتصادي فمرحى له. نحن نضع أنفسنا بين يدي القائمين عليه شرط أن يسعوا إلى إنماء الشخصية الإنسانية في ملئها لا في بعض نواحيها فقط. لا نرضى عن تجزيء الإنسان ولا عن بتره.

لقد وضحت فئة من الناس إيمانها بالعلم لا بالله. ليس عند المسيحي أي تردد في الاختيار بين الله والعلم. لا بل حقيقة العلم بالنسبة إلى المسيحي، هي من حقيقة الله وهذا لاهوت العلم لدينا وأمام الكنيسة مجال رحب لترجمة لاهوت الطبيعة لجماعة المختبر. وما يخيفنا في الاكتشافات استعمالها، لأن تقرير كيفية استعمالها عمليةٌ خلقية لا علمية ولا يمكن لمكتشف أن يكون صالحاً إلا بمقدار ما يقدم خدمة للإنسان. هذا يقودنا إلى ضرورة تربية العالم حتى لا يستكبر الإنسان في النهاية ويكتفي بسيطرته على الطبيعة.

يقودنا الموضوع إلى التسابق في التسلح الذري اليوم. إن الحرب الذرية تهديد لسلامة الإنسان وكرامته وعلى الكنائس إلا تمل التنديد بها بدون توقف.

الثقافة:

ويأتينا موضوع الثقافة خصوصاً في أوساط المبشرين الذين يحملون

معهم ثقافاتهم. لهؤلاء نقول إن الثقافة الغربية ليست الثقافة بالمعنى المطلق وأن أي تصادم من أجل أي ثقافة في غير موضعه كما أنه لا يجوز التصادم بين طرق من العيش مختلفة.

في كل حال لا تفرض الثقافة فرضاً. قد تتجلى في التاريخ أحزاباً سياسية منظمة، أو في إيمان حي قوي ولكن هنالك عنصراً يجب تذكره دائماً ألا وهو العلمنة التي تبدو وكأنها جزء من الثقافات لا يتجزأ.

والآن نسأل الكنيسة، هل في إمكانها ضم الثقافات؟ تساؤلنا هذا يتوجه إلى قدرتها هي لا إلى قدرة الله. ليس من ثقافة غريبة عن المسيح وفي كل ثقافة يجب أن تقوم للمسيح كنيسة.

الدولة:

ولننتقل الآن إلى الدولة: لقد قيل في الكتاب: «إن كل سلطان هو من عند الله». لكن هذا القول ينطبق فقط على السلطات التي تساند العدالة وتعممها. المسيحي إيجابي بالنسبة إلى الدولة هذا إذا كانت الدولة تحافظ على شرعة حقوق الإنسان وعلى الحريات جميعها وخصوصاً إذا كان فيها ما يضمن إمكان تبديل الحكم دونما لجوء إلى عنف وإكراه. وفي هذه المناسبة نقول: لا مبرر للتعلق بأي شكل من أشكال الحكم لأن ليس لواحد منها طابع المطلق، كما أنه ليس من مفهوم واحد للحرية لا يقبل جدلاً ونقاشاً. ولكن هذا لا يعني أن كل أشكال الحكم سواسية. إننا ننبذ الحكم المبني على الخوف كما أننا ننكر على الحكم أن يلجأ إلى وسائل التعذيب المخزية.

إلى جانب هذا يهمنا التذكير أنه ليس للدولة أن تحتكر ولاءنا ولا أن

تطالبنا بولاء شامل. إن لنا ولاء لله ونحن خلائق الله لا خلائق للدولة. إنه هو ربنا لا هي.

هنالك دول تحرم قصداً فئات من الناس الاشتراك في الحكم معللة ذلك بعلل لا تقنع ولا ترضي. نحن مع أولئك المحرومين ضد أي ضغط أو تمييز في الشعب.

وإذا ما اشترك الشخص المؤمن في دنيا السياسة وجب عليه أن يكون إيجابياً بنّاء، فيشهد أمام الناس للمسيح لا لنفسه، ويقدم شهادته ضمن الحدود المعطاة له في بلاده وأوضاعها الخاصة، وأخيراً أن يعلن المسيح رب التاريخ وأنه يعمل في كل الأمم إطلاقاً.

التمييز العنصري:

تطرح في بعض البلدان قضايا التمييز العنصري. على الكنيسة أن تعمل على إحلال الحق في مثل هذه القضايا ولو كان المؤمنون في بعض الأحيان يقعون فريسة الدعوات السلبية. نعم يجب قول كلمة الشهادة. وإذا لزم ترؤس مظاهرات المطالبة بالحق فيجب أن نقوم به وفي الوقت ذاته يجب الضغط على السلطات لعدم استعمال العنف أو الاستفزاز. ولننتبه ألا يكون قانون الهجرة نفسه مبنياً على التمييز العنصري كما في بعض الدول.

أما الرد على مثل هذه المشاكل في الرعية أو الكنيسة المحلية فيكون عدم التمييز إطلاقاً بين المؤمنين وإثارة الضمائر ضد كل تمييز ولو كان يحصل بعيداً عنها.

يقول البعض إن الشرق والغرب يختلفان من حيث طرق العيش. إننا

نتساءل جداً فيما إذا كان هنالك فرق فعلي بين الطريقتين في العيش في الشرق والغرب بالنسبة إلى الكنيسة والإيمان المسيحي.

القومية:

قوة القومية في أنها حركة موجهة إلى داخل الأمة غايتها توحيد العناصر وصهرها في بوتقة واحدة. أما ضعفها فإنها في اتجاهها إلى الأمم الأخرى قد تقف موقفاً سلبياً وتحارب عند الآخرين ما أباحته لنفسها في الداخل.

للأمم حق الحرية حتى الاقتصادية. لا بل على الدول المزدهرة اقتصادياً أن تضع ثرواتها تحت تصرف الدول المتخلفة دونما قيد أو شرط. هذه الدول الأخيرة يجب أن تكون كاملة الاستقلال بحيث أنها تقوم بحل قضاياها الداخلية حسبما تقتضيه المصلحة. ولا نرى غضناً في تشجيع المؤسسات الدولية العالمية.

من هذه المؤسسات الأمم المتحدة. إننا نعتقد أن الإرادة الحسنة تكفي لإحلال السلم ونرحب لهذا الغرض بوساطة الدول غير المنحازة.

الحرب هي ضد إرادة الله لا بل هي صفعة للخالق. نطالب بإلغاء الأسلحة الذرية لأن استعمالها مهما كان مخالف للإنجيل. وغايتنا في ذلك الوصول إلى نزع عام للسلاح. على الخبراء بحث الطرق الفنية للترع ولكن علينا إيقاظ همم الدول لتخطو إلى الأمام في هذا الأمر.

الله يحب أن يكون أبناؤه واحداً بالرغم من خطايانا وسقطاتنا. والوحدة دليل على أن المسيح يحطم الحجب والحواجز. هكذا على الجماعات المسيحية أن تتجاوز الحدود إلى تصرف مسيحي وتعاون أخوي. ولكي يمكننا التوصل إلى هذه الوحدة يجب أن نوجه الجماهير لا أن نعكس رأيها فقط وأن نترفع عن كل

شكل من أشكال الحكم. كما يطلب إلينا بشكل خاص:

الصلاة المتبادلة

المعاضدة في كل الظروف

التمسك بالشركة مع المؤمنين حيثما وجدوا.

التعلم والإفادة من خبرتهم الشخصية في ظروفهم الخاصة.

ندعو إلى إعادة النظر في مدى الخدمة وأشكالها. وفي الحين ذاته نطلب من المؤمنين أن يتفهموا الإكليروس تفهماً عميقاً ويتعاونوا وإياهم تعاوناً تاماً. لكن ذلك لن يكون إلا إذا ازدادت رعاية الكنيسة لأبنائها وخصوصاً إذا أولت التربية اهتمامها فزادت عليها عناصر الحياة الأخلاقية والروحية. لكن أثر الكنيسة في أبنائها لن يقوى على صعيد الخدمة طالما مشكلة الوحدة عقبة تعرقل سواء السبيل.

يزداد شعور الفرد بواجب الخدمة بازدياد اقترابه من المسيح الخادم. إن أفراداً من هذا النوع لمدعوون إلى الاشتراك في المنشئات العالمية لمحاربة المرض والجوع وما وإلى ذلك من المؤسسات الخيرية. وفي هذا الحقل برهنت مخيمات الأشغال عن عظيم جدواها. لكن الخدمة الحقيقية التي يختص بها الفرد المؤمن هي عمله اليومي في حقله الخاص. وتكون الضمانة لنجاح مهمته أن يسنده اخوته أبناء الإيمان ويرشدوه ويقووه. وبينما علينا أن نقود الجهود ضد مظالم هذا العصر، لتكن شهادتنا في الصبر والصلاة وذكر الآخرين أمام الله، حيث الاضطهاد والامتهان.

لم تستنفد الكنيسة كل وسائل الخدمة. أمامنا حلقات التدريب حيث

تغلق مدارسنا، ولننتقل إلى عيادات خاصة حيث تغلق مستشفياتنا. إن قضايا الفقر والمرض العقلي والجسدي والجوع والبطالة وقضايا اللاجئين تتطلب منا مبادرة سريعة وإقداماً. وتكون الكنائس فعالة في هذه الحقول بمقدار ما تتعاون وتتضافر. ويجب حتماً أن يزول التمييز بين الكنائس وقسمتها إلى كنائس تعطي وكنائس تأخذ. ليس من أحد لا يمكنه أن يشترك بفعالية في هذا الحقل. ولكن مهما كانت الحال، لتذكر الكنائس أن خدمتها للناس ليست تفضلاً ولا تكرماً عليهم لذلك فليس لها أن تستكبر وتصلف. على العكس لتذكر الكنائس أنها بطبيعتها مدعوة حتماً إلى مشاركة فرح الفرِح وحزن الحزين. ولتكن دائماً مثلاً حياً ناطقاً للملكوت المنتظر إلى أن يجيء.

مدارسنا وأثرها في نهضتنا*

الأرشمندريت اغناطيوس هزيم

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

في أحد الأيام وقف أحد الوجهاء الأرثوذكسيين أمام المدخل الرئيسي لكلية البشارة. وبعد أن رأى على البلاطة المثبتة فوق الباب كلمتي «الأرثوذكسية» و«المتروبوليت» قلب شفتيه وقال وكأنه غريب عن الدنيا: «حتى الروم أصبحوا قادرين على القيام بمثل هذه المشاريع؟».

ثم خلص المتحدث إلى أن مشكلة المدارس الأرثوذكسية الأساسية بالنسبة إلى أبناء الكنيسة أنها لم تحز على ثقتهم بعد ولذا فإن هذه المدارس لا تضم الآن أكثر من ثلاثين في المائة من الأولاد الأرثوذكسيين. وليس الأمر قلة الأماكن، وإنما هو كون الأهل ميالين إلى تعليم أولادهم في مدارس هم تعلموا فيها.

وبما أن التعليم ليس فقط درساً بل تربية، صار من الطبيعي أن يكون معظم الأرثوذكسيين ذوي نفوس أرثوذكسية في وعيها ولكنها مبطنة بتعليم آخر وجو آخر ومناخ آخر مما خلق فيهم مركب نقص، ونوعاً من عدم الإيمان بأرثوذكسيتهم كما تعبر عن ذاتها من خلال مؤسساتنا الكنسية.

الخطأ في هذا الموقف أنه متأخر بالنسبة إلى واقع مدارسنا الأرثوذكسية التي أصبحت قادرة تمام القدرة على تغذية أولادنا بالتعليم المنشود إلى جانب أنها

* ١٩٦١

تؤمن لهم مناخاً يشعرون فيه أنهم ليسوا غرباء، مناخاً يقصد منه أن تنمو فيه شخصيتهم الأرثوذكسية دون عقبات ودون عراقيل.

إننا لا نقصد الذم بالمعاهد الأخرى ولا الحط منها لأنها محترمة وذات فضل. بل المقصود أن يربى الولد في بيته الطبيعي ما دام له بيت، وبيتنا وإن لم يبلغ الكمال يسير بخطى حثيثة نحو اكتمال كل مقوماته من علم وتربية وتثقيف.

من ناحية ثانية، حتى إذا اقتضى الأمر تضحية من الأرثوذكسي فهذه لن تكون من الشيء الثانوي أعني المال — لأن المال أرخص وأسخف ما يمكن اعطاؤه — بل من الشيء الأساسي أعني القلب ومن يحب القلب أي أفراد العائلة. ولو تدفق على معاهدنا المال الذي يدفعه الأرثوذكسيون في صناديق غريبة وأرسل إليها الأولاد الذين يعمرون معاهد الآخرين لقامت معاهدنا بالعجائب. فلماذا التلكؤ؟ أين أولادكم؟

يقولون عن أنفسهم: «نحن» ولكن هذا الضمير لا يصح علينا إذا كنا نتصرف بتفرد بالنسبة إلى كنيستنا فلا نمنحها سوى هنيهات بسيطة من حياتنا، فترات طقوس وترانيم ليس وراءها فهم ولا عمق ولا التزام. ولا عجب أن نكون مفككين طالما الإيمان الواحد والالتزام الواحد لا يجمعاننا.

كل رباط ما خلا رباط الإيمان واه لا يجمع ولا يوحد. وإذا كنا لا ننشد هذا الإيمان في معاهدنا وفي أجوائنا فهل من الطبيعي توقعه في أجواء غريبة؟ سلوا الماضي وسلوا الحاضر فهما يعطيان الجواب.

لن يكون لمدارسنا أثر في نهضتنا ما لم تصبح مدارسنا بالفعل لنا ويصبح أولادنا أولاداً بالفعل لأمهم الوحيدة. وعندئذ ننتهي من الوضع المخزي الذي

نحن فيه: الحب والشوق والتضحية والإخلاص للمربية الغريبة، وللأم الحقيقية الاسم الرنان والمظهر المترفع والفخر الكلامي، وهجرة القلب.

بدون المدارس النهضة وهم بوهم والكلام فيها لغو وضياع وقت.

الكنـــز السماوي هو الكنـــز الحقيقي*

الأسقف اغناطيوس هزيم

غداً نبدأ الصوم الأربعيني المقدس وقد سمعنا في الإنجيل المقـــدس اليـــوم التعليمات التي أعطاها المخلص للصائمين والتي فيها ميز لا بين جـــزاء وجـــزاء ولكن بين حاكم وحاكم. قال: إذا صمت، لا تكن عابساً، وإذا قمت بـــصدقة يجب أن لا تكون صدقتك مفضوحة لأن ذاك الذي في الخفية هو يراك، أبـــوك الذي في الخفية هو الذي يجازيك علانية. وبعد أن تكلم عن الجزاء، عن المكافأة التي يعطيها الآب السماوي، قال: «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض» ويقصد بذلك بعد تلك الجملة أن الإنسان الذي يتوقـــع المكافـــآت علـــى الأرض، في الأرض، يرتبط بها ويتحدد، تحصره وتستعبده. «لا تكنزوا لكم كنـــوزاً علـــى الأرض»، يقصد بها الكتاب المقدس ان اهتماماتك من حيث المكافأة والجزاء عن أعمال تكون تعملها اليوم، هذه المكافأة وهذا الجزاء يأتيان في خفية لا يعلم فيها أحد، يأتيانك من الله، يأتيانك من القاضي العادل، القاضي الذي كما يقـــول النبي داود هو العدل ذاته. إذاً، أيها الأحباء، ونحن على عتبة الصوم الأربعـــيني المقدس لا يفهم الإنسان معنى الانصراف إلى نوع من الأطعمة خاص. وما أهمية الأطعمة؟ لا يفهم الإنسان معنى أن ينصرف إلى نوع من الحياة خـــاص أثنـــاء الصوم إلا إذا تأكد في أعماقه أنه في هذه الفترة مدعو إلى أن يضع نفسه تحـــت حكم الله بالدرجة الأولى، أن يقول كما قال الرسل: «يهمنا أن نرضـــي الله لا البشر». في هذا الصوم نحن مدعوون إلى أن نرى الله حاكماً على أعمالنـــا، أن

* مرفع الجبن، الأحد ٢٤/٢/١٩٦٣

نراه سيداً على نفوسنا، أن نراه ذلك الذي يقود طعامنا وشرابنا ولهواتنا وصلواتنا وكل ما في حياتنا من شاردة وواردة لأننا قبل الصوم، أيها الأحباء، وفي الصوم أيضاً سنرتكب سياسة المساومات إرضاء للبشر وليس بالضرورة إرضاء لله. لأننا نضع في حياتنا العملية البشر، رضاهم أو عدم رضاهم، نضعه حكماً علينا. ونجاحنا وسقوطنا يكونان بالنسبة إلى النجاح بينهم والسقوط بينهم. نحن مدعوون اليوم إلى أن ننظر خطاً مستقيماً واحداً ذلك الخط فيه الله وحده الحاكم، رضي الناس أم لم يرضوا. هذا يعطينا النور. إذا سئلنا لماذا لا نأكل كل أنواع الطعام؟ إذا سئلنا ماذا يعني لكم الصيام؟ نجيب: يعني شيئاً أساسياً واحداً أن نتجه جسداً ونفساً إلى الله وأن نسأل رضاه في كل عمل في كل فكر، في كل نية، في كل قصد، في كل غاية. أن نسأله هو، لا أن نسأل اعتبارات تعودناها في حياتنا البشرية الضعيفة.

إلى هذا الخط نحن مدعوون، إلى أن نرى الله أمامنا في كل شيء. فإن أكلنا أو شربنا، إن تحدثنا أو قمنا بمشاريع، إن أتينا إلى الكنيسة أو لم نأت إليها، الشيء المقصود واحد هو أن يرى المؤمن أن الله هناك، أن الله حاضر، أن عينيه تنظران وتنفذان إلى الأعماق. وعندئذ، أيها الأحباء، يرى الإنسان نفسه صغيراً عندما يضع نفسه أمام عين الله. من هو الإنسان المتكبر بيننا يرى نفسه صغيراً، والعالِم يرى نفسه جاهلاً. ذو الشأن يرى نفسه لا شأن له. كل إنسان يجد نفسه صغيراً أمام الله إن هو وضع نفسه تحت نظرة الله النفاذة. ومن يدري فقد تكون الأمثولة الكبرى للصوم: عِظَمُ الإنسان أن يعرف أنه صغير أمام الله، كبرُه أن يعرف أنه لا شيء بالنسبة للديان الأوحد.

حيث المضطهدون هناك المسيح*

الأسقف اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

منذ الفصح المجيد، أيها الأحباء، ونحن نرى أن الكنيسة تعلمنا في كل فصل من الفصول الإنجيلية شيئاً عن المخلص ربنا يسوع المسيح. فها هي في أحد توما تعلمنا أن المخلص كان حقيقياً وفعلياً وأنه لم يكن صورة ولم يكن خيالاً وأن تلاميذه لم يكونوا مبهورين به مسحورين بشخصيته.

على العكس كانوا هم آخر الناس الذين آمنوا به بدليل أن واحداً منهم لم يصدق وأن الآخرين لم يذهبوا إلى القبر حتى يشاهدوا القيامة. وفي أحد حاملات الطيب نشاهد حتى النساء اللواتي هن في نظر البعض أقل من الرجال اهتماماً بالأمور العقلية والفكرية وأشد عاطفة. هؤلاء النساء ذهبن إلى القبر حتى يطيبن جسد يسوع، ولم يذهبن ليطيبن أي ميت آخر ولم يذهبن مستعدات ليجدن إلهاً قائماً من بين الأموات ولكنهن مثل كل الناس ذهبن ليطيبن جسداً ميتاً وتساءلن سؤالاً لا يتساءله المؤمن بأن المسيح قد قام. لكن من يدحرج لنا الحجر عن الباب. كان عندهن هذا الاهتمام. النساء أنفسهن ما كن مؤمنات الإيمان الراسخ بقيامة المسيح ولكن المسيح قام، ولكن المسيح غلب الموت ونحن الآن نعيش في عهد جديد، عهد القيامة، عهد النور. العهد الذي أصبح فيه الموت عَرَضاً يكاد أن يكون ثانوياً في حياة الأفراد.

---

* أحد المخلع، محردة، ١٩٦٣/٥/٥

واليوم في أحد المخلع، في المقطع الإنجيلي الذي سمعناه هذا الصباح نجد بالفعل شيئاً رائعاً لأن الذي نقول له: المسيح قام. سيسألنا أين المسيح؟ في إنجيلنا اليوم في هذا الصباح الجواب على السؤال أين المسيح وأين يمكن أن نجده.

هنالك حول البركة، والبركة ما كانت للتنزه إطلاقاً ولكنها كانت بركة للاستشفاء ما كان حولها الزهور ولا كانت حولها الطاولات والكراسي حتى يقضي الإنسان وقتاً لذيذاً حولها. كان حولها مستلقياً هنا مريض وهناك كسيح وهنالك شخص غير كامل الأعضاء. هذا هو المشهد الذي كان حول البركة الغنمية والتي اكتشفت السنة الماضية في بيت حسدا. كان كل الناس عندهم شخص يساعدهم للحصول على الشفاء. كان كل هؤلاء المرضى ينعمون بمساعدة شخص آخر يأتي ليلقيهم في ماء البركة فور تحركه إلا ذلك الشخص الذي لمرضه ما كان يمكنه أن يقوم والذي قد يكون لفقره أو عجزه لم يكن له أحد يأخذ بيده ويذهب به إلى ماء الشفاء.

يقول لنا الكتاب المقدس إن ذلك الشخص بالذات أتاه المسيح وساعده على الشفاء. الشخص الذي ليس له أحد، الشخص المريض، الشخص الذي لا يخصه إنسان على وجه الأرض يشعر بعاطفة نحوه تحثه على مساعدته ليشفى. المسيح أتى بالذات إلى ذلك الشخص بعينه، ذلك الشخص الذي ما كان له من معين.

السؤال أين المسيح؟ جوابه المسيح في كثير من الأحيان ليس حيث تظنون. المسيح ليس في هرجتنا، المسيح ليس في التمجيد العالمي. المسيح ليس في ما يسميه الناس رفعة وتسامياً. إنه في أماكن لا يحلم بها إنسان، إنه في وجه فقير، في وجه مريض، إنه في وجه مضطهد، إنه حيث يهرب الناس هناك نجد

المسيح. باطلاً نفتش عنه في الراحة انه في التعب أكثر منه في الراحة. باطلاً نفتش عنه بالضرورة في العلم وعند المتعلمين، إنه في القلب البسيط. والمتعلم الذي لا يعرف أن يبسِّط قلبه وأن تسكن نفسه فذاك ليس بمتعلم. المسيح في أبواب يظنها العالم مغلقة وهي نصف مفتوحة بطريقة سرية كي يدخلها المخلص كما كان يدخل من الباب المغلق. ولذلك، أيها الأحباء، في هذا الصباح نحن مدعوون إلى أن ينظر الإنسان إلى ما حوله بكل واقعية. لا يمكنك أن تتصور أن المسيح لم يأتك من خلال هذا أو ذاك من الناس. يجب أن تتوقعه في جارك يجب أن تتوقع المسيح في كل شخص تمر به في الصباح أكان مستحقاً أن تقول له صباح الخير أم لم يكن مستحقاً. المسيح مفاجأة لمن لا ينتظره، مفاجأة في كل وجه، مفاجأة في كل عين، مفاجأة في الطفل الصغير مفاجأة في الرجل الكبير.

نحن مدعوون إذن إلى التعلم الفعلي الداخلي من أجل الجواب عن أين يوجد المسيح؟ المسيح ليس في الهواء، المسيح هنا. في وجوه الكثيرين منكم المسيح ينطق، وفي قلوب الكثيرين هو يسكن. مَن هم هؤلاء الكثر لست أدري ولكنه هنا. المسيح في قلوب حية. المسيح في نفوس حية. بارك الله بالأعمال التي بنتيجتها قامت كنيستنا، بارك الله بسيدنا (مطران حماه اغناطيوس حريكة) في هذه الأبرشية الذي ببركاته وأدعيته ومساعدته ونشاطه وبمعاضدتكم جميعاً قامت الكنيسة التي إن شاء الله لن يطول الوقت إلا ونسبّح الله ونمجده فيها.

عندي شيء واحد يبقى مرتسماً كنقطة استفهام. البيت بسكانه، أيها الأحباء، إذا كانت الكنيسة قد بنيت فلنا الحق أن نسأل لمن بنيت الكنيسة. إن كنيسة لا يأتي إليها المؤمنون فبناؤها لا يصل إلى الغاية التي من أجلها بنيت. إن العمل الذي قمتم به والذي ينسجم تماماً مع رسالة الإنجيل الذي قرأناه هذا

الصباح. هذا العمل لا يكتمل إلا إذا قامت لجان حتى نحشد القوى ولا نترك شبيبتنا طعماً للجهل الديني المسيحي. الذي وضع حجراً فوق حجر يعلم حق العلم أن الحجارة لا تعني شيئاً إلا إذا كان بشر سيقفون داخلها، إلا إذا كان شباب سيقفون ويمجدون الله فيها. عندئذ تكون الكنيسة قد أصبحت كنيسة بالفعل.

عندكم وقت حتى يتم البناء ولكن الوقت لن يكون طويلاً بعد تتمة البناء وسنجد أنفسنا أمام الله مسؤولين أن نعلم أولادنا. إن ذلك البيت لكل واحد منهم وإن لهم جزءاً منه وإن له جزءاً في كل منهم فنعي المسؤولية الكبرى وهي أننا عندما سنقف أمام الله لن يسألنا ما عدد الحجارة التي قدمتم لي؟ ولكنه سيسألنا ما عدد النفوس التي قدمتموها لسكناي. لا تميزوا بين متعلم وغير متعلم، لا تميزوا بين شاب وصبية. الكل مدعوون بهمتكم العامة وبركة سيادة راعينا الجليل والنعمة الإلهية المغدقة علينا لأن يبنوا بيت الرب بحجارة حية. لو كان لي أن أكلمكم بالعاطفة لكنت شكرتكم مرات ولكان الكلام عاجز عن تأدية واجب الشكر. ولكنني أكلمكم باسم هذه الكنيسة التي أمثلكم فيها إلى حد بعيد والتي شرف لي أن أكون العضو الأول فيها من هذه البلدة الذي برعاية راعينا الجليل تجند لهذه الخدمة.

أكلمكم إذاً كعضو من الكنيسة التي أرسلتموني إليها. هذه أيضاً بناؤها بين يديكم. هذه فرح الفرحين، هذه تعزية الحزانى. هذه تقوية الضعفاء. هذه شفاء المرضى، هذه النعمة الإلهية تُغدَق بطريقة غير مدركة ولا معلومة. إليها جميعاً نحن مدعوون. بعد قليل يجب أن نحشد القوى حتى يكون شبابنا شباباً تابعاً قائده يسوع المسيح الشاب.

ميت عاش*

الأسقف اغناطيوس هزيم

في الأحد المسمى «أحد الابن الشاطر» قُرئ على المؤمنين قسم من الفصل الخامس عشر من إنجيل القديس لوقا. وسنحاول، في هذا المقال، شرح خطوطه الكبرى بالنسبة إلى الظرف الروحي الذي يقرأ فيه، وبالنسبة إلى إطاره الطبيعي في الكتاب المقدس.

١–في الظرف الروحي:

بعد خمسة عشر يوماً من أحد الابن الشاطر نبدأ الصوم الأربعيني المقدس وهو ما تسميه الكتب الطقسية "موسم الجهاد الروحي" والغاية من الصوم عودة الإنسان المؤمن إلى نفسه يحاسبها ويدرك خطاياه ويتوب عنها لأنه في أوضاعه اليوم يحاسب كل الناس وقلما يحاسب نفسه، يدرك سقطات كل الناس وقلما وعى سقطاته هو، ويتمنى على الجميع العودة عن مساوئهم وقلما عاد هو عن مساوئه. في الصوم كل واحد قاض لنفسه لا على الناس يتجه إلى الله الآب السماوي ويستغفر لنفسه لا إلى الخلائق البشرية ويدين.

ومن مثل الفريسي والعشار نتعلم، كخطوة أولى نحو الصوم، أن هنالك مدرستين للحياة الروحية.

المدرسة الأولى يمثلها الفريسي المقتنع بفضائله، الشبعان من نفسه، والذي يرى ذاته أرقى من الآخرين وأرفع. ذلك الفريسي الذي يتجه بنظره إلى

* ١٩٦٣

حسناته هو بالنسبة إلى سيئات الناس، لا إلى سيئاته بالنسبة إلى نعمة الله الساكنة فيه.

أما المدرسة الثانية التي يمثلها العشار فهي التي تسير في طريـــق مختلفـــة. همها الانسجام مع إرادة الله ولذلك فهي تدرك مدى مخالفتها للعـــزة الإلهيـــة ومقدارها. همها بالنسبة إلى الناس أن تراهم، وبالنسبة إلى الله أن تنكسر وتتضع وتنسحق، "ومن وضع نفسه ارتفع".

وإذا أتينا الآن إلى الابن الأصغر الذي يتكلم عنـــه الإنجيلـــي لوقـــا في الإصحاح الخامس عشر، وجدنا أن الشاب بدأ بإدارة الظهر لوالده. كان عالماً بأن له حصة من الأملاك فطلبها. وأتم انسلاخه عن أبيه بأنه استغنى عن رعايتـــه كما استغنى عن المسكن الأبوي. وهكذا فإنه قرر في نفسه ابتعاداً فنفذ الابتعاد على مراحل: قسمة الميراث، السفر وأخيراً تناســـي الأب والعـــيش حـــسب مقتضيات الرغائب والشهوات والظروف الجديدة. الواقع أن موقـــف الابـــن الشاطر من نفسه لا يختلف عن موقف الفريسي كثيراً: فكلاهما واقف أمـــام الله يناصبه السلطان، وكلاهما منغلق، متكبر، همه الأخير نفسه لا الاتحاد بالله.

ونحن الآن نعرف أن الله غفـــر للمتواضـــع لا للمتكـــبر، للعـــشار لا للفريسي، وهنا في مثل الابن الشاطر تماد في الشطط إلى وقت تولد التوبـــة في قلبه. وبكلام آخر اختبر الابن الشاطر المدرســـة الأولى في الـــشطر الأول مـــن مغامرته فخزي وانحدر إلى درك الخنازير من حيث مستوى العيش والكرامة. ثم انتقل إلى المدرسة الثانية في الشطر الثاني من مغامرته فأعيد اعتباره وخبر العـــزة والإكرام من جديد.

ولنتوقف قليلاً لنمعن النظر والفكر في المحاكمة الـــتي أجراهـــا الابـــن

الضال:

١- اقتنع أخيراً أنه في غير محيطه ويعيش حياة ليست حياته.

٢- أدرك أن ما ظهر له قدرة وأهلية وكفاءات ليس سوى مزالق نحو الشر وهدر الكرامة.

٣- صمم على العودة إلى أبيه أجيرا وما كان يتصور أنه سيستقبل كولي للعهد.

هذا درس لنا نحن. ما أكثر الذين يتصرفون في الحياة وكأنهم معصومون عن الخطأ ومترهون عن الخطيئة.

قد يكونون يمثلون أمام الناس دور المعصوم والمتره وفي أعماقهم هم مدركون ضعفاهم وزلاهم ولكنهم خوفاً من الذل أمام البشر يتخذون دوماً موقف المدافع حتى عن غلطه وخطيئته. الناس تنقصهم الشجاعة للإقرار بالغلط والخطيئة لذلك فهم مجربون باستمرار الكذب الأعظم وهو أن يظهروا على غير حقيقتهم. ألا يقول المثل العامي: "إن الحقيقة تجرح"؟ ذلك يعني أن هنالك كرامة غير الكرامة في الحق والصلاح وأن النقد أو اللوم أو التوبيخ مرفوضة مسبقا ولو كان الناقد واللائم والموبخ على صواب. نحن متعنتون في الشر، ولسنا تائبين قابلين النصح والإرشاد بانفتاح واتضاع. والتوبة بدء عالم من الفضائل جديد وغزير بينما التعنت والعناد تكميل سلسلة الشر وافتتاح عالم جديد من الإثم. الغضب الذي يهيج في المتكبر لدى نقده إنكاراً لكونه قابلاً للزلل وإنكاراً لأنه قد تكون أنت اللسان الذي به ينطق الله له.

القديسون ينتظرون النقد والتربية من كل إنسان ولكنهم دائماً سباقون إلى نقد أنفسهم وتكرار الاعتراف الدائم: "يا الله اغفر لي أنا الخاطئ وارحمني".

وبينما الناس يأتوهم للتبرك وتقبيل اليد ينصرفون هـم إلى المزيـد مـن إدراك سقطاهم أمام الله وصغاراهم. القديس يستغرب أن يراه الناس قديساً لأن جهاده ليس لربح المجد أو الفخر بالنسبة إلى الإنسان وإنما للعيش في مجد الله ونوره.

وأخيراً الحاكم في بعض أنواع الحكم يعتبر نفسه عزيـزاً كلمـا ألهـه الشعب وانصاع له وانصرف إلى تبخيره وكيل المديح له. لكـن الانفتـاح في الحاكم شرط من شروط سلطانه ورفعته. إنه رفيع في تقبله النقد والاقتراح حتى والعزل، رفيع في تقبله إياها بروح الاتضاع والصبر والمحبة.

٢ـ في الإطار الكتابي:

مثل الابن الشاطر يأتي في الإصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا بعـد مثلين وتتمة لهما: الأول مثل من أضاع خروفاً من أصل مائة فـذهب في أثـر الخروف الضال تاركاً الخراف الباقية. والثاني مثل المرأة التي أضاعت درهماً مـن أصل عشرة فانصرفت إلى التفتيش عن الدرهم الضائع وتناست التسعة.

وفي هذين المثلين نرى أن اهتمام المالك موجه بكليته نحو العنصر الضال تماما كما أعلن المخلص في مكان آخر من الكتاب أن المرضـى هـم الـذين يسترعون اهتمام الطبيب لا الأصحاء.

كما أن المثلين ينتهيان بطريقة واحدة هي الفرح العظيم بوجود المفقود.

هذا المبدأ العام: «يكون في السماء فرح عظيم بخاطئ يتوب» يظهـر جلياً في موقف الأب من ابنه الضال في مثل الابن الشاطر. هذا المبدأ يجعلنا نفهم تصرف الأب تجاه ابنه الأكبر وكيف أنه قال له: «أنت معي في كل حين وكل مالي هو لك ولكن ينبغي اليوم أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتاً فعـاش

وضالاً فوجد». هذا النوع من الفرح هو نفسه فرح صاحب الخراف الذي وجد خروفه والمرأة التي دعت جاراتها ليفرحن معها بوجود الدرهم. ومن المهم الملاحظة أن مدى الفرح هذا وشدته تتجاوزان بما لا يقاس قيمة الشيء المفقود والموجود بعدئذ. وإن الأب في مثل الابن الشاطر غير مربوط من حيث تعبيره عن الفرح بالحق الذي لابنه الأكبر أو الحق الذي خسره ابنه الأصغر بشططه وشطره مال أبيه.

لقد كان التفاوت عظيماً بين ما كان يحق من الإكرام للابن العائد وبين ما قدم له الأب عنه. ولا غرابة في أن يكون الابن الشاطر نفسه قد دهش لذلك. لأنه، في قلب محنته، وعندما صمم على الرجوع إلى أبيه ظن أن أقصى ما يحق له طلبه هو أن يكون بمثابة أجير في البيت. وقد يكون توقع ألا يقبل أبوه حتى هذا العرض. وها الأب الآن يفتح ذراعيه لاستقبال الابن ابناً بكل ما للكلمة من معنى، لاستقباله بما يعلو على الحق من الفرح والابتهاج. إن محبة الأب لم تتقيد بمقاييس ولم تتحدد بقوانين.

الأمثولة الكبرى من هذا المثل تبقى: ألا فليعين الإنسان خطيئته. جو الخطيئة لا يتلاءم وكرامة الإنسان، "بالمجد والكرامة كللته". فلنعد إلى الله ولا ندعن اليأس من خطايانا يطغي على وثوقنا من طول أناة الله ورحمته وسعة صدره. نحن أيضاً، إذا تبنا إلى الله، نعطي الفرصة للسماء ليكون فيها فرح عظيم.

معنى القيامة*

الأسقف اغناطيوس هزيم

كانوا خائفين القيامة لأنه، يظهر أيها الأحبة، أن القيامة كانت بالنسبة إليهم العامل الذي يقلب كل ادعاءاهم رأساً على عقب ويبرهن برهاناً قاطعاً أن المسيح هو ابن الله مخلص العالم. لا أدري لماذا يفضل الناس الآلام إجمالاً على الفرح فيتذكرون الأولى وينسون الثاني؟ وهذه التجربة تنتاب أيضاً حياتنا الروحية فنقف عند يوم الجمعة العظيم ولا نتجاوزه إلى يوم القيامة المجيدة. إن القيامة، أيها الأحباء، ظنها أولئك الذين أرادوا قتل المسيح غلبة وانتصاراً وهي كذلك بالضبط كما عبر عنها الرسل، وكما بشروا بها. فالقيامة في أساس الإنجيل الذي بشرت به كنيسة الرسل في العصور المسيحية الأولى. وها بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثس، وفي فصلها الخامس عشر يختصر إيماننا في هذا الموضوع فيقول: أذكركم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وأنتم قائمون فيه وبه أيضاً تخلصون. إن حافظتم على الكلام الذي بشرتكم به فلأني سلمت إليكم أولاً ما تسلمته: إن المسيح مات من أجل خطايانا على ما في الكتب وأنه قبر وأنه قام في اليوم الثالث كما في الكتب أيضاً.

لاحظوا، أيها الأحباء، كيف أنه قال أولاً: سلمت إليكم اليوم ما تسلمته عن المسيح وأنه ذكر في ذلك الـ «أولاً» كونه قام في اليوم الثالث من بين الأموات. فكلمة الإنجيل أو البشرى السارة وعبارة «قام من بين الأموات»

---

* ألقيت من الإذاعة اللبنانية يوم الجمعة العظيمة، ١/٥/١٩٦٤

كانتا متعادلتين، الثانية كانت محتواة في صميم الأولى. والبشارة الحقيقيـــة هـــي بشارة قيامة المسيح، هي البشارة بكونه قام وغلب الموت بالموت. القيامة إذاً هي في أساس التبشير الرسولي.

ولكنها أيضاً في قاعدة الإيمان المسيحي السليم. كيف يقول قوم بينكم بعدم قيامة الأموات. إنه إن لم تكن قيامة أموات، فالمسيح إذن لم يقم. وإن كان المسيح لم يقم، فكرازتنا إذاً باطلة وإيمانكم أيضاً باطـــل. وإذا لم تكـــن قيامـــة فإيمانكم إذاً باطل. المحك للإيمان المسيحي القويم، المحك للإيمان الصحيح الـــذي ينسجم مع ما تسلّمه الرسول بولس وما سلّمه إلى الناس، المحك هذا هو القيامة. هذا هو الإيمان بالقيامة وإلا فالإيمان ذاته هو أيضاً، باطل.

ولكن بولس الرسول يذهب في الفصل ذاته إلى أبعد من هذا فيسير في الموضوع خطوة أخرى ويقول: «إن القيامة هي قاعدة الخلاص ولا خلاص لولا القيامة. أنتم بعد في خطاياكم إن كان المسيح لم يقم فإيمانكم باطل. فمعنى ذلك أن عملية الخلاص، أيها الأحباء، كانت لتكون فاشلة لو أن المسيح لم يقم مـــن بين الأموات، ولكان رجاؤنا في المسيح محصوراً في هذه الحياة فقط. والرســـول يقول لو أن المسيح هو رجاؤنا في هذه الحياة فقط، لكنا أشقى الناس أجمعـــين، ولتحوّل المسيح من الإله المخلص، وابن الله المتجسد إلى مثال بشري أو عالم أو فيلسوف أو رجل فكر أو إنسان عالي الأخلاق. كان تحول إلى ما تشاؤون لكنه كف عن أن يكون إلهاً، ونحن نؤمن به كذلك وكذلك فقط. لو كـــان فقـــط رجاءنا في هذه الحياة لكان إنساناً بالمعنى الضيق للكلمة ولكنه أيها الأحبة الإله التام والإنسان التام أيضاً إنه آدم الثاني وكما أن الموت جـــاء بإنـــسان فبهـــذا الإنسان أيضاً قيامة الأموات، وكما في آدم يموت الجميع كذلك في المسيح آدم

الثاني سيحيا الجميع.

وكان في العصر الرسولي أيضاً مَن يصطبغون أي يعتمدون من أجل الذين انتقلوا. وهذا تأكيد بأن هنالك علاقة وشركة بين الحي المؤمن والميت أيضاً. وأن الرباط والجسر بين هذين الكائنين الموجودين في وضعين مختلفين، هو القيامة أيضاً. وبدون القيامة، بين الميت والحي هوة سحيقة لا يمكن اجتيازها.

ويذهب الرسول أبعد فأبعد في الموضوع، ليفسر الجهاد الروحي بأنه لا معنى له ولا مبرر إلا إذا كان مبنياً على الإيمان بالقيامة، الإيمان بأن القيامة حصلت فعلاً، وأنها حاصلة كذلك.

ثم ينتقل إلى نقطة تهمنا جميعاً هي أن القيامة أساس الأخلاق. لماذا يجب على الإنسان أن يتقيد بهذه أو تلك من الوصايا، لماذا يجب أن يخضع لهذا أو ذاك من القوانين؟ الجواب لأن هنالك قيامة من الأموات أصبحت حقيقية بفعل قيامة المسيح تلك التي جعلت الإنسان مسؤولاً عن أعماله، يقدم عنها حساباً في يوم الدين ولولا ذلك يقول الرسول: «إن كان الأموات لا يقومون فلنأكل ولنشرب ولنتصرف كما نشاء لأننا غداً سنموت».

فيا أيها الأحباء القيامة تلك التي سنشاهدها عن قريب وتلك التي نسمع بها منذ الآن من خلال تحدثنا عن الصليب والموت والآلام. ومنذ الآن نشمها ونتذوقها عن بعد، هي في أساسنا الديني وهي قاعدة من قواعد الإيمان الأرثوذكسي. والكنيسة الأرثوذكسية كانت دائماً معروفة بأنها عنوة عن عدد من الكنائس المسيحية تلك التي تبشر ببهجة القيامة دون انقطاع، وفي كل أحد، تخلد ذلك الحدث الخلاصي العظيم، تخلد ذلك الواقع الذي يجعله المسيح بالنعمة مستمراً يوماً بعد يوم.

فشكراً لله الذي منحنا الغلبة بربنا يسوع المسيح. يا اخوتي الأحبـــاء، كونوا راسخين لا متزعزعين مستزيدين في عمل الرب كل حين إذ تعلمون أن تعبكم في الرب ليس بباطل.

أنا لست كسائر الناس*

المطران اغناطيوس هزيم

في إنجيل هذا الصباح، أيها الأحباء، سمعنا جملة قصيرة قالها الفريسي «أنا لست كسائر الناس». ولوعدنا إلى أنفسنا وفحصناها لوجدنا أننا في كثير من الأحيان لا بل في كل يوم نردد هذه العبارة «أنا لست كسائر الناس». إننا نحب أن تنكشف أغلاط الآخرين وان تغطى أغلاطنا نحن، نحب أن يقوم الناس بواجباهم أما نحن فلا. وإذا عملنا عملاً صالحاً نطلب أن يَعْرِف به جميع الناس ولكننا لا نهتم لما يفعله الغير من الصلاح. نقول فلان يَظلِم وكأننا لا نظلم وذاك خاطئ وكأننا غير خطأة. نتهم الناس بأن إيمانهم بارد وكأن إيماننا حار. لماذا؟ كل ذلك لأننا كما يقول الفريسي، «لسنا كسائر الناس».

الفريسي ليس شخصاً تكلم عنه الكتاب المقدس، بل هو حالة يمكن أن يعيشها كل إنسان إن كان لا يعيشها بالفعل كل إنسان. فالإنسان الذي ينتفخ ويتكبر إذا قام بذرة من العمل الصالح أو قال كلمة واحدة صالحة يحس بأن كل الناس ذُباب وينظر إليهم من عَلُ، من فوق. هذا الإنسان يغلق أبواب ذاته ويقع في الكبرياء. ويقول لنا الكتاب في هذا الصدد: إنه في الدقيقة التي يستولي فيها الكبرياء على شخص ما يقتل هذا الشخص روحياً. وعندما يصبح هذا الإنسان حاكماً على الآخرين ودياناً لهم فقد قتل روحياً.

«لست كسائر الناس» يقول الكتاب المقدس للفريسي قائلها من أنت؟

* كنيسة وادي شحرور، عيد الحركة عام ١٩٦٥

ولم لا تكون كالناس ما دام الله هو الذي يهب الحياة ويمنح الصحة ويعطي الرزق ويجعل الذكاء في الإنسان؟ فما دام الله هو الذي يعطي كل هذا ولمن يشاء فكيف تكون غير الناس؟

يظهر، أيها الأحباء، أن الإنسان عندما يغرق في نفسه، يُنصّب ذاته إلهاً لنفسه ويعبد ذاته في ذاته. والكنيسة اليوم تذكرنا بأنه يجب أن نكون حذرين جداً من عبادة أنفسنا.تحذرنا إلى أقصى الحدود، من أن ننظر إلى خلائق الله وكأنها من الدرجة الثانية، بالنسبة إلينا نحن الذين نتصوّر أننا من الدرجة الأولى. ويل لنا من ابتعادنا عن الله لأن الذي ينقطع عن الاتصال بالله يصبح كمية من التبن فيها حجمها وليس فيها كيانها. واسمحوا لي أن أقول في هذا اليوم بالذات أن الأمثولة الإنجيلية تعني لي شيئاً خاصاً إذ نحن مزمعون في وقت من الأوقات أن يكون كل واحد منا ممثلاً لكنيسته، ممثلاً لإيمانه وتقليده الشريف، ولكتابه المقدس. يتحدثون الآن كثيراً عن وحدة الكنائس لكن هذه الوحدة مع من؟ وكيف تكون إذا كنا فارغين من الله وعقلنا غير ممتلئ معلومات دينية، وقلبنا غير مفعم روحاً أرثوذكسياً عميقاً؟ بدون هذه نكون فقط صالحين لتوقيع معاهدات سياسية أو تعهدات تجارية. الأهل للتكلم باسم الله، وللتوقيع على وحدة يظهر فيها وجه المسيح، هو ذاك الذي يعطي من وقته ليقرأ، ويكد ويتعب في سبيل معرفة ما يريد الله في كتبه المقدسة.

في الوحدة يجب أن يبدو، في النهاية، وجه المسيح. وليس من وحدة يبدو فيها أي وجه ألمع من وجه المسيح. وعليه يجب أن يمتلئ قلبنا بالله، يجب أن لا تتسلط علينا الفريسية في الكنيسة وخارجها لأن ذلك لا يجعل وجه المسيح مشرقاً.

أيها الأحباء، ويل لمن يستغني بغير الله، ويل لذاك الذي لا يشعر بعطش متزايد كلما شرب من نعمه المقدسة. خطأ الفريسي أنه اكتفى، لقد عمل الخير وبذا توقف عن الاتصال بالله. وأما العشار فبقي جائعاً لعمل الخير، بقي يطلب الله باستمرار لأنه يحس بحاجته له «ارحمني يا رب أنا الخاطئ».

علينا أن نسلك طريقاً هي طريق المسيح وأن ينصرف شبابنا وشاباتنا، أن ينصرف الجميع إلى التعرف إلى على دينهم، يجب أن يتعلموا دينهم لأن التعرف إلى الدين لا يكون بضربة سحر بل بالدرس والاستماع إلى الشروح والتفاسير. وألا نكون نحن عثرة في سبيل الوحدة التي يريدها الله للناس.

دعائي إلى الله أن يعطينا القوة حتى يتجلى وجهه في معلوماتنا و في حياتنا في البيت والشارع والمدرسة لأننا قادمون إلى الوحدة ولو بعد مئات السنين ولكننا نبدأها منذ الآن. فلنكن نحن، الموكلين، على إيمان الله أهلاً بالوكالة وأهلاً بالأمانة.

لقاء الراقدين*

المطران اغناطيوس هزيم

في هذا اليوم، أيها الأحباء، تقيم الكنيسة المقدسة تذكاراً لآباء المجمع المسكوني السابع، معنى ذلك أن الحدث والأشخاص الذين نقيم تذكارهم اليوم مضت عليهم قرون طويلة وهم بالنسبة إلى هذه الأرض قد وضعوا فيها ولكنهم في روح الكنيسة، في حياة الكنيسة، لا يزالون أحياء.

في كثير من الأحيان نتساءل لماذا تعيش الكنيسة، كما يبدو للبعض، على أثار الماضي؟ لماذا تعيّد دائما لأشخاص ماتوا؟ انتقلوا إلى عالم آخر حسب تعبير الكنيسة المقدسة؟ الجواب أيها الأحباء أن الكنيسة الحاضرة، الكنيسة الحيّة، تعيش بأمثال هؤلاء لأنها بهم تتحدى الزمن، بهم تتحدى التاريخ، بهم تجعل من امتداد السنين الطوال هنيهة واحدة. لأنها تفهم الحاضر تجمعاً زاخماً قوياً للنعم الإلهية التي أعطاها إياها الله خلال العصور. أمام الزمن القوى البشرية فقط تتدفق ولكن النعمة الإلهية التي أعطيت خلال العصور باقية وتبقى إلى الدهر، هذه من نوع الناموس، هذه من نوع الوصية التي «السماء والأرض تزولان وحرف واحد منها لا يزول».

نحن لسنا رجعيين إذا كنا نفكر بالماضي ولا متأخرين إذا كنا في الساعة الحاضرة نفكر بالساعات التي انطوت، ولكننا جماعة تؤمن بأن الله هو رب الماضي والحاضر والمستقبل. وأنه في عينيه ليس من ماض ولا حاضر ولا مستقبل

* بشمزين، كنيسة القديس جاورجيوس، الأحد ١٦/١٠/١٩٦٦

بل هناك حاضر دائماً وأبداً.

هذا ما يبرر، أيها الأحباء، أننا نقيم التذكارات، هذا ما يبرر أننا نصلي من أجل مَن سبقونا إلى الحياة الأخرى، هذا ما يبرر أننا في هذا اليوم بالذات نحن نصلي من أجل راحة نفس فقيدة سبقتنا إلى دار الخلود.

يا أيها الأحباء المهم إذن في حياة المؤمن أن يعيش الماضي ويعيش المستقبل في حضرة دائمة لله حقيقة واقعية. كما قلت. يختصر التاريخ في هنيهة الحاضر التي فيها يقف الإنسان أمام الله، ولذلك فكلما وقفنا أمام الله لنسبح، كلما أخذنا السر الإلهي المقدس، سرّ الشكر، نكون قد وقفنا ومن مات وقفة فعلية واقعية ملموسة. الذين يريدون أن يعتمدوا على ذاكرتهم فقط ليذْكُروا أحباءهم هؤلاء يغشون أنفسهم بأنفسهم. المكان الوحيد الحقيقي الذي فيه نقف نحن والغائبين وجهاً لوجه والذي فيه نشترك وإياهم في عملية واحدة هو الصلاة والوقفة أمام الله الحاضر في كل زمان ومكان، هو الاشتراك بالسر المقدس الذي يجعل من الإنسان حيّاً وميتاً بالنسبة إلى العالم في آن واحد وحيّاً أبداً بالنسبة إلى العالم الآخر. لذلك نطلب إليكم ونحن نقيم تذكار الأباء ونصلي من أجل راحة نفس فقيدة عزيزة، أطلب إليكم أن نعتمد جميعاً هذا المكان المقدس لمواجهة الذين سبقونا. هنا اللقاء، هنا صورة للقيامة الآتية، هنا الجسد الذي يكوّن كثافة في الحياة يصبح شفافية كلية، هنا تلتقي الأرواح، هنا يلتقي الأحباء ويرتفع صوتهم واحداً أمام مذبح الرب: قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت.

هذه تعزيتنا، أيها الأحباء، في هذا الظرف المبارك عيد الأباء وفي هذا الظرف بالذات حين نقيم تذكار راحلة عزيزة.

لا مساومة على الله*

المطران اغناطيوس هزيم

من الانتقادات التي توجه إلى الدين عامة، هو أنه يمد الناس بالميوعة، ويجعلهم يفقدون ردة الفعل، بل يجعلهم أنصاف رجال، ويقلل من قيمتهم، ولذلك، كما يقول البعض، فإن رجولة الإنسان تنتقص عندما يعتنق الدين ويصبح ذا إيمان. في هذا اليوم المبارك، ونحن نعيد للنبي الياس، أرى أن العكس هو الصحيح تماما. النبي الياس يُعرف في الكنيسة بأنه نبي الغيرة ولا يقبل أن يمس الله بطريقة من الطرق. لا يقبل النبي الياس أن تكون شراكة بين الظلمة والنور ولا أن يكون أي نوع من المساومة عندما يكون الموضوع الله نفسه. نحن اليوم، أيها الأحباء، يجب أن نتعلم أمثولة من النبي الياس، الذي نعيد له اليوم، وهي أن هنالك موقفين بين أمور الحياة: الموقف الأول هو الموقف السياسي أمام الأمور، هذا الموقف الذي فيه كل شيء يساوي أي شيء آخر. الحسن كغير الحسن، الصحيح كغير الصحيح. القيم فيه تضيع، المهم أن لا يحدث شيء مزعج. الموقف السياسي لو اتخذه النبي الياس لما كان ذبح أربعين من كهنة البعل. ما كان قتلهم بل كان قال كما يقول السياسيون، لماذا لا يرحمهم؟ لِمَ لا يصبر عليهم؟ لو تركهم أحياء، أما كان من الممكن أن يهتدوا هم أيضاً ويخرج منهم نبي مثل النبي الياس تماماً؟ ولكن لكي نفهم لماذا يقف النبي هذا الموقف، يجب أن نميز بين المقاييس السياسية وبين المقاييس الأخلاقية لكلا الموقفين. في السياسة هناك أنصاف حلول، في السياسة يمكننا القول إن فيها من الصلاح نسبة معينة..

* دير مار الياس شويا، عام ١٩٦٦

ولكن في الأخلاق فالأمر إما صالح وإما غير صالح! وفي الإيمان إما الإيمان قـويم أو لا. وكذلك الدين إما أن يكون معه أو عليه. فليتعلم الإنسان من الياس النبي أن المساومات لا تكون في الدين، لا تكون في الأخلاق لا تكون في الحق. لأنها في كل الأحوال لا يربح منها إلا ما هو غير حق وما هو غير دين وما هو غـير أخلاق. فإذا عدتم اليوم إلى قراءة حياة النبي الياس وشاهدتم موقفه، قولـوا إن موقفه موقف مؤمن لا موقف سياسي مساوم، قولوا: إنه يهمه الله قبل أن يهمه أي شيء آخر. قولوا لا يهمه تبييض وجهه ولكن يهمه أن يلمع نور الله ساطعاً.

أليس هذا أمثولة لنا، أيها الأحباء؟ كم من الناس الذين يداعبون الـشر لاعبين لعبة السياسة معه في أشخاصهم في أخلاقهم، في عائلاتهم وفي أعماله هو. كم وكم.. كيف نفكر أننا أصبحنا اليوم لا نجسر على مجابهة الأمور كما كان يجابهها النبي أو الرسول؟ لا تفسير لذلك إلا أننا أصـبحنا نـساوم ونـساوم ونساوم.. فإذا بالشر يتسلط ويقوى وينتعش حتى نجد أنفسنا عاجزين عن رده عندما نكرهه لأنه زاد في المساومة وزاد وزاد حتى أصبح حمله ثقـيلاً. عنـدما تقرأون اليوم حياة النبي الياس، وأرجو أن تقرأوها، فكّروا أن هذا الذي نعيّد له لم يكن من أولئك القوم الذين يبيعون الحق من أجل تبييض وجـوههم ولكنـه قال: الله أولاً وأخيراً. والحق أولاً وأخيراً، وكذلك الأخلاق لا السياسة.

في هذا العيد أعايدكم متمنياً إليه تعالى أن يعطينا نفحة من روح الـنبي الياس حتى لا نداعب الشر أكثر فأكثر لأنه بالمداعبة يستفحل.

من وحي المعمودية*

المطران اغناطيوس هزيم

أيها الأحباء،

لنأت سوية حتى نشاهد هذا المنظر الذي بدا مدهشاً أعني بـه منظـر مخلصنا يسوع المسيح يأتي إلى يوحنا يطلب منه المعمودية. ردة الفعل عند السابق كانت أنه قال: يجب أن آتي إليك أنا، أوَ أنت تأتي لتطلب مني المعمودية؟ ولكن المخلص لم يرض عن ذلك وقال ليوحنا: «يجب أن نتمم كل بـر»، يجـب أن تعمدني دون أن تستغرب هذا الموقف.

ما الذي حصل فعلاً؟ إن ما حصل هو بالحقيقة أمر اعتيادي. السـيد يطلب المعمودية من عبده، على حد تعبير المرنم، الكبير يرى طريق الكـبر في أن يطلب العماد ممن هو أصغر منه. في هذا العالم الكبير لا يطلب من الصغير ظنـاً منه أن ذلك يتحدى كبره. نعم! العكس هو ما يحصل في حياتنا، أيها الأحباء. غير أن ذلك لم يمنع المسيح أن يأتي أمراً غير اعتيادي، لماذا؟ لأن المـسيح أتـى ليقلب الآية رأساً على عقب أتى ليعلم الناس أن العظمة غير ما يتصورون، أتى ليعلم الناس أنه ليس كبير ولا صغير في النهاية عندما يكون هنالك فعل محبة حتى ولو كان ذلك الفعل أَخْذاً. لقد قلب المسيح بالحقيقة الآية رأساً علـى عقـب وغيّر المقاييس و«خربط» الأنظمة التي تعودناها في عالمنا هذا. أليس، وهو الإله، تنازل إلى طبيعتنا البشرية ليفتدينا؟ الإله يأتي الطبيعة البشرية لا متكبراً ولا متجبراً

* عيد الظهور الإلهي، ١٩٦٧/١/٦

أو متعالياً، إنما يأتيها طائعاً، وديعاً كالحمل، طالباً، لا بل أكاد أن أقول سائلاً مستعطفاً. ألا يدق كل يوم على أبواب قلوبنا سائلاً أن نفتح له؟ ألا يكرر ذلك ويكرر وهو الإله الذي السماء عرش له والأرض موطئ قدمين؟

وأكثر من هذا أيها الأحباء، في عيدنا هذا المبارك نشاهد الإله الذي حدده جميع الفلاسفة وعرّفته معظم الأديان بأنه المتعالي، البعيد عن المادة، البعيد عن الخليقة، هذا الإله أتى إلى المادة بالذات وإلى الخليقة بالذات. قبل المسيح كان يمكن القول إن العالم عالمان: العالم الروحي والعالم المادي وأما بعد المسيح فليس من فصل بينهما. وليس صحيحاً أن الدين يهتم فقط بأحد هذين العالمين أي الروحي منهما. الدين يهتم أيضاً بما هو مادي. لأنه ليس من مادة بحد ذاتها. الشيء نفسه مما يدعى مادة قد يستعمل للبناء وقد يستعمل للخراب. الرزق قد يستعمل للعطاء وقد يستعمل للاستغلال، الغنى قد يكون فرحاً بحرمان الآخرين وقد يكون فرحا بإمكان العطاء. لم يعد هنالك من فصل بين ما هو مادي وبين ما هو روحي، وحاجتنا إلى التقديس – في ضوء هذا العيد – لم تعد فقط في أرواحنا وأفكارنا ونياتنا بل في أجسادنا ذاتها، في أعمالنا، في أرزاقنا، في التراب الذي نفلحه، في الشجرة التي نقطف ثمارها والآلة التي نستخدم.

عيدنا اليوم شهادة للمغامرة الإلهية الكبرى، إعلان بأن الله سيد خليقته بكليتها، وليس في خليقته، مادياً كان أم روحياً، ما هو غير خاضع لإرادته. اليوم تحل النعمة في المياه، كما تقول صلاة تقديس المياه، نعم في المياه التي نشربها ونغتسل بها. هذه المياه التي تلمسها أيدينا وتراها عيوننا، إنها تحل فينا تماماً كما عندما نتناول المخلص تحت شكلي الخبز والخمر وعندما نطلب منه البركات الإلهية..

فيا أيها الأحباء، لن يقبل المسيحيون بعد اليوم الاعتراف بأن هنالك في الوجود زاوية واحدة من زوايا النشاط البشري ليس لله فيها يد. فليكن اعتقادنا واضحاً واعترافنا صريحاً بأننا – في ضوء هذا العيد – لا نؤمن بأن الدين للعالم الآخر وحده كما يقول البعض، الدين ليس للسماء وحدها أو للأعالي وحدها إنه للأشياء، للأرض، لحياتنا في هذه الدنيا. ولذلك فكلنا مدعوون إلى أن نطلب التقديس لكل صغيرة وكبيرة في حياتنا. ألا نصلي للنهار صباحاً وللمساء مساء، وللطعام قبل الطعام؟ المسيح رب كل شيء. وأولئك الذين يحجبون نعمة المسيح عن الشؤون المادية إنما يحجبونه هو عن خليقته ويسجنونه في عالم روحي اصطناعي.

فلنعمل على أن نجعل الله مجدداً، سيداً في قلوبنا، سيداً على حياتنا العملية منها وغير العملية، سيداً على أشيائنا الملموسة منها وغير الملموسة طالبين منه البركات على كل ما نعمله أو نفعله أو نفكر فيه.

سلوى نصار القدوة*

المطران اغناطيوس هزيم

لماذا نذكر اليوم الصليب بصورة خاصة في قلب «ميدان» الصوم الكبير كما ندعوه في كتبنا الطقسية. والصليب هو ذاك الذي نرسم إشارته كثيراً، اعتقاداً منا أكيداً بأنه يجب أن يغطي كل جزء من أجزائنا وأن يستولي على كل عضو من أعضائنا. إن في ذلك ما فيه من المعنى الروحي، أيها الأحباء، ذلك أن المسيحي المؤمن هو ذاك الذي في عملية معموديته يقبل أن يتكرس للموت، يقبل أن يتسلح بموت طيلة حياته وأن يكون كما قال الكتاب حاملاً الصليب. وقد يبتهج غيره ويفرح ويمرح، قد يبطر غيره في حياته، ويتصرف على غير ما يرضي الله لكنه يحمل الصليب، يحمله ليس فقط على جسده ولكن في جسده، في نفسه. لا في إيمانه النظري وفي أقواله ولكن في صميم تصاميم حياته، في صميم نواياه وفي صميم تفكيره، في قلبه كما يقول الكتاب.

ولكن اليوم، أيها الأحباء، إذ نقيم ذكرى الصليب الكريم شعار المسيحية الحقيقية لا يغيبن عن بالنا أن الصليب يحمله الحي. صليب الآلام، صليب الأوجاع، هذا يحمله من يحيا في هذه الدنيا. صليب الأوجاع يرافق الإنسان العائش فكأنه إرادة الله لكل مؤمن منا وكأنه معنى حياتنا بالذات. وبدون الصليب لا معنى لعيشنا؛ وهو الذي يعطي مغزى حياتنا الروحية والزمنية.

ويشاء الله أن نقيم اليوم، ونحن نتحدث عن الصليب، الصلاة الأربعينية

* كنيسة ضهور الشوير، القداس الأربعيني للمرحومة سلوى نصّار.

عن نفس فقيدة كبيرة كلنا نعرفها الدكتورة سلوى نصار. هذا البلد كان الله قد خصه بأن يلد أشخاصاً عظاماً عدة من المعلمين، مـــن الرجـــالات رجـــالات الطلائع. ولكن هذا البلد دعي أيضاً بذلك الفعل نفسه إلى أن تكون خـــساراته جسيمة، ولكن لا يكتئبن أحد، أيها الأحباء، فاليوم تحضرني كلمات ســلوى نصار عندما كانت في المرحلة الأخيرة من مرضها. لقد قالـــت: «يجـــب أن لا يحزن عليّ أحد ـــ قالت ذلك لي أنا ـــ لأني مدركة أن الله قد أعطاني ما كان لا يمكن أن يعطى لإنسان على وجه البسيطة طيلة الفترة القصيرة التي عـــشت» وكنت أردد أمامها أننا دائماً نتقوى بإيمانها، دائماً نتشدد بأن اتكالها على الله لم يكن له حد. وقالت لي: «أنتوقع عجيبة؟ لقد أنعم الله عليّ بالعجيبة مسبقاً وإلا لما كان يجب أن أكون معكم منذ سنوات عدة».

أيها الأحباء، لو كان المجال يسمح بإطالة الحديث لأطلت كـــثيراً لأني عرفت الدكتورة سلوى نصار منذ سنوات عديدة. ولكن اسمحوا لي أن أذكـــر فقط بعض النقاط التي لا يجوز السكوت عنها ليس بالنـــسبة إلى الأهـــل، ولا بالنسبة إلى الأصدقاء ولكن بالنسبة إلى الكنيسة، لأن سلوى أحبت الكنيـــسة. كانت تحبها ومنذ أكثر من خمسة عشر سنة، عرفتها تأتي إلى الاجتماعات لكي تسمع كلمة الله، وممن؟ من أي إنسان، مني مثلاً. وهذا غريب نوعاً ما بالنـــسبة إلينا، ذلك لأن الذرائع التي يتخذها اليوم أبناؤنا المتعلمون حتى يتعالوا ويتساموا على الكنيسة وعلى كلمة الله وعلى دراويش الله الكهنة، هذه الذرائع لم تكـــن لتنقص الدكتور سلوى نصار. ولكنها أبداً كانت كالتلميذ المـــصغي الـــذي لا يكتفي بفتح أذنيه فقط ولكن قلبه أيضاً لسماع الكلمة. وهذه كانت نعمة إلهية عند الراحلة لأنها كانت كلما ازدادت سماعاً ازدادت غـــنى روحيـــاً، وازدادت

ذخراً داخلياً. وكل من عرفها يعلم أن روحها كانت عابقة بأريج النعمة، مليئة بنعمة الله.

وشيء آخر، أيها الأحباء، الدكتورة سلوى نصار كانت عالمة. هذا ما أُخبرت به أخباراً لأني لا أعرف ماذا كانت تعرف. لكنها عالمة هنا، أو هنـــاك وفي كل مكان أكثر مما كانت بالنسبة إلى محبيها. كان يعرفها الغرباء عالمة جبارة أما نحن فنعرفها ابنة طيبة، ابنة وديعة، يمر الإنسان بجانبها فلا تقوم بحركة واحدة لتلفته إليها. شيء كان يسحقني وهو سلوى نصار. كان يجب التفتــيش عنـــها تفتيشاً لكي تجدها. إذا كان هنالك إنسان واحد وقف ليسلّم علي، كانت هي الثاني وإن وقف مائة كانت هي الأخيرة. أعترف أني لم أعرف في حياتي تواضعاً أشد وأعظم. ماذا أقول! لقد كان يجب علي أنا أن ألفتها إلى نفسها وأنبهها إلى أنها هي الدكتورة سلوى نصار العالمة المؤمنة وأنها ليست نكرة. نعم هذا كـــان يجب أن نقوله نحن لها أما هي فما كانت لتفرض نفسها بأية طريقة من الطرق.

ونقطتي الثالثة، أيها الأحباء، هي أن علماءنا اليوم، ونحمـــد الله علـــى وجود العلماء، عندما يقطعون في العلم شوطاً ولو قـــصيراً، يطرحـــون ــــ ولا أدري لماذا ــــ المشكلة الروحية بصورة تكاد أن تكون واحدة ووحيدة للجميع. فإما عالم غير متدين وإما متدين جاهل. وكنت دائماً أتساءل لمـــاذا لا يكـــون العالم هو المتدين والمتدين هو العالم؟ ما بال الناس لا يتصورون إلا علماً ملحداً أو ديناً صنو الجهالة؟ وفي اعتقادي أن الدين الحقيقي ليس هذا بالضرورة، والعلم الحقيقي ليس حصراً ذاك العلم.

أيها الأحباء، سلوى نصار بالنسبة إلى الكنيسة العالِمُ الذي أفـــاد، إلى أقصى حدود الإفادة، قدوة الله في مخلوقاته. هذه الابنة كانت ترى بعينيها قدرة

الله في كل ما تعمل، في المختبر، في الذرة، في الإدارة. ما كان يعميها العلم، ما كانت تغرقها المعلومات مهما لغت شأواً من الرفعة. كانت في الخليقة ترى دائماً يد الله وقدرته. وهذه دعوة لكل متعلم أن يعرف أن الله هو رب عالم العلم وأنه هو الذي كوّنه، وأن العلم الذي نفاخر به عن حق، إن هو إلا اكتشاف لنعمة الله وقدرته في مخلوقاته. فهل، يا ترى، كان موقف سلوى نصار هذا هو الذي يفسر تواضعها الرائع؟ وأنها كلما اكتشفت وعرفت واستنارت من حيث أنها بشر كانت تدرك صغارتها أمام الله. قال لي أحد العلماء: خطر المتعلم الكبرياء، لأنه في وقت من الأوقات ينصب نفسه إلهاً للكون الذي لم يصنع. هذا الخطر لم يكن عند فقيدتنا الكبيرة الدكتورة سلوى نصار. كانت مبشرة الكنيسة، مبشر الإيمان في حقل العلم لذلك فخسارتها تتجاوز أهل بلدتها أو محيطها العلمي. إنها مساً في قلب الكنيسة.

نسأل الله أن يقيم من بينكم، أيها الأحباء، من يحل محلها في إظهار عظمة الله في خلقه، وعظمة الاتضاع لما يكون الإنسان متعلماً.

هل تسمحون لي إذن، أيها الأحباء، أن أقول لكم إن عزاءنا بالفقيدة الكبيرة هو أيضاً كبير. عزاؤنا أنها كانت لله ولأبناء الله، كانت لكل على السواء، لقد أعطت من قلبها ومن صحتها حتى الرمق الأخير. تعزيتنا هي أنها تركت هذا العالم وهي على القمة التي رفعها الله إليها. تعزيتنا أنها لم تتكبر، تعزيتنا أنها سارت على رجاء القيامة والحياة الأبدية. ومن آمن بالرب فبالرب يحيا والقيامة تنتظره. هذه التعزية أسوقها إليكم جميعاً سائلاً الله أن يجعل من هذا المصاب أمثولة لنا فنقوم بقسط مما كانت تقوم به راحلتنا الفقيدة.

كلمة المسيح الخلاصية*

المطران اغناطيوس هزيم

سمعتم اليوم، أيها الأحباء، المقطع الإنجيلي وكيف أن الخلاف بين اليهود والمخلص كان على طريقة شفائه للمخلع. كانت المشكلة بالنسبة لليهود أن المسيح لا يحق له القول للمخلع: «مغفورة لك خطاياك» لأن غفران الخطايا مختص بالإله وحده وهذا يعني أن المسيح عندما يقول: «مغفورة لك خطاياك» فكأنه يقصد أن له سلطاناً إلهياً لغفر الخطايا.

أيها الأحباء، الخلاف الأساسي الذي كان بين اليهود وربنا ومخلصنا يسوع المسيح هو أنه في نظرهم ليس مسيحاً لذلك ليس له أن يقول كلمة الخلاص، بينما نحن نؤمن أن الكلمة التي تخرج من فم المسيح هي هي التي بها تكونت الأرض والعوالم. هذه الكلمة هي نفسها التي بها كان كل شيء وهي التي قالت: كن، فكان. وهي التي تعدل العقل وعلى أساسها نعيش وبها نأتي هذا العالم ونقضي حياتنا فيه ومن ثم نموت.

لو لم تكن كلمة الإله الحي الخلاقة فلماذا نعتمد ما دامت المعمودية موتاً بالنسبة للعالم وحياة بكلمة المسيح المحيية؟

لو لم تكن كلمة المسيح في أساس إيماننا لما كانت تعطي لحياتنا العملية معنى. في الصباح نطلب كلمة منه لكي نتوفق، في عملنا نطلب منه كلمة حتى يضع يده في يدنا، في المساء نطلب منه كلمة حتى ننام كما يشاء. وفي الساعة

* الأحد السادس بعد العنصرة، ١٩٦٧

الأخيرة نستلقي بين يديه حتى يقول كلمة حيث يجب وإذا بنا ننهض من القبر وكأننا كنا نياماً.

أيها الأحباء، كلمة الرب التي تقال لنا يومياً امتحان لنا. عندما طلب الله تعالى إلى إبراهيم أن يبرهن له عن إيمانه به إيماناً حياً، ناداه فأجابه إبراهيم بعبارته المشهورة «هاءنذا» فلم يكتف الله بالكلام فقط ولكنه أحب أن يذهب إلى أبعد من ذلك ويمتحن عمق الإيمان فقال له: «خذ ابنك وحيدك وقدّمه لي ذبيحة» فكانت حيرة إبراهيم وكان تردده بين صدق إيمانه بالله وبين حبه لابنه الوحيد فإذا به يختار الأول ويستل السكين ليقدم بكل صدق وإخلاص ابنه ذبيحة لله.

الله هو الذي في البدء، قال، كن. وهو الذي يستدعي الناس إليه حين يشاء. هو الذي خلق وهو الذي يميت، هو الذي يعطي وهو الذي يأخذ. بكلمته نحن نكون، وبها يجتمع الأهل والأقرباء. بكلمته يتفرق الناس ليجتمعوا، في النهاية، إليه. لأن كل اجتماع دنيوي لا يدوم أما الاجتماع إلى جانبه تعالى فلا نهاية له.

أيها الأحباء، أما تعهدنا في المعمودية عندما دفنا مع المسيح أن نتكرس للموت في كل ساعة وكل دقيقة من ساعات حياتنا ودقائقها؟ أليس كل من اعتمد بالمسيح قد مات ويموت أكثر فأكثر؟ أليس ذلك صحيحاً لأن اعتقادنا أن الحياة الوحيدة هي للرب وأننا في النهاية لسنا في هذا العمر سوى سائحين وأننا في وقت من الأوقات بالكلمة التي نزلنا بها على الأرض ننسحب عنها وبالصوت الذي دعانا حتى نكون نعود إلى حيث حضن الله الواسع؟

الوحدة المسيحية*

المطران اغناطيوس هزيم

موضوعية البحث:

منذ سنوات ولي الشرف في أن أناقش هذه الموضوعات، وهذا الموضوع بالذات، في أوساط تختلف عن الأوساط التي تعودناها. أنا لا أخاف، عندما أتحدث في مثل هذه الموضوعات، من أن تكون هناك فروقات لأني أعتقد أن الواحد منا يحب الآخر إلى حد أن الفروقات تكوّن بالنسبة إليه فقط موضوعاً للدرس وليس إثارة لأية عاطفة ولا برهاناً على أية كراهية ولا دليلاً على أي ابتعاد. فعندما أتحدث في هذا الموضوع أجسر على القول إن طبيباً يتحدث في الطب ليس عنده المخافة التي عندنا نحن عندما نتكلم عن الجسد مثلاً. أنا أتكلم في الأمور بطريقة موضوعية صرف واعتماداً على معطيات هي أوسع بكثير كثير من المعطيات التي عندنا في أية منطقة لوحدها.

اهتمام الكنائس بالوحدة:

«وحدة الكنيسة» لا شك أنه الموضوع الذي نتحدث فيه الآن. هو الموضوع الذي يشغل العالم والذي جعلته الكنائس شاغلها الرئيسي منذ سنوات. ومن يدري فقد يكون هذا الموضوع بالذات هو الذي استدعى الجهود الجبارة الخاصة التي قامت بها الكنائس بأجمعها لكي تجعل اهتمامها في هذا الاتجاه؟ يعرف كل واحد منا أن الكنيسة الكاثوليكية منذ سنوات لم تقم بمجمع

* ١٩٦٨

الفاتيكان الثاني. ولكن هذا المجمع قام في هذه الآونة. منذ سنوات طويلة لم تفكر الهيئات البروتستانتية بأن تكون سوية، بمعنى خاص على الأقل ولكنها حاولت أن تأتي مع بعضها لنقوم بمجهود عام في قضية الوحدة. وكذلك لم يفكر هؤلاء كلهم بأن يكونوا مع اخوتهم الأرثوذكس بهذه الطريقة التي نراها من خلال النشاطات الحالية.

إذا طلب إليّ أن أحدد المناخ اللاهوتي الذي يسيطر على كل الكنائس المسيحية في العالم أقدر أن أقول وضميري مرتاح: إن المناخ الذي يسود جميع الكنائس المسيحية هو مناخ قضية الوحدة والاتحاد.

الدافع إلى الهم الوحدوي:

لغيري أن يقول إن هنالك ضغطاً خارجياً من مكان ما، من فئة من البشر. أما أنا فإني أكيد أن اللاهوتيين في مختلف الكنائس يشتغلون بكامل الاستقلال عن كل معطيات حزبية أو سياسية أو ثقافية أو أي عنصر آخر. أعرف أن اللاهوتيين في العالم، ولو كانوا قلة ولا يزالون كذلك وهم يتجندون لهذا الموضوع لا لشيء إلا لأن موضوع الوحدة لاهوتي صرف. لا بل نعتقد أنه لا يجوز لكنيسة إلا أن تبحث هذا الموضوع إذ أن الكنيسة في عرفنا جميعاً واحدة. الكل، كل واحد منا يعترف في دستور إيمانه بأنها واحدة ويعترف أن الوحدة هي نقطة انطلاق في الكنيسة. الكنيسة واحدة على أساس أن في ضميرها وحدانية. وحدانية الكنيسة ليست شيئاً يأتي بعدئذ بالنسبة إلى كيانها، ليست شيئاً يحقق بعدئذ. ولذلك نسمع، ونحن من القائلين، أن وحدانية الكنيسة لا تطرق كما تطرق مشكلة توحيد الصفوف في مدينة أو بلد أو جماعة من البشر. إننا ننطلق من أن الكنيسة واحدة في داخلها. لسنا الوحيدين الذين

يعتقدون هكذا، لم أعرف كنيسة لا تعتقد هي هذا الاعتقاد.

ما المشَكلة إذاً؟ المشكلة بالنسبة إلى الكنيسة هي أن هنالك أناساً لا يعيشون في شركة وإياها. هذه الفئة، بالنسبة إلى الكنيسة ولا أقصد الكنيسة الأرثوذكسية بل الكنيسة عامة، قد انشقت عن الكنيسة أو انزوت عنها أو انسحبت منها إما لأمور في الإيمان، إما لأمور في النظام. وأعتقد أن اللاهوتيين من الكنائس الأخرى يوافقون معي. وهنالك أيضاً فئة لم تصلها بعد كلمة الحق. مشكلة هؤلاء مشكلة خاصة إلى حد ما. هذه هي مشكلة الوحدة كما تطرح في الكنيسة من الوجهة اللاهوتية.

ولكن هذا يعني أن هنالك شيئين يجب أن يقتربا الواحد من الآخر. لو كان يمكننا أن نتوقف في الموضوع فقط عند الحد الذي ذهبت إليه حتى الآن لكان الأمر سهلاً. ولأمكننا أن نصف هذا بمنشق وذاك بهر طوقي وذلك بأي شيء آخر وانتهى الأمر بالنسبة إلى الكنيسة. الموضوع ليس هكذا.

العناصر الوحدوية بين الكنائس:

ما هي حدود الكنيسة؟ عندنا من ناحية انقسام المسيحيين ومن ناحية أخرى عناصر وحدوية في صميم الكيانات المسيحية. الموضوع كيف نوفق بين الاثنين؟ وما هي العناصر الوحدوية بين الكنائس؟

من هذه العناصر أن رب الكنيسة واحد. ليس من كنيسة لا تعترف بوحدانية مخلصنا يسوع المسيح. هل يمكن للاهوتيين أن يتجاهلوا هذا العنصر؟ كلا.

وإن كان الفرق بين كنيسة وأخرى في الصعيد العقائدي مختلفاً إلى حد

ما في نقطة ما فهل يجب أن تطلق الواحدة الأخرى؟ وإذا كانت هناك فئة ممـــن ندعوهم منشقين فهل يجب أن نشطب عليهم ونضعهم جانباً بـــصورة نهائيـــة؟ كلا، ما دام المسيح الذي يعترفون به كلهم واحـــداً. إذا كـــان المـــسيح رأس الكنيسة، إذا كان المسيح أساس الكنيسة معنى ذلك أن كل من يـــدعو نفـــسه كنيسة مرتبط إلى حد ما، وبطريقة ما، بأخيه الذي يعطي الاعتراف نفسه.

وثمة نقطة تلاقٍ ثانية: أومن بمعمودية واحدة لمغفـــرة الخطايـــا. كـــل مسيحي معمّد والمعمودية كلنا نقول إنها واحدة وليس من إعادة لها. الا تجمـــع المعمودية، وهي من نوع الختان عند الشعب العبري في العهد القديم، بين معمّد ومعمّد كما كان الانتماء إلى شعب الله الخاص بالختان يجمع بين عبري وعبري. وقد ورثنا عن الشعب العبري أننا شعب الله الخاص.

نقول إن المعمودية مدخل إلى الحياة الكنسية، فإذا دخلنا الحياة الكنسية من باب واحد فلماذا لا يكون هذا المدخل عنصر توحيد؟ يعتقد اللاهوتيون أن هنالك عنصراً وليس هو العنصر الأقل.

إذا كانت المعمودية، بعد الاعتراف بربوبية المسيح، موتاً بالنـــسبة إلى العالم ومشاركة في قيامة المسيح، فكيف يكون المائتون للعالم غير متساوين وغير مرتبطين؟ وكيف يكون الذين يقومون بقيامة المسيح غير مرتبطين ببعضهم برباط واحد؟

عالم الخليقة وعالم النعمة:

مشكلة الوحدة عند اللاهوتيين، أو على الأقل عند بعضهم، هـــي أن نقرب بين عمليتين:

العملية الأولى هي أن المسيحيين منقسمون، هذا واقع. المسيحيون لا يتحابون، هذا واقع. المسيحيون كانوا في نظر العالم عثرة للإيمان المسيحي الحقيقي هذا نعرفه، أعرفه أنا في أفريقيا والهند وآسيا وفي كل أقطار الأرض.

لا يمكن لأحد أن يتصور مدى العثرة التي تعطيها قسمة المسيحيين أو انقسامهم عندما يجابهون العالم غير المسيحي.

العملية الثانية تجعل مسألة الوحدة مهمة جداً في صميم الكنائس. هنالك عالمان للاهوتيين: العالم الأول نسميه عالم الخليقة والعالم الثاني هو عالم النعمة. إلى العالم الأول ينتمي كل ما خلقه الله ومن خلقه. إذاً هذا العالم كامل، عام بالنسبة إلى المؤمن. العالم الثاني هو العالم الذي نعرفه نحن بمعموديتنا، بإيماننا، بممارستنا للأسرار الإلهية، بإيماننا أن الله يعطينا نعماً في كثير من الأحيان عندما نساهم في حياة كنيسته المقدسة. وبكلام آخر نقول هنالك العالم، العالم الواسع، وعالم الكنيسة الذي هو حدودياً أضيق من الأول.

يتساءل اللاهوتيون عن العلاقة بين العالمين وكيف يجدون علاقة بينهما؟ لماذا تشعرون اليوم بأن كل الاجتماعات في كل الكنائس تبحث في موضوع غير المسيحيين؟ السبب هو التالي: نحن نعتقد أن الله الخالق يخلق الإنسان على صورته ومثاله. وبكلام آخر يضع فيه شيئاً منه، يضع من ذاته شيئاً في الإنسان. نؤمن أنه ليس أكثر من خالق للكون وأن كل المخلوقات تخرج من منبع واحد هو يد الله ونؤمن أيضاً أن لله في مخلوقاته قصداً وهذا غاية في الأهمية. سؤالنا اللاهوتي: ما هو قصد الله من خلق هذه الكائنات؟ معنى هذا من الوجهة الروحية أنه لا يجوز إلا أن يكون كل كائن بشري تعيش معه أو لا تعايشه موضوع اهتمامك الروحي، أو موضوع اهتمامك اللاهوتي إذا كنت لاهوتياً. لا

يجوز أن تأخذ إنساناً وكأنه في طريق الصدفة هنالك أو كأنه تحديداً غريب عنك. قد يكون غريباً عنك لأنك وإياه محدودان ولكنه ليس غريباً عن اليد التي صنعتك. إنك وإياه من مصنع واحد هو مصنع الخالق الأوحد.

مشكلتنا إذاً هي أن نأتي بهذين العالمين إلى بعضهما. كل واحد خليقة لله، «كل إنسان كلمة يقولها الله لك» كما يقول أحد اللاهوتيين، هو وجه يعني لك شيئاً. ليس الإلهام الإلهي أو الوحي الإلهي أو الإعلان الإلهي في الكتاب والكلمة فقط أنه أيضاً في الكيان، في خليقة الله. إذا كانت السماوات تحدث بالله، إذا كان الفلك يخبر بأعمال يديه فكم بالأحرى الكائنات البشرية التي خرجت من يده وهي في كل وقت تقول، تعني لك شيئاً. وقد لا تدري هي ما تعنيه. هذا ما دعا إلى اهتمام الكنائس بالعالم. تلاحظون أهمية النظرة اللاهوتية لما يسمونه سياسة الكنيسة، أنه تعبير عن لاهوت. هذا هو اللاهوت الذي نعبّر عنه اليوم بأن نجلس سوية، أن لا نقول لإنسان أنت، تحديداً، غريب، أنت وحدك خلقت وكأن الله قد ارتكب خطأ عندما خلقك. لذلك نحن نتحدث مع جميع الناس، وجميع الأديان، بل جميع الفئات المؤمنين منهم وغير المؤمنين على السواء.

الإصلاح سبيلنا إلى الوحدة:

ليست قضية الوحدة تغنياً، ليست قضية عواطف، ليست قضية تعالوا حتى نكوّن شيئاً. عملية الوحدة، في نظري، دعوة إلى كل الكنائس حتى تصلح الكنيسة نفسها أكثر فأكثر، حتى تصبح الكنيسة كنيسة أكثر مما كانت عليه. ليس من طريق الصدفة أن يكون هنالك فاتيكان الثاني وأديس أبابا ورودوس. هذا يعني أن الكنائس شعرت فعلياً أن شيئاً ينقصها في عملها وأن رسالتها أوسع بكثير مما تعمل. الوحدانية، الحركة الاتحادية هي حركة إصلاح قبل كل شيء.

السبيل إلى وحدة الكنائس*

المطران اغناطيوس هزيم

الوحدانية، الحركة الاتحادية بين الكنائس هي حركة إصلاح قبل كل شيء. يجب أن نصلح قضايا تخص الإيمان كما يجب أن نصلح في أنفسنا أموراً تخص حياتنا الروحية.

نصلح قضايا الإيمان؟ نعم. هل من كنيسة تقوم على أساس غير أساس الإيمان؟ هل من مسيح بدون الإيمان؟ هل من أسرار بدون الإيمان؟ فما بال الناس يتحدثون عن كل شيء إلا عن الإيمان؟

لم يأتِ المجمع الفاتيكاني الثاني ليتحدث في السياسات ولكنه تكلم في اتجاهات إيمانية صميمة مخلصة، يود فيها أن يواجه العالم الحاضر الذي يتطلب الوحدة. يجب أن نصلح أموراً في إيماننا. هذا معناه أنه إذا لم نكن في وضع من الإيمان على مقدار كافٍ من النضوج فالوحدة لا يمكن أن تعني لنا وحدة الكنيسة. فكل من لا يحاول أن يقوي نفسه في الإيمان، في الكتاب المقدس، في التقليد الشريف هذا الإنسان غير صالح لأن يكون في وقت من الأوقات طرفاً في الحوار عن الوحدة، وذلك لأنه لا يعرف عن أي شيء يتكلم. **ستكون كنيسة واحدة أي سيكون إيمان واحد، شعب واحد، مؤمنون يتحدون**. وليس جماعة تتفرج على الإيمان فتأتي لكي تخلط الأمور خلطاً وتسلق القضايا سلقاً. هذا يعطي وحدة ولكنها ليست الوحدة التي من أجلها اجتمع الفاتيكان الثاني،

* ١٩٦٨

ورودس، واديس أبابا، إنها وحدة أخرى.

وفيما يتعلق بالأرثوذكسيين في هذه البلاد فهل هم مهيأون، بكل إخلاص أمام الله، من ضمن تقليد الإيمان ومعطياته، أن يظهروا ما أعطاهم الله أو ما أعطى الله لكنيستهم من نعم لأخوتهم المشتاقين لهذه النعم؟ هل يمكنهم ذلك وإلا فباسم أي شيء يتكلمون عندما يتحدثون عن الوحدة؟

طالما لا يقوم التعليم في كنيستي على قدم وساق، طالما لا يكون فيها تنوير للكبير والصغير لا أعتقد أنه يمكننا أن نساهم في هذا الاحتفال من النور، احتفال الوحدة. لا يجوز لنا أن نشعل شمعة واحدة. كل ما يمكن أن نفعل هو أن يسير قطيع لا يدري إلى أين يسير. والمطلوب منه باسم المسيح والمحبة الأخوية أن يأتي كالعذارى مضيئاً قنديله بين القناديل حتى يتجلى وجه المسيح من كل أطرافه.

الوحدة مسؤولية على الكنائس ولذلك لا يجوز إلا أن نكون في طليعة الناس الذي يريدون أن يروا جسد المسيح واحداً في هذا العالم.

إصلاح الإيمان الفردي:

يجب أن يتحرك في إيماننا شيء ويتعدل. أعني بذلك أن نكون جامعيين في إيماننا أكثر مما نحن، أن نصلي بالفعل وفي قلوبنا انفتاح يسع الأخ الكاثوليكي والأخ البروتستانتي والأخ من الطوائف الأخرى والأخ الملحد. ألا نصلي وفي قلوبنا فقط فلان وفلان ممن نعرف. أعرف كثيراً لا يأتون إلى الكنيسة إلا إذا كان جناز لحبيب لهم، إلا إذا كان هناك شيء يخصهم. أعرف جماعة لا تأتي إلى الكنيسة إلا بدعوات. يجب أن يلمس الإصلاح هذه الناحية فيقدم المؤمن لله الكون بأسره. «التي لك مما لك نقدمه لك على كل شيء ومن جهة كل

شيء». إنه أمر غير واقعي في إيمان الكثيرين منا. لذلك لا يمكن للذين لا يرون أمام الرب أبناءه كلهم التحدث في شؤون الوحدة. وكل وحدة يتحدثون فيها قد لا تقود إلى تلك التي من أجلها العالم كله يغلي غلياناً. قضية الوحدة بالدرجة الأولى مسؤولية روحية.

يجب أن نقوم بجهد لأن ظروفنا خاصة حتى اليوم. كان التاريخ دائماً بالنسبة إلى الكنيسة على شيء من الاسوداد، والحمد لله يزول شيئاً فشيئاً. عرفنا في الماضي كثيراً من الناس أتونا من عالم الغرب، هذا أتى فعلّمنا شيئاً لم نعهده وذاك أتى فعلّمنا شيئاً لم نعهده. مشكلتنا أن الأرثوذكس قد أصبحوا ثلاثة: أرثوذكس وكاثوليك وبروتستانت، الأرمن أصبحوا أرمن كاثوليك وبروتستانت وأرثوذكس... الكنائس الشرقية في وضع لا مثيل له في العالم. لذا فقضية الوحدة تطرح عندنا ضمن ظروف لا نعرفها في أمكنة أخرى. حتى الآن أرى أخي البروتستانتي فأتذكر أخاه الذي هو من كنيستي. أرى أخي البروتستانتي فأعرف أن أباه كان بيننا، يصلي من أجلنا والآن انقطع. أعرف أن أخي الكاثوليكي ترك كنيستي لأنه اختلف مع المطران أو الكاهن. أعرف أيضاً أنه بسبب قصة زواج أصبح هكذا.

مضمون الواقع التاريخي عندنا هو أن عائلة تفككت ولا تزال تتواجه. فيفهم إذاً أن تأخذ شيئاً من الوقت، شيئاً من الصبر، كما قال مجمع الفاتيكان، حتى يتعود الإنسان أن يرى أخاه بحرية، بفكر جديد وإخلاص.

تعرفون، واخوتنا كلهم يعرفون، أن دوافع تقسيم الكنائس في هذه المنطقة لم تكن دائماً على صعيد الإيمان، وإنما بسبب من أمور كلنا، والحمد لله، نخجل أن نذكرها الآن.

مشكلة الطائفية:

الطائفية في هذه البلاد تجعل من الكنائس مجتمعات أو فئات قد لا تكون مؤمنة إطلاقاً. في كنائسنا جماعات محسوبة على كلٍ منها ولكنها لا تعمل ما هو لله. تتوظف باسم الكنيسة، تصبح نائباً أو وزيراً أو أي شيء آخر باسم الكنيسة دون أن تعرف ما الكنيسة. تجعلنا هذه الجماعات نخاصم اخوتنا في الطوائف الأخرى، على صعيد كنسي، في أمور لا علاقة للإيمان فيها إطلاقاً. وتجعل رئيس الكهنة أن يكون في مطرانيته رئيس مكتب توظيف، تجعله أن لا يكون راعياً، أن لا يشفق على الباقين من أبنائه في الطوائف الأخرى أو الديانات الأخرى. هذه عقبة هائلة.

حديث الوحدة لا يجدي إلا إذا كان بين مسؤولين من الكنائس. لذا سارعت كنيستنا الأنطاكية إلى تعيين فئة من مجمعها المقدس، مختصة بهذه الشؤون، حتى تبحث هذه الأمور في الصفاء الذي يطلبه محيط الكنيسة، من الآن فصاعداً لنا الفخر أن نقول، مع اخوتنا من الكنائس الأخرى، أن لدينا هيئة مسكونية تعمل ليل نهار. نحن متحمسون لهذه القضية، قضية الوحدة ولذلك سنعمل وإياكم ونذكركم في صميم صلواتنا.

الآن الكنائس مستيقظة لقضية الوحدة، والحمد لله، والمسؤولين فيها يعملون فيجب أن ندعهم يتممون كل أمورهم بسهولة وهدوء. ملّ الناس! لهم الحق أن يملوا. كلنا نمل رؤية الكنائس هكذا. ولكن أليست هي إرادة الله أن نكون في التاريخ؟ أليست هي إرادة الله أن يكون التاريخ طويلاً إلى هذا الحد؟ كانت أيام الانقسام مريرة وطويلة طويلة. أنا لا أعني أن أيام الاتحاد يجب أن تطول ولكن أعني أن كل شيء في قضايا الوحدة يجب أن يكون تحت رحمة الله.

في سبيل الوحدة الثابتة:

مشكلة الكنيسة ليست الانقسام. والدليل على ذلك أن الانقسام دام قروناً والكنائس، التي تعتقد أنها الكنيسة الواحدة، ما اعتقدت أنها نفسها أصبحت اثنتين. كانت مشكلتها في لقاء جماعة من خارج الكنيسة، جماعة من المنشقين. مشكلة الكنيسة الأساسية في الإيمان.

نريد أن تكون هنالك كنيسة يمكن لوحدتها أن تدوم. هذه لا يفكر بها أحد. الوحدة المترجرجة لا تدوم، وويل للمسيحيين إذا أتوا بعملية اتحاد لا تنتج إلى الأبد وحدانية في الإيمان. عندئذ ستكون العثرة أعظم وأعظم وسيكون الظلام أعم وأشمل. هذا ما يجعل اللاهوتيين والمسؤولين في كل الكنائس يفكرون إلى بعيد بعيد في هذه القضية.

عرفنا حتى الآن أموراً يجب أن نشكر الله عليها. لقد بدأت عملية الاتحاد، التي تبدأ أولاً في كل واحد منا وفي كل كنيسة من كنائسنا. اذكر البابا يوحنا الثالث والعشرين حين قال: يجب أن أنظف بيتي. فالمطلوب من كل واحد منا، من كل كنيسة أن تنظف بيتها أولاً. وبكل راحة ضمير يمكننا أن نطلب إلى اخوتنا الذين قد يكونون سبقونا إلى تكنيس بيوتهم أن يحترموا أوضاعنا ويقدروها ولا يجعلوا أنفسهم يفكرون بأننا نقصر في هذا السبيل. لقد أراد الله أن يكون هنالك اختلاف في الأفراد، في الأمزجة، في الإدارات، في سرعة التفكير. ونحن لسنا خارج إرادة الله من هذه الناحية ولنا فكرنا وإرادتنا، لنا بطؤنا أو سرعتنا. وكما كنا نحترم كل إنسان، في وضعه نطالب باسم المسيح أن يُحترم وضعنا.

المستقبل لله. هذا إيمان كل مسيحي والله يملك في الكنيسة. هو رب

السماء والأرض في إيماننا ولكنه رب الكنيسة بصورة خاصة.

في وقت من الأوقات، يريده الله ويحدده، سينبثق نور لم يكن يفكر به أحد، ذلك النور سيعكس وجه المسيح واحداً وشخصيته واحدة وكنيسته واحدة.

الإيمان، الرجاء، المحبة*

المطران اغناطيوس هزيم

في آخر اللائحة من «سلم الفضائل» نجد أن المرحلة الأخيرة التي يجب أن يصل إليها الإنسان هي أن يجد وحدة بين الفضائل الثلاث: الإيمان والرجاء والمحبة. هذا ما قاله يوحنا كاتب «سلم الفضائل». وأعتقد أن لهذه الفضائل علاقة في حياتنا في الكنيسة.

الإيمان: الفضيلة الأولى، تبدو لي في كنيستنا شيئاً مفروغاً منه. فكلمة الإيمان كلمة إجمالاً معروفة. كل الناس في هذه الكنيسة، عندنا، يرددون أو لا يرددون، لا أدري، ولكنهم يسمعون: «أومن بإله واحد» تتكرر. الكثيرون يذهبون إلى القداس الإلهي ويسمعون ما يمكن أن يسمع في الخدمة الإلهية. ولست متأكداً أننا من ناحية فضيلة الإيمان لا نكتفي فقط بنقل ما كتب سابقاً وما قيل وما أعتقد به. لست متأكداً أن عنصر الإيمان عندنا هو عنصر بالفعل حي. يبدو لي، وأتمنى أن أكون مخطئاً، أن عنصر الإيمان لا يزال مرتبطاً بعنصر الكلام المطبوع، بعنصر الكلام الطقسي، بعنصر المظاهر والعادات عندنا، بعنصر ما تسلمناه منذ القديم وشعرنا أن لنا فقط أن ننقله كما هو إلى فترة ثانية من التاريخ. أعتقد، بكلام آخر، أننا من هذه الناحية نفصل ما هو من قبيل الإيمان الحي عما هو من قبيل المحبة التي تحيي.

والواقع، إذا كنا نذكر هذه الفضائل الثلاث، هو الذي تحييه المحبة،

* الذكرى السابعة والعشرون لتأسيس الحركة، طرابلس ١٩٦٩

الواقع هو شيء حي لا ينقل نقلاً ولكنه يعاش، يختبر، يحيا، يحس الإنسان بأنه خلق فيه، خلق خلقاً جديداً يشعر فيه أنه أتى إلى العالم مجدداً. وبكلام آخر يشعر أنه في نعمة أعطيت له ولم تكن عنده من قبل، يكتشف ذاته اكتشافاً جديداً بالنسبة إلى فعل المحبة الحاضر. هذه المحبة أعتقد أننا نخطئ كثيراً بالنسبة إليها. فالإيمان المنقول إيمان كلام ولذلك فعمل المحبة إجمالاً نشدده كلاماً. الإيمان المنقول هو شيء في غير زمانه تلقيناه دون أن يصبح نحن وعمل المحبة أصبح تسميع أمثولة. كم من الناس أسمعهم يقولون الكلمة حتى الإلهية ولكن مضمونها إلهي بالنسبة لمن يعرف النص فقط أما غايتها ففي كثير من الأحيان ليس لها علاقة بالإلهيات إطلاقاً. كم من الناس محبتهم كلامية سطحية لا علاقة لها بالواقع، ليس عندها الاندفاع الذي يجب أن يكون عند المحب، ليس عندها التضحية، لا بالمعنى التكبري التفضلي على الناس ولكن بمعنى العطاء الطبيعي العادي للذات. كم من الناس أصبحت المحبة عندهم كلمة فارغة، ولِمَ لا؟ من ثمارهم تعرفونهم. هل حصيلة حياتنا الفعلية اليومية يدل على أن المحبة عندنا هي أكثر من كلام؟ لا شك عندي أنها أكثر من كلام عند الكثيرين ولكنها كلام وحده عند الكثيرين أيضاً.

الإيمان بين الأمس واليوم:

هذا الواقع نئن منه ونئن منه على صعيد كنسي. الواقع الحاضر هذا لم نكوّنه، هذا ليست لنا حصة في إيجاده. من كان نظره إلى الإيمان نظر نقل من وقت مضى إلى وقت أتى كان بالطبع حاضره شيئاً مهيئاً بالنسبة إليه لا شيئاً ساهم هو في إيجاده. مشكلتنا أننا نحس في كثير من الأحيان أن حاضرنا غريب بالنسبة إلينا وأننا غريبون بالنسبة إلى حاضرنا، وأن هناك مؤسسات، أن هناك

أعمالاً، أن هنالك عادات، أن هناك تقاليد لا نتعرف إليها بشكل من الأشكال. نعرف أنها نقلت نعرف أنها هنا. ولكن إذا تعمقنا في السؤال ما معناها من حيث أنها تكوّنني الآن؟

كان في الكنيسة أنبياء. وبكلام آخر الكنيسة ليست تلك الغارقة في ماضيها، تلك الغارقة فيما أعطي إليها فقط، لأن ما يعطى لها ليس فقط في التاريخ ولكنه يعطى لها الآن. حاضرها من ماضيها. الكنيسة التي تذكر فقط أن البارحة يخصها دون اليوم هي كنيسة تفقد الظرف المعطى لها اليوم حتى تعيش. ولذلك فكل ما هو منقول شيء تجده في وقت من الأوقات حجراً أمامك، تجده حاجزاً في طريقك، تجده مطفأة للروح، تجده مقاومة لكل لحظة الواقع الذي لم نكوّنه نحن على ضوء النعمة الحاضرة. هذا واقع حجري متحجر ثقيل مقاوم يمنع الروح من أن يتجلى.

أعتقد أن الرسالة الأساسية بالنسبة إلى الكنيسة اليوم هي أن يكون الشباب ذلك الشباب المتطلع إلى ما بعد. نحن كثيراً من الأحيان في إداراتنا لا نرى الغد، لا نرى بعد عشر سنين، لا نرى إلى بعد مئة سنة. أنتم الشباب يطلب إليكم أن تكونوا في الكنيسة ذلك العنصر الذي يتطلع إلى ما بعد. أنتم لستم في الحركة من أجل الكنيسة اليوم فقط أنتم في الحركة من أجل الكنيسة إلى بعد أجيال. ولذلك ويل لنا إذا كنا نغرق بالتفاصيل، ويل لنا إذا كنا فقط في عملنا نتبنى ما أعطي. يطلب إلينا أن نطرح الأسئلة على كل شخص نعرفه عن كل ما أعطي لنا. نحن هنا لنستجوب، نستجوب كنيستنا، نستجوب عصرنا، نستجوب كل عادة من عاداتنا. يجب أن نفهم حتى نعرف.

وحتى نكون ضامنين، فيما يخص المستقبل، أن الله يريد أن يرفع صوته في قلوبنا فلتكن قلوبنا مهيأة لا مغلقة، ملأى بالأمور التي لم يعد لها من قيمة

اليوم. كلما أردنا أن نتحرك، أيها الأحباء، في حقل الكنيسة وفي حقول المجتمع الذي نعيش فيه كلما أردنا أن نتحرك شعرنا أن الصعوبة الكبرى يواجهها من عنده رجاء، من عنده أمل، من عنده تطلع. المكتفي مرتاح، المكتفي بما عنده، المتلقي ما يسلّم إليه فقط، هذا إنسان مرتاح مسرور في حياته. ولكن الذي عنده رجاء، هذا الذي يريد أن تكون، في وقت من الأوقات في المستقبل، لله كلمة، لشعب يأتي، لجيل يولد. هذا الشخص يشعر بأن المؤسسات تقاومه، يشعر بأن كل شيء يقاومه. ولذلك فعليه أن يكسّر إذا أراد أن يتقدم، عليه أن يتساءل ويسأل الجميع حيث الجميع يطمئنون. يجب أن نفلق الكنيسة، يجب، أقول في وضعنا الحاضر اليوم، أن تهتز الضمائر، المؤسسات التي ارتاح لها الناس خمسينات من السنين يجب أن يقال ما قيمة هذه؟ كل شيء يجب بالفعل أن يوضع موضع الامتحان والتفحص وإلا فالكنيسة أيها الأحباء، مدعوة إلى أن تكون ناقلة أو مسجلة تسجل وتذيع ما سجلت ولكنها هي تبقى بدون حياة. الخطر أن الحياة ستغادرها وتغادرها كوسيلة أو قناة تساعد الإنسان للاتصال بربه وخالقه. هنا الخطر: تكون واسطة للخير فتصبح عقبة في سبيل الخير. هذه الفضائل الثلاث: الإيمان من حيث أنه عنصر يؤخذ، والمحبة من حيث أنها عنصر يعمل، والرجاء من حيث أنه عنصر للتطلع يخطط ويعطي نظرة للمستقبل إذا لم تجتمع فالطريق إلى الله طويلة وشاقة وقد تكون منحرفة بالاعتماد إلى يوحنا كاتب «سلّم الفضائل» وكل واحد منا مطلوب إليه أن يجمع هذه سوية حتى تجتمع في الكنيسة. إن الكنيسة مدعوة إلى أن تعيش، ولن تعيش إذا كانت مفصلة مقسمة في الماضي، في الحاضر، في المستقبل، لا علاقة للواحد بالآخر إلا من حيث الاستمرار الجامد المائت. يطلب إلينا أن نؤمن الصوت الذي يقول للمؤمن حذار ألا تحب وللمحب حذار ألا تترجى وللمحب والمترجي حذار ألا يكون ذلك على أساس الإيمان.

لقاء الأب بأبنائه*

المطران اغناطيوس هزيم

أيها الأحباء،

أعتقد معكم أن أول ما يجب أن نقوله اليوم هو الشكر لله الذي شاء أن نجتمع. كما أني باسمكم أشكر كل أولئك الذين سهّلوا مجيئي إليكم من السلطات ومن جميع المسؤولين، الكل في مختلف مسؤولياته. وأشكر صاحب الغبطة البطريرك الياس الرابع الذي كان يرافقكم دائماً بمحبته وعطفه الأبوي وحماسه على كل ما كنتم تفعلون.

أنا شخصياً أقل مما قال الأب يوحنا. ولكن، أيها الأحباء، بالفعل وبكل موضوعية، لا أدري إذا كان في كنيستنا الأرثوذكسية في الكرسي الانطاكي، شعب يرتاح الإنسان إلى وصفه بالمحب لله كهذا الشعب. لا أدري إذا كنا، دون أن نبالغ، نصف شعباً بالإيمان الحقيقي، الإيمان المضحّي، الإيمان المعطي كما يمكننا أن نصف عن حقٍ هذا الشعب الواقف في هذه الكنيسة المقدسة.

حملتم على أكتافكم عبء الكرسي الانطاكي بكامله. وذلك لا عجب فيه لأن مدينة اللاذقية في كل أطوار حياها الإكليريكية كانت تحمل رسالتها عن صدق وأمانة وإخلاص. فلا عجب، إن استمرت وأن تكون قد استمرت في ذلك التراث، وإذا بها الصامدة المدافعة القوية المتماسكة الملحاحة حتى يحق الحق وحتى ينبثق النور في ظلمة كان خطرها على الكرسي الانطاكي أكثر من

* الدخول الأول للاذقية، الثلاثاء ١٩٧٠/١٢/٢٢

ملموس وأكثر من منظور.

إنني، كراع، أشكر الله على أن في كنيستنا شعباً كهذا الشعب. إني أشكره على أن عندنا شباباً مثل هؤلاء الشباب. وأشكره من صميم القلب أن هنالك عائلات كهذه العائلات. الشكر لله لأن هذا الشعب كنزٌ للكنيسة. وما كنزُ الكنيسة سوى شعبها.

أتيتكم بصورةٍ ما كان يتوقعها الكثيرون. ولكنها الصورة الحقيقية لإيمانكم الداخليّ الذي لا يفتّش عن مكافأة. إنها الصورة الحقيقية لذاك الذي يفعل كما فعل سيده، يعمل دون أن يطلب أجراً ويشتغل لكي يكتفي بالعطاء وبالعمل للآخرين. أتيتكم وطابع مجيئي بالنسبة إليّ خاصّ جداً. أتيتكم وكأني كنت دائماً معكم. أنا لا أحتاج إلى استقبال لكنكم استقبلتم بقلوبكم وهو الصدق الفعلي المخلص. أنا عارف أني معكم، أنا عارف أني أعيش وإياكم منذ الساعة التي أعلن فيها بالروح القدس أني هنا القيّم على هذه الأبرشية المحروسة بالله. فلا حاجة لمن يُدخلني ولا حاجة لمن يقدّمني من خارج الأبرشية ولا حاجة لمن يُبرزني كغريبٍ بالنسبة إلى غرباء.

أيها الأحباء، أحب أن أقول لكم في هذه المناسبة، وسأكلمكم في مناسبات لا تُعدّ إن شاء الله، أننا نحن بنينا مستقبلاً على أنقاض ماضٍ مضى وويلٌ لنا إذا لم يكن بناؤنا المستقبلي أهلاً بأن يُحترَم، وويلٌ لنا بلغة الكنيسة المقدسة، إن لم يمجّد الرب في أعمالنا، في أقوالنا، في تصاميمنا، في سيرنا إلى الأمام. وأنا أعرف أيّ تطلّع يتطلع العالم إلينا. أنا أعرف أن من كنيستنا ومن شعبنا هذا بالذات قد يشعّ نورٌ فريد، هذا النور نور الإيمان الصحيح نور الأرثوذكسية القويمة الرأي التي العالم بأسره يتوقعها. هذا العالم الذي أينما ذهب

يدلّ عن تعطشه إلى ما نؤمن به.

أيها الأحباء، في الكتاب المقدس دعوة لا تتوقف تجدونها في آخر سفر الرؤيا: أيها الرب تعال. تعال. الرب ليس في الماضي فحسب ولكنه قادم ندعوه بقلبٍ منفتح، بنفسٍ مخلصة، بأجساد مكرّسة، بعاداتٍ تباركه كل حين. تعال أيها الرب، معناها قلبي مفتوح بالنسبة إليك. تعال أقولها باسم كل واحد منكم. ويوم يُنعم الرب علينا بنعمته عندئذ يكون هو إلهاً لنا ونكون نحن له شعباً.

أسأله، تعالى، أن يبقى معنا دائماً وأن يكون معكم في كل أعمالكم وأن يبارككم في نفوسكم وأجسادكم وعيالكم وأعمالكم كلها، ويجعل منكم النواة الخيّرة في هذه الكنيسة، في هذا المجتمع، في هذا الوطن العزيز، أن يجعل منكم تلك النواة للتي يتمثّل بها إذ شعّ عليها نور المسيح.

مراحل العمل المسكوني ومفهومه الحاضر*

المطران اغناطيوس هزيم

منذ السنة ١٩١٠ قام التيار المسكوني في العالم المسيحي إجمالاً وكان التجاوب بالنسبة إليه متفاوت الحدّة والدرجات. وكان قيامه على أساس أن المسيحيين يختلفون في الدرجة الأولى على عقائدهم، ولذلك يجب أن يكون البحث بينهم عقائدياً. وكان يوازي هذا النشاط في مجلس الكنائس نشاط مماثل في الكنيسة الكاثوليكية. ولكن كلا التيارين كان يسير على أساس أن البحث الأساسي يجب أن يكون عقائدياً. فماذا حصل؟ ما حصل خلال سنوات طويلة هو أن الكنيسة، حتى تجعل من العقائد واقعاً يشعر به الناس، لجأت إلى الكتابات الكثيرة على كل مستوى. ولكننا لاحظنا أن شعبنا لم يعد شعباً يقرأ، إنه يحب أن يتطلع إلى الشاشة أكثر من أن يقرأ كتاباً. لجأت الكنيسة في كل أقطار العالم إلى إثارة عواطف المسيحيين. فكانت المظاهرات وكانت الحفلات وكنتم تسمعون عن الوحدة واتحاد الكنائس، والبعض في هذا البلد ظن أن قضية اتحاد الكنائس تقف على حد فاصل فإما أن تسقط نهائياً أو أنها ستنتهي إلى اتفاق كامل. ولكن العالمين بالأمور يعرفون أنه من صميم الحركة الوحدوية أن يكون الناس واعين لمضمون الوحدة. ومضمون الوحدة ليس علماً فقط، ليس معرفة في شؤون الدين، إن مضمون الوحدة توعية للإيمان، اكتشاف لجامعية الإيمان في الكنيسة. كلّنا نقول: «أؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية». ولكن هذه الكلمة «جامعة رسولية» كان كل واحد منا يفهمها كما يريد،

---

*اللاذقية، ١٩٧٠

فالأرثوذكسي يأخذها أرثوذكسية فقط، والكاثوليكي كاثوليكية فقط،... الخ، ومعنى هذه الفقط أنني وحدي المؤمن بينما الشخص الآخر هو غير مؤمن ويجب أن أعامله كشخص في شطط وغارق في شططه.

المرحلة الثانية من العمل الوحدوي في العالم كانت هي أنه بما أن الإيمان لا يعبّر عن نفسه فقط بالكلام والمواعظ ولكنه يعبّر عن نفسه بالأعمال، لأن الأعمال هي خير تعبير عن المحبة الفعلية، المحبة المسيحية تلك التي، إذا كان لك الإيمان كله و لم تكن لك فلست بشيء. تلك المحبة التي، إذا كان لك الإيمان كله حتى تزعزع الجبال و لم تكن فيك فأنت لست بشيء. هكذا يقول الكتاب وهذا ما اكتشفته الحركة المسكونية في مرحلتها الثانية. لذلك كانت كلمة السر هي التعاون، والعمل سوية، والسير معاً، وخلال المسيرة سوية نتحدث. في المسيرة سوية والعمل نتناقش إذا كانت المناقشة ضرورية. ولكن لا مناقشة وكل واحد جالس على كرسيه والناس ينتظرون نتائج الحوار عن الوحدة. ولكننا شعرنا، في الأوساط المسكونية العالمية، أن جامعية الكنيسة ليست فقط لمن هم فيها أو يظنّون أنهم فيها. نحن نؤمن أن الإيمان ليس مرتبطاً بتذكرة الهوية كما هي الحال عندنا. أنا أعرف أن الكثير من أبناء كنيستي لا يتعرّفون إلى إيمانهم. ولا أقدر، عندما أحكم على قوة كنيستي من الناحية العددية، أن أعدهم بينهم.

نظرنا إلى الإيمان بحد نفسه وجامعيته فتطلّعنا إلى أولئك في دعوة دائمة من الله إلى تحقيق النعمة الإلهية التي فيهم، إلى تحقيق الإيمان، لأن الله لم يعطِ ذاته لفئة دون فئة ولكنه أعطى نفسه لكل مخلوق على صورته ومثاله.

ومن هنا وصلنا إلى المرحلة الثالثة التي كلمة السر فيها أو كلمة التوجيه فيها هي الحوار. انتقلنا من النقاش إلى التعاون بحد ذاته إلى الحوار. والحوار يضمّ

النقاش ويضم التعاون أيضاً. أَنْ تحاوِرَ الناس معناها أنْ لا تُحِسّ نفسك منقطعاً عنهم وأنك غريب عنهم، وأنه لا علاقة لهم بك وأنه يمكنك أن تؤمن بالله وأنت متجاهل الجميع. الحوار أن تضعَ نفسك في حالة استماع للآخرين، تقبّل للآخرين، ومحبة لهم. ومن يدري فأنت مؤمن بالإلهام الإلهي ومن يدري فإرادة الله قد تكون أن يعبّر الآخر عنها وأن يكون هذا الآخر صفحة إلهامية بالنسبة إليك.

إذاً، هذا هو الوضع الحاليّ من الوجهة العامة جداً جداً.

الحوار مع الآخرين هل هو كلام بكلام. هل علاقتنا بالآخرين يجب أن تكون كلامية؟ أجابت الكنائس: الحوار لا يمكن أن يكون كلامياً فقط. الحوار يجب أن يكون فعلاً. ولذلك فهو يمتد ليس فقط إلى أولئك القائلين بالمسيح رباً وإلهاً ولكن إلى كل خليقة إنسانية نؤمن نحن أن الله خلقها. الحوار، ليس من إنسان على وجه البسيطة ـــ بقطع النظر عن طبقته بقطع النظر عن عِرقه، عن علِمه، عن مكانه، عن ديانته، عن إيمانه عن أي شيء كان ـــ يمكنك أن لا تكون في حوار معه. هذا يعني أن تكون مسكونياً بالمعنى الحقيقي للكلمة. والكنائس اليوم تدعو إلى التحدث مع جميع من خلقهم الله. وكما قُلت: ليس من إنسان خارج دائرة اهتمامي، ولا أقول هذا ترفّعاً، لأن روح النقاشات بين الكنائس ليس ترفيعاً. لا أقول هذه الجملة الكتابية: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى منا ومن غيرنا» وغيرنا مريض مئة في المئة. ولكن حيثما فَقُدَ الإيمان وَجبت زيادة البشارة وحيثما ضعف يجب أن يقوى نشاطنا الإيماني.

إذاً الأعمال هي الكلمة التي نقولها لغير المؤمن إيماناً كما نؤمن نحن. «فليضئ نوركم أمام الناس ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذي في

السماوات». وما قال لهم عظوهم بالكلام وعندئذ يتقبلون لكلماتكم. الكنائس اليوم تريد أن تقوم بأعمال يفهمها غير المؤمن أو المؤمن إيماناً آخر أو الذي عنده شيء ضد أية هيئة كنسية حتى يظهر روح المسيح وحتى يظهر نوره من خلال هذه الأعمال بالذات. وليس من إنسان في العالم لا يفهم لغة الأعمال.

انطلقنا من هذه النقطة، فوصلنا في المرحلة الأخيرة إلى القول: قد يكون هناك ضعف في صعيد العمل قد دبّ في حياة الكنيسة، وقد تكون الكنيسة في إدارتها قد أهملت هذه الناحية وتركت، في كثير من الأحيان، فئات واسعة من الناس تقدّم المبادرة في الحقول الطيّبة الإنسانية المحمودة وهي تتفرج. لذلك على الكنيسة أن تساهم. لا يجوز أن تبقى الكنيسة متفرجة على آلام الناس، على الفقر وعلى الجهل، على المرض، على الظلم، على الاستعباد على الاستعمار. لا يجوز أن تنظر الكنيسة إلى جماعة مظلومة في هذا العالم وأن تُسر وترتاح في ترانيم وصلوات أرادها الله تعبيراً عن عمل. وإذا كان غيرنا يقول هذا القول أيضاً فلنا الفخر بأننا لا نعبّر وحدنا في هذا الحقل عن روح المسيح ولكنها صوت يتردد في الأجواء في هذا العالم.

إذاً وصلنا إلى هذه النقطة: التفرجية في العالم تجعل المسيح نوعاً من الروح جاء ليهتم بشيء يهيم في الهواء فيما هو قد أتى ليتجسد، أتى ليحدث شيئاً في التاريخ ليكوّن التاريخ، ليعطيه معناه. وأما الكنيسة فقد بدت وكأنها في هامش التاريخ. هذا لم نعد نريده.

نقطتي الأخيرة: حتى لا يكون البحث في الحوار كلامياً فقط، وقد رفضناه أن يكون كذلك اضطرت الكنائس أن تلتزم في أعمال تنمية الشعوب المتخلفة أو الشعوب التي ندعوها الآن شعوباً نامية. ولذلك حَدّد غيرنا من

الكنائس الآن نسبة مئوية خاصة تُقتطع من الميزانيات في كل سنة لتوضع في مشاريع. وهذه المشاريع تُطبق في أماكن عديدة منها هذه البلاد، وفي أميركا اللاتينية أو في أفريقيا. أصبحت الكنائس ملزمة أن تقتطع من ميزانيتها نسبة مئوية وهي اثنان في المئة. هذه النسبة تشكّل مبالغ طائلة كرّست لمساعدة الفقراء في العالم. الدول لم تكرّس بعد هذه النسبة للتنمية بين الشعوب، والكنائس تريد أن تكون سبّاقة في هذا المضمار. وهذا يعني بالنسبة إلينا نحن أن نعرف مثلاً ما هي أرقام ميزانياتنا الحقيقية، حتى نعرف الاثنين في المئة منها، وهذا حسب علمي مجهول حتى هذه الساعة. ذلك أننا لا نعرف أن نكون أغنياء. تكلمنا عن الأوقاف التي أعطاها الذين سبقونا وليس الحاضرون. ولكن هذه الأوقاف، في رأيي أنا، مائتة على الأقل بنسبة تسعين في المئة. نشكو العطش والماء تحت أنوفنا. وأكثر من ذلك: حتى لو وجد المال لا نجد القلب الذي يدفع باليد حتى تنفق المال. ولذلك فدفع المال حتى الآن في أوساطنا لا يزال رجاء وتوسلاً ولا نشعر به أنه واجب وأنه أمر طبيعي اعتيادي صار يعرفه في بعض الكنائس أصغر طفل يأتي إلى الكنيسة لأول مرة.

إذاً، في نهاية حديثي، حتى نكون بالفعل مسكونيين، يجب أن يصبح عندنا شيء مسكوني، وأن يكون عندنا رأسمال مسكوني. ويظهر من المعاملة أن الذي لا تقاسمه الدراهم ليس بالضرورة أنك تقاسمه القلب، فقد تكون قسمة القلب كذباً. وأما الامتحان فهو الدراهم في كثير من الأحيان. إني أدعوكم، كما أتمنى أن يكون هذا الصوت في كنيستنا صوتاً يُسمع، يجب أن نتعلّم أن نستعمل الغنى الذي أعطانا الله إياه، وأن نستعمله بصورة نعبر فيها عن إيماننا الجامعي، أن نصل إلى أن نساعد كل من يجب أن يُساعَد، على الأقل، أن

ننصرف عن المساعدات التي يحق لغيرنا أن يأخذها أكثر منا. أتمنى أن نغير كثيراً في تكوين إرادتنا حتى نتوصل إلى أن نجاري الكنائس الأخرى في إرادتها هـــذه الصالحة: أن يُعطى الشيء لمن يحتاجه وأن نكون دائماً أمام صاحب الحاجـــة في كل العالم وبدون استثناء.

العنصرة*

المطران اغناطيوس هزيم

لو طلب إلينا، أيها الأحباء، في هذا النهار المبارك أن نجتمع وأن نقرأ مقطعاً من الإنجيل المقدس لما كنت اخترت هذا المقطع الذي تلي اليوم. ما رأيت في كل خدمنا اختياراً أفقر من الاختيار الذي وقع على هذا المقطع من الإصحاح السابع من إنجيل يوحنا. فهو لا يكاد يتكلم عن الروح القدس بينما نحن اليوم في عيد الروح القدس. المقطع الذي يتحدث عن الروح القدس بصورة صاخبة هو ليس ههنا عند يوحنا بل فيما كتبه لوقا في سفر الأعمال. ولوقا هو الوحيد الذي شدد على حادثة حلول الروح القدس. الروح القدس لم يكن قد أتى بعد. هذا ما يقوله لنا المقطع الإنجيلي. أما ما كان يعطى عندما كان المخلص على الأرض فقد كان بركة، كان نعمة وأجسر على القول أنها ثانوية لأن الروح القدس الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس لم يكن قد أعطي بعد. لم يعط الروح القدس كأقنوم، كفاعلية بصورة واضحة إلا بعد الصعود الإلهي. نحن قد تركنا الرسل في الأحد الماضي، وتركناهم على شيء من الحزن لأن المسيح غادرهم وقد رأوه بأم العين، جسداً ملموساً يرتفع إلى السماء وكأنه يقول في صعوده: إن الذين اختارهم من العالم هم أيضاً سيرتفعون بلحمهم ودمهم. تركنا الرسل حزانى. لكن المخلص وعدهم بإرسال المعزي قائلاً لهم: «لن أترككم يتامى». إذن عندنا، أيها الأحباء، تحرك إلهي نحو السماء إذا نظرنا إلى الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، وتحرك إلهي نحو الأرض مجدداً إذا نظرنا إلى

* اللاذقية، ١٩٧٣/٦/١٧

أقنوم الروح القدس الأقنوم الثالث. عندما يحدثني البعض وعندما أنا نفسي أعيش بعض الهنيهات في حياتي نقول كلنا يقول: أشعر أن المسيح بعيد عنا. وبعدئـــذ موجة من الحزن تجتاح النفس وتجعل الإنسان يشعر بأن بُعد المسيح عنه لا يوازيه بُعد، ولا يجاريه أي مرض. دائماً أقول في نفسي: مشكلة المسيحي في حياته هو أنه ينسى المعزي، ينسى الروح القدس. إذا كان قد أعلن عن الـــروح القـــدس عنصراً إلهياً شخصياً حياً فاعلاً فهذا ليس من طريق الصدفة، لأن الله بعد عملية التجسد العظمى لم يتركنا لوحدنا على الأرض، والمسافة بيننا وبينه لا تُقـــاس. كيف نسد الفراغ بيننا وبين الله تعالى؟ الفراغ يسد بهذا المعزي. وهل نحتاج نحن إلى المعزي؟ يحتاج الإنسان العائش في كل دقائق حياته إلى أن لا يقع في خيبـــة أمل. أملي يخيب من نفسي يخيب من فضيلتي، من معلوماتي، من فكري، مـــن صحتي، من علاقاتي بالناس. أملي يخيب وأنا كإنسان عادي في العمـــل. كـــل واحد منكم يضع أمامه رغائب، ويضع أمامه تصاميم. لماذا نعيش إذا لم نكـــن نصمم للغد أو لما بعده. لماذا نعيش إذا كنا نرى كل شيء مغلقاً أمامنـــا، وإذا نظرنا إلى عالمنا فأين الباب المفتوح؟

أين الفرج؟ أين التعزية؟ كلنا يعرف أنه سيموت. كلنا يعرف أن كـــل شيء زائل. كلنا يعرف أن أعظم سعادة يمكنك أن تعيشها تنتهي حتماً، وتنتهي بآلام لا تطاق ولا تحد. ما التعزية؟

لماذا يأكل الناس إذا كانوا سيجوعون بعد حين؟ لماذا ينامون إذا كانوا سينعسون بعد ساعات. لماذا يتزوجون إذا كان الموت ينتظر أولئك الذين يُعطَون الحياة بواسطتهم. لماذا يجتهدون إذا كانوا بعد حين سيرون اجتهادهم ينقلـــب عليهم من الناحية العملية وبالاً؟ تذكروا القبر، قبر المخلص كيف أنه وهو مظلم

أضاء فيه النور وانبثقت القيامة. تذكروا أن تلك المرأة تلك الصبية الجاهلة العذراء لم تكن عندها شهادة في الفلسفة، و لم تكن متمدنة، ولا تعرف أن تأكل بالشوكة والسكين. تذكروا أن تلك الصبية حل الروح القدس عليها فكانت ولادة ليست كسائر الولادات وكانت امرأة ليست كسائر النساء، وكان عالم جديد يبدأ ليس كسائر العوالم.

نجتمع اليوم في الكنيسة المقدسة لشيء غاية في الأهمية، نحن هنا نطلب الروح الذي وُعِدناه حتى ينحدر، وحتى يقدس الفم الذي مضغ، وهذا الفكر الذي يكفر، وهذا العمل الذي نستعمله للاستغلال، وهذه الحياة التي يعيشها الناس دون أن يفهموا معناها. المعزي أملنا الوحيد في حياتنا. رجاؤنا الوحيد. نحن نصمم للغد ونؤمن لا بتصاميمنا، ولكن نؤمن بأن الله الذي وعدنا هو الذي أرسل روحه القدوس حتى يجعل من غدنا يوماً مشرقاً، ومن حياتنا شيئاً ذا معنى. في هذا العصر يتحدث الناس إحصائياً، يقولون إذا أردت أن تفهم، وإذا أردت أن تتقدم في حقل من الحقول فاستقرئ الإحصاءات. أنا أسأل جماعة الإحصاء: ما هي النسبة المئوية التي فيها عندما تقدم حباً لا تصادف كراهية. وعندما تقدم إخلاصاً لا تصادف نكراناً، وعندما تقدم اعتناء بالآخرين هل تلقى منهم إكراماً؟ ما هي النسبة المئوية لهذا تجاه ذاك؟ ليت ذلك يحصى لكنتم وجدتم أنه إذا كان ذلك كذلك فلا يحق لنا أن نحب، ولا أن نضحي، ولا أن نخلص، ولا أن نقدم شيئاً. أملنا الوحيد هو أنك إذا تقدست فإن الروح القدس يقلب علاقتك مع الناس يقلب علاقتك بالعالم. لقمة الخبز يجعلها مباركة. نقطة الماء يجعلها محلاً للنعمة الإلهية. هذا الوجه الذي تراه أمامك من لحم ودم هذا يجعله بارزاً كصورة الله ومثاله. الروح وحده يجعلك ترى في الأعماق، وتذهب إلى ما

بعد الضعف البشري. نعمة الروح هي التي تقدس. نحن اليوم في أحد القداسة أيها الأحباء. لسنا قديسين، ليس واحد منكم قديساً، ولكنكم جميعاً مقدسون، لأن ذلك الذي وعد، وعد أن يرسل المعزي لكل إنسان. فاذهبوا إلى العالم، يا أحباء. اذهبوا في عيد العنصرة. لا تخافوا من طعام وشراب وجهاد وعمل. لا تخافوا من فضيلة واجتهاد داخلي وخارجي. لا تخافوا، فإذا أنكر العالم ما فيكم فإن الروح القدس يجعل من ذلك خميرة خلاّقة في هذا العالم. نحن في عيد القداسة. كل شيء يتقدس، كل شيء يتبارك. الخليقة الجديدة بالنعمة الإلهية تبتدأ اليوم.

ليكن لي بحسب قولك*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

أيها الأحباء، نلاحظ أن الكنيسة تكرس مكاناً «ممتازاً» للسيدة العذراء، فنراها قرب الهيكل، في الرتبة الثانية بعد ابنها يسوع المسيح. هذه المرتبة لماذا أعطيت للسيدة العذراء؟ ماذا تعني العذراء بالنسبة إلينا؟

في الكنيسة الأرثوذكسية نكرمها لأمرين رئيسيين:

١ـ إنها صورة السماء:

العذراء صورة للسماء، لسماء عرش الله. السماء مكان مقدس إنها مكان عرش الله ومجده. العذراء سكنها الله، اختارها الله لتكون له مدينة على الأرض يسكنها. لذلك نكرمها. وعندما نكرمها، نكرم من هي أكرم من الملائكة، لا بل تفوق كل مراتب الملائكة. لأن الملائكة فقط تحوم حول العرش، لكن العذراء تحوي العرش. لذلك هي أرفع مجداً بغير قياس من السرافيم.

٢ـ الصورة الحقيقية للكنيسة:

وكذلك نحن نكرم العذراء، لأنها، بالنسبة إلينا، الصورة الحقيقية للكنيسة. فالمؤمنون إذا لم يكونوا مساكن لله، فليسوا مؤمنين.

أتعلمون لماذا توضع العذراء في الكنيسة في مواجهة المؤمنين؟ ذلك حتى

* اللاذقية، ١٩٧٣

يتذكروا أن كل واحد منهم يجب أن يصبح عذراء مصغرة. أن يكون كل واحد منهم، كالعذراء يسكنه الرب ويسكنه دوماً.

ولكن في الحقيقة هل نحن نختلف عن العذراء من هذه الناحية؟ لا شك في ذلك إذا نظرنا إلى خطايانا وتأملنا سقطاتنا التي تتزايد يوماً فيوماً. فأين نحن من العذراء؟ أين نحن من طهارتها؟ أين نحن من قداستها؟ أين نحن من أن نصحح لأن نكون بيتاً لله يسكنه؟

ولكن إذا نسينا من نحن، ويجب في بعض المرات أن ننسى من نحن، وتطلعنا إلى ما أعطانا الله. فهل صحيح أن الله لا يقطن فينا، وأنه لا يريد أن يبقى دوماً في نفوسنا؟ أليس صحيحاً أننا نتناول جسد الرب ودمه الكريمين؟ المسيح الأصيل الحي نأخذه في ذواتنا، حتى يعيش فينا. هل صحيح أننا نحن بالنسبة إلى ما أُعطينا أقل بكثير من العذراء. ألا يعطى لنا المسيح دوماً؟

أيها الأحباء،

الفرق بيننا وبينها أنها لم تطرده، ونحن نطرده كل يوم. الفرق بيننا وبينها، أنها قالت: أنا أمة الرب، ليكن لي بحسب قولك؟

صبية عذراء غير متزوجة، يقول لها شخص تحبلين. دُهشت بادئ ذي بدء، ولكنها عندما عرفت من سيكون المولود منها، قبلت وقالت «أنا أمة الرب فليكن لي بحسب قولك».

ماذا قالت النساء اللواتي كن يصادفنها في الطريق؟ لا أدري. النساء في كل عصر هن أنفسهن. أتصور القصص التي حيكت بالنسبة إلى صبية غير متزوجة وحبلى. هذا قبلت به العذراء مريم. قبلت ما هو عار بالنسبة إلى

العذارى، قبلته لأنها أطاعت الكلمة الإلهية. العذراء بالنسبة إلينا هـــي الكـــائن الإنساني الذي يطيع الله.

ولكن لا ندعن هذه الكلمة أي الطاعة، تمر مروراً عابراً. من هو الذي يطيع؟ من الأمور التي لا يفهمها الناس كثيراً معنى الطاعة. لأن البعض يظـــن أن الطاعة هي أن نعمل ما يشاء الآخرون. نطيع فلاناً إذا كنا تحت أمرته. ولكـــن الطاعة نفسها قد تكون كاذبة، الطاعة نفسها قد تخفي نفاقاً وراءها. كم مـــن الناس يطيعون بالرغم منهم. معنى ذلك أنهم يطيعون بالجسد، ولكن نفـــسهم لا تطيع. كم من الناس يطيعون تأدباً، أو تحت ضغط التقاليد الاجتماعية. كم من هؤلاء يطيعون ظاهرياً وهم يتمنون العكس تماماً في دواخلهم. كم من النـــاس يطيعون لأنهم يخافون الغضب عليهم، يخافون مـــن القـــصاص، يخـــافون مـــن السلطان. هذه كلها طاعة كاذبة، هذه طاعة خارجية.

لا تكون الطاعة طاعة، إلا إذا كانت لمن نحب. الشخص الوحيد الذي نطيعه بالجسم والروح خارجياً وداخلياً، وفي كل ظرف، هو الذي نحبه.

فإذا لم نكن نحب، فطاعتنا هي كل شيء إلا الطاعة الحقة. ولذلك ففي الحياة الرهبانية التشديد على الطاعة، هو تشديد على المحبة. والمحبة تجمع الناس. المحبة تجعل من الأفراد وحدة، المحبة تجعل من المتفرقين جماعة واحدة متكاملـــة، بدون المحبة ليس من طاعة، وتغدو الطاعة شيئاً ظاهرياً لا قيمة له.

العذراء أحبت الكلام الإلهي، لذلك كانت طاعتها داخلية وخارجيـــة، كانت في الجسد الذي قبلت أن يترل الله ضيفاً عليه، وكانت في الـــنفس الـــتي قبلت أن تضع ذاتها في تصرف الله تعالى.

أيها الأحباء، أتمنى أن ننظر إلى العذراء نظرتنا إلى شخص يطلب إلى كل واحد منا أن يكمِن صورة عنه، صورة عنه في تقبل الإله. والتمني أن يبقي الإله دوماً في النفس، صورة عنه في الطاعة الحقيقية، الطاعة الداخلية، الطاعة المخلصة، الطاعة التي لا تقيد، الطاعة التي هي بنت المحبة، والمحبة لا تسقط أبداً.

لنصلّ حتى تكون طاعتنا للرب ولبعضنا البعض من هذا النوع الصادق الذي يجعلنا مسيحيين حقيقيين.

نحن موضوع محبة*

المطران اغناطيوس هزيم

الرقم ١٩٧٣ الذي سيغدو بعد أيام ١٩٧٤. وهو رقم السنة الحالية بالنسبة إلى ميلاد المسيح. ميلاد المسيح بدء للتاريخ الميلادي وللسنوات كلها التي تسبقه أو تليه، إنها تُحَدَّد به. وموضوعنا اليوم هو الميلاد من حيث هو بدء لزمن، بدء لتاريخ ومقياس لما كان قبله وما يأتي بعده.

الميلاد بالنسبة إلى التاريخ الزمني نقطة انطلاق وهكذا يستعمله البشر. ويتساءل البعض ما الميلاد، وما هو معناه ومغزاه بالنسبة إلى الله تعالى اسمه وتقدس؟

سنحاول التمعن في الميلاد بالنسبة إلى الله وبما فعله الإله القدير في الميلاد من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نحن المؤمنين.

إن تاريخ الله معنا – أيها الأحباء – هو تاريخ الانعطاف الإلهي، تاريخ التعاطف مع البشر. فإن الله – منذ الأزل – ما كان ليبقى وحده متنعماً بالوجود حاصراً إياه في ذاته. منذ الأزل كان إله محبة ومحباً لذلك كان لا بد في ناموس المحبة أن يأتي وقت ويعطى الوجود للمخلوقات. والحقيقة أن الخلق منبثق مباشرة عن المحبة الإلهية. وهو السبب في وجود الموجودات. لقد شاءت محبة الله أن نكون، وأن نكون بنتيجة فعلها الخلاق كما نكون موضوعها.

فمنذ أن خلقنا الله، خلقنا لنكون خلائقه المفضلة التي إليها يتطلع وبها

* اللاذقية، عيد الميلاد المجيد، ٢٥ كانون الأول ١٩٧٣

يعتني. ومنذ أن مررنا من العدم إلى الوجود ما انفك الله يتطلع إلينا ويعتني بنا وما فتئ تاريخه معنا تاريخ محبته وتطلعه واعتنائه. الله يدير بوجهه إلينا ويتحنن علينا.

وبعد أن امتلأ التاريخ الإلهي بالوسائل الإلهية للتعبير عن المحبة الإلهية للإنسان، وبعد أن «حان ملء الزمان» كما يقول الكتاب، تجاوز الله الوسائل القديمة من إلهام ووصايا ورسل وأنبياء وأراد أن يأتي إلينا هو بالذات.

هذا هو الميلاد، إنه مجيء الله بالذات إلينا.

والآن نحن نُعَيّد على الأرض، لأن الأرض أضحت سماء.

إذا كانت السماء هي المكان الذي يقطنه الله ويسكنه، فالأرض بالميلاد أمست سماء. نحن نعيّد اليوم لأن الله صار معنا، معنا نحن الواقفين في بيته تعالى ومع الباقين في بيوتهم أو في أماكن أخرى وبصورة الإطلاق أصبح مع الناس كل الناس بدون استثناء.

الأرض تتقبل بالميلاد خالقها وباريها.

وخالقها وباريها ينزل إلى الأرض بالميلاد متنازلاً عن عرش الألوهة، ونازعا عن ذاته بهاء المجد الإلهي، «ومفرغاً ذاته حتى الموت» على حد قول بولس الرسول.

إن الطفل الذي يولد اليوم لا يولد ليأكل ويشرب ويتعلم. فشأنه ليس شأن أي إنسان. إنه يولد ليتألم ويصلب ويموت فدية عنا نحن أحباءه منذ أن عرفنا الوجود.

لكن الآباء القديسين لم يروا في الميلاد عملية التنازل الإلهي بل رأوا فيه

أيضاً ارتفاعاً للأرض والبشر بفعل تنازل الإله إلينا. الميلاد بالنسبة إلى الآباء القديسين هو دفع الطبيعة الإنسانية إلى العلاء إلى الألوهة. الإنسان يستعيد صورة الله ومثاله فيه ويرتفع من التأنس إلى التأله.

لقد تألهنا – أيها الأحباء - تأله الناس كلهم، تأله الذين نحبهم والذين نكرههم، الذين نحترمهم والذين نحتقرهم. الألوهة عمت الجميع وصار العالم ملكاً لله والبشر برمتهم أبناءه. هكذا شاء الله بعظيم قدرته ورضاه.

هذا بشأن الله. ولكن كيف يكون الميلاد نقطة مركزية بالنسبة إلى حياتنا الداخلية ومعياراً لتصرفاتنا تجاه الأخوة الآخرين.

إن الله الذي أحبنا يطلب إلينا اليوم – في الميلاد - أن نبادله المحبة الفعلية. والله يحب فعلياً لا في ذاته فقط بل في «أخوته الصغار»، في البشر كما قال الكتاب. المحبة لله تتعادل مع المحبة لحبيب الله أعني ذاك الذي يقف إلى جانبنا في الكنيسة والذي نمر به في الشارع وفي ذاك الذي لم نلقِ عليه التحية منذ أسابيع.

علينا أن ننفتح لأخوتنا ونرحب بهم في قلوبنا وأعماقنا تماما كما رحب الله بنا بالميلاد عندما انفتح لنا واستقبلنا في الملك الإلهي.

لسنا نحن الذين صعدوا إلى الله، ولسنا نحن الذين تألهوا لعشقهم الألوهة. لكن الله هو الذي نزل إلينا وهو الذي أحبنا. فلماذا لا يتنازل الناس للناس؟ أين من يتواضع ويحب جاره؟ أين من يأتي إلى جاره ويقرع بابه طالباً إليه أن يسامحه؟ أين من يرى في كل إنسان مدعاة لمزيد من المحبة والابتهاج؟

الإنجيل الذي يبشر به في هذه الأيام إنجيل الكراهية والحقد، إنجيل

تصنيف الناس إلى فئات محظية وغير محظية، وإلى طبقات متقدمة ومتخلفة وكل ذلك ليبرر المظالم ويبرر الانتقام، وينقسم الناس إلى معسكرات تتظاهر وتتسابق نحو الهدم بينما الحاجة إلى التعاون والتعاضد والبناء.

ولكن، اليوم يوم المحبة وعيدها، فما لنا لا نحب الحب الأعظم في عيد المحبة العظيم.

قد يذهب البعض إلى أن المحبة يجب أن تكون وقفاً على المستحقين. وهنا نطرح السؤال: فمن إذن يستحق المحبة؟ أنا الذي أخاطبكم أعرف أن الله نزل إلي ولكني أعرف بالتأكيد إني لا أستحق نزول الله إلي، ودعوني أعمم القول: إنه ليس بيننا من يستحق تنازل الإله لصالحه وفضائله هو. وهذا لم يمنع الله من النزول إلينا.

فكما أن الله قدم لنا المحبة بالرغم من عدم استحقاقنا، فلنذهب نحن إلى غير المستحق، إلى الذي أخطأ إلينا والذي أساء إلينا. ولا مجال للقول بأننا «نتنازل» أو «ننزل» إليه، فكلنا سواسية وكلنا نحتاج إلى رحمة الله بالمقدار ذاته. وعلينا في كل حال أن نعمل لأحباء الله على الأقل مثقال ذرة مما عمله الله لنا.

ولن يكون الميلاد بدء تاريخ داخلي إلا إذا اتخذه الواحد منا بدءاً لمحبة من كان يَكْرَه ولاحترام من كان يحتقر، وللاقتراب ممن كان عنه يبتعد.

ولن يضحي الميلاد بدء تاريخ «بالفعل» يبدأ الآن وليس غداً إلا إذا نُفِّذَ ما ذكر وإلا فالميلاد كلام بكلام وبالتالي مسيحيتنا كلها لغو وكلام بكلام.

إني أسأل المضطجع في مذود، المتنازل إلينا أن يقودنا بساعده الرفيع إلى محبته فيه وفي «إخوته هؤلاء الصغار». آمين

قصد وراء الفعل*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

سمعنا مقطعاً من رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس. هذه الرسالة من رسائل الأسر أي أن بولس كتب هذه الرسالة وهو في سجن روما حوالي السنة ٦١-٦٢ مسيحية. وما كان عنده سوى بعض التلاميذ الذين كان يسمح لهم بمقابلته. وهذه الرسالة في رأي بعض الشراح موجهة إلى أهل أفسس تحديدا لأن كلمة أفسس وردت في بعض المخطوطات القديمة و لم ترد فيها كلها. والبعض الآخر يرى أنها موجهة إلى كل الكنائس مثل سائر الرسائل التي كتبها بولس الرسول في السجن.

عندما دخل بولس الرسول السجن أصبح للجميع لأنه عندما كان طليقا يتحرك هنا وهناك كان كل واحد يتمنى أن يستأثر به لنفسه. ما تحرر بولس الرسول إلا عندما سمح الله بأن يكون هو في السجن وعندئذ صار للجميع بالتساوي وصار في إمكانه أن يخاطب الجميع.

«أقول لكم وأناشدكم بالرب». من يكلم بولس الرسول ومن هم أولئك الذي يخاطبهم؟ الذين يخاطبهم هم من أصل أممي. والمعلوم أن بولس الرسول على يقين بأن الله أرسله ليبشر الأمميين بصورة خاصة. والمعلوم أنه صارع كثيراً في حياته حتى الرسل لكي لا يعتبر الوثنيون غرباء بل من أهل

* اللاذقية، الجمعة ١٤/٢/١٩٧٥

البيت. وهذا القول ورد عنده حرفياً: «لستم غرباء ولستم نزلاء بل إنكم مواطنو القديسين وأهل بيت الله». ويزيد بولس: «لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم ببطل عقولهم. الذين أظلمت بصائرهم وتغربوا عن حياة الله، للجهل الذي فيهم، لعمى قلوبهم».

ننتبه، أيها الأحباء، أن بولس يلوم أولئك الذين يطمئنون بالسير على هواهم حسب مقتضى عقولهم. والعبارة ترد لدى العديد منا: «أريد أن أعيش على صوابي، كما أشار، فدعوني». غير أن بولس الرسول في تبشيره للوثنيين كان يوضح لهم: «إن هنالك ديانة وثنية وعقلاً وثنياً وهوى وثنياً أيضاً».

هذا ما أنبه إليه أبناءنا المتعلمين. لا يكفي أن نكون منطقيين ومتعلمين وعقلاء حتى نكون مسيحيين. فقد نكون منطقيين وحكماء وعقلاء ونبقى غرباء عن بيت الله، بعيداً عن العائلة الإلهية. عقل الإنسان وحده لا يكفي، عقل الإنسان تحدده دوافعه ومقاصده فإذا كانت إجراماً أمسى العقل مجرماً. عقل الإنسان إذا كان صاحبه كاذباً هو نفسه يخدم الكذب. عقل الإنسان وفكر الإنسان الذي ليس من ورائه عقل الله وفكر الله قد يغدو هدّاماً وثنياً. ويمضي بولس الرسول في قوله إن هؤلاء الذين يعيشون بعقولهم ، هؤلاء الذين هم غرباء بالنسبة إلى حياة الله، هؤلاء لا يعرفون أنهم إذا عرفوا شيئاً فإن معرفتهم لم تشمل كل شيء. فمن يقرأ الكتب لا يصبح بالضرورة سيد العارفين، والذي يتردد إلى المدارس لا يمسي بالضرورة من أهل المعرفة. الإنسان يُعْرَف فعلاً إذا ما وقف أمام الحياة وقيمها. فإذا عرف كل شيء إلا الحقيقة الحية فهو لا يعرف شيئاً. وبولس الرسول يقول: إذا عرف كل شيء وما عرف الله فهو في جهل وهو في ظلام دامس. كيف يقول الإنسان إنه مفتوح العينين لكنه إذا سئل عن الشمس

قال: أجهلها؟

بولس الرسول، أيها الأحباء، يشدد عندما يخاطب الوثنيين أن يحل الله في قلب كل واحد وفي فكر كل واحد وفي عقل كل واحد.

الموضوع ليس أن يكون الله كلمة تنطق بها فقط: أؤمن بإله واحد. المهم أن يصبح الله طريقة للحياة لدى كل واحد، أن يصبح ناموساً لعيشنا ولذلك يذكّر بولس الرسول بمسلك ينعته بالقديم ومسلك يدعوه جديداً ويطلب إلى الوثنيين أن يسلكوه.

النقطة الأخيرة والتي سأذكرها الآن هي: بولس يقابل بين الحياة الجديدة، الحياة مع المسيح والحياة القديمة. يرى في الحياة القديمة أن الناس يُجَرُّون إليها جراً. يذكر شهوات الإنسان فيقول: أولئك الناس الذين يعيشون حسب الحياة القديمة يتميزون بالطلب وكلما طلبوا وتكالبوا ازدادت حاجتهم واشتد عطشهم. ليس من شبع في حياة الإنسان القديم الذي يأكل من أجل الشبع، لن يشبع في حياته. الإنسان الذي يعيش ليتغذى جسده هذا لن يجديه الغذاء نفعاً ولا يلبث أن يسمع الصوت الرهيب: إلى التابوت، إلى القبر. ولن يزيدك الغذاء إلا ثقلاً.

بولس الرسول يميز بين نوع من هذا الجشع، هذا النهم وبين رضى النفس التي تتجه إلى الله سائلة إياه أن يكون نورَها ويكون غذاءَها. إننا نسأله تعالى أن يجعل من أقوال الرسول بولس نورا لقلوبنا وخطة لحياتنا. آمين.

امرأة تحب*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

هذا المقطع الإنجيلي، أيها الأحباء، لا يقرأ في الحالات العادية عندما لا تكون المدة طويلة قبل الصوم الأربعيني المقدس لكن يقرأ مكانه مقطع الفريسي والعشار.

الكنيسة المقدسة وضعت هذه القراءة في هذا الوقت بالذات حتى تهيئنا نحن أيضاً، بسماعنا الحادث الذي صار للكنعانية، إلى وضع روحي أفضل، وإلى صفاء داخلي أعظم، وإلى تواضع جديد.

هذه المرأة الكنعانية التي تميزت بصفتين: الصفة الأولى أنها كانت ملحاحة. صرخت حتى قال التلاميذ للسيد اصرفها فقد أقلقتنا وهي تصيح في إثرنا. استجب لها. تمم لها رغبتها لتتركنا ننصرف إليك. إذن كانت ملحاحة وهذا يذكرنا بالإنجيل المقدس الذي يقول: «اقرعوا يُفتَح لكم» دقوا. لا تبقوا ساكنين. الصلاة ليست كلمة تطلق لمرة واحدة وحيدة وكأنها «رفع عتب» فإن سمع الله كان به وإن لم يسمع فقد قمنا بواجبنا. هذا الموقف هو موقف الفريسي بالضبط.

الصلاة إلحاح. إلحاح محب. إلحاح حار، وأمام المحبة وأمام حرارة الصدق لا شك أن أبواب السماء تنفتح. هذه السيدة الكنعانية كانت ملحاحة.

* اللاذقية، الأحد ١٩٧٥/٢/١٦

وهي تذكرنا بقول بولس الرسول: صلّوا ليس فقط عندما تجتمعون في الكنيسة وليس فقط عندما يدق الجرس ليدعوكم إلى صلاة غروب أو صلاة سحر أو قداس إلهي، ولكن «صلّوا كل حين». إنكم أنتم الذين ترفعون قلوبكم إلى الله باستمرار، الله لا يقسي قلبه أمام خطاياكم ولا يمكن إلا أن يتسع حنانه ليستقبل صلواتكم الحارة المتواترة، وأن يستقبلها بحرارة وترحيب.

الصفة الثانية التي كانت لهذه المرأة الكنعانية هي أنها وصفت نفسها بأنها لا شيء، واعترفت بنقائصها وأقرت بأنها لا تستحق أن تعطى لها نعمة هي في الأصل لشعب الله. وعندما قال المخلص: «أنا أتيت للخراف الضالة من بني إسرائيل» ما أنكرت أنها ليست من بني إسرائيل بل اعترفت بأنها ليست من بيت إسرائيل. بيد أني أود أن ألتقط الفتات الذي يسقط عن الموائد تماماً كما يلتقط الكلب الفتات حول موائد الأغنياء.

قد نعجب لهذه المذلة، والمذلة بين يدي الحبيب لا تحط من القدر ولا تنقص القيمة. وقد تكون هنا عظمة الحب.

هذه السيدة عندما وقفت أمام الرب يسوع كانت تشعر أن قلبه منفتح ولو لم يفصح هو عن ذلك. تجاسرت تجاسر المحب أمام محبوبه. وكانت لها شجاعة المحب العظيم والمحب المحتاج. شعرت السيدة في قرارة نفسها وفي حدسها الأنثوي أن المذلة هنا ترفع وتعلّي.

فمن لا يرتفع إذا فتح له قلب حبيبه والحبيب هنا الرب يسوع ولقاء محبة المسيح وشخص الكنعانية الزري اجتماعياً لا يدهشنا فقد علّمنا بولس الرسول: أنتم هيكل الله. هيكل الله «أنتم» السيدة، الصبية، الرجل، الشاب... أنتم هياكل الله والله يسكن فيكم ويسكن في القربان الإلهي. ولكن من ناحية

ثانية يقول: لا تمسوا دنساً، أنا أريد أن أكون لكم إلهاً وأريد أن تكونوا لي شعباً، أريد أن أكون لكم أباً وأريد أن تكونوا لي بنين وبنات تماماً. وهذا معناه أنكم أنتم هيكل الله بالوعد، الوعد منه تعالى ولكن الدنس يستهويكم ويستهويكم بشدة وإلا فلماذا التحذير؟ إنكم تصبحون هيكله به لا بكم أنتم. ألم يكن لقاء الكنعانية بالرب داخلياً مشابهاً لتعليم الرسول؟ لم تتكل الكنعانية على رصيدها من الفضائل فقد كانت المرأة ساقطة وقد تكون ابنتها ولدت من أب مجهول. لقد اتخذت الزانية صفة القلب الواهب ذاته والمنفتح المحب، وطلبت إلى يسوع «نعمة لشفاء ابنتي» جسرت وتشجعت وطلبت على أساس الوعد. أيها الأحباء: الوعد أمامها هو الرب يسوع وسعة صدره وطول أناته ومحبته التي لا تُحد. الوعد أمام عينيها. أنتم هيكل الله لأن الله هكذا يريد، لا لأنكم أنتم تستحقون، هذا ما أدركته الكنعانية فانقلبت لديها المقاييس.

في هياكل الله لا فرق بين كبير وصغير. في هياكل الله لا تمييز إلا بين البعيد عن الله والقريب إليه. القريب يرتفع والبعيد يذل وإن كان في البشر عالي الجبين شامخاً.

أيها الأحباء، ذكرت صفتين للكنعانية: صفة الإلحاح في الصلاة فلنتعلم صفة الإلحاح، أن نذكر الله، أن نذكره في كل حين في حياتنا اليومية كل يوم. وذكرت التواضع أمام الله وقلت ان لا تواضع بدون محبة لأنه بدون محبة التواضع انكسار ومذلة ولكنه بالمحبة تضحية وارتفاع.

وأذكر الشيء الأخير العظيم: لا تمسوا دنساً. إن الله يريدكم أبناءً، ليكون لكم أباً، ويريدكم شعباً ليكون سيداً على هذا الشعب. إن الله يريدكم هياكل له ليسكن فيكم. كونوا كذلك.

الرب مخلّصي ممن أخاف*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

اليوم المخلص أمامنا في مكان منبسط حسب القديس لوقا وعلى جبل حسب القديسين مرقص ومتى، وحوله جمهور كبير من الشعب من اليهودية وأورشليم جنوباً ومن صور وصيدا شمالاً جاءوا ليسمعوا كلامه ويشفوا من أمراضهم. وجاء مع هذه الفئة من الشعب «معذبون بالأرواح وكانوا يشفون». عندئذ رفع يسوع عينيه إلى التلاميذ وقال: طوبى لكم أيها المساكين ويا أيها الجياع ويا أيها الباكون ويا أيها الذين يتحملون بغضاء الناس.

نركز موضوعنا، أيها الأحباء، على القسم الأول من الإنجيل. المخلص والشعب من حوله. هذا تشغله صحته وذاك يئن تحت ثقل مصيبته وكل واحد له قصة وكل واحد يقصد المخلص ليتخلص من متاعبه. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية نرى المخلص يغبط مساكين هذا العالم وفقراءه، أولئك الذين يعضهم الجوع والدموع تملأ مآقيهم. والحزانى، هؤلاء أيضاً يغبطهم المخلص. المخلص يهتم بالتغبيط بينما الناس حوله يسألونه برءاً وشفاء. فكأن المخلص يشيح بوجهه عن كل هؤلاء ويتجاهل أن المحيطين به بل عالمهم بأسره يلفه الجوع والفقر. أيها الأحباء، إن المخلص لا شك في أنه يرى الواقع، يرى واقع الناس كما هو ولكنه لا يتوانى عن التذكير بما هو آت وكأنه يحذّر الناس من الغرق في واقعهم مهما ساء لأن هنالك ما هو أعظم وما هو من نوع آخر.

* اللاذقية، الجمعة ١٩٧٥/٢/٢١

عالم المؤمن عالمان أحدهما يحياه والآخر آت وقد بدأ منذ الآن. وفي العالم الآتي المسكين هنا لن يكون فيه مسكيناً بالضرورة والباكي هنا لن يذرف الدمع هناك بالضرورة. المسيح يذكر المساكين والجائعين والحزانى أن هنالك عالم الرجاء الذي يجب ألا تصرفنا عنه أشد المصائب. إنه يدعو، دون أن يوضح، إلى جميل الصبر وواسع الرجاء. فإذا كنت من المساكين المتذمرين من ظلم هذا العالم فيجب ألا تفقد صبرك ولا تفقد رجاءك، وإذا كنت من الجائعين حافظ على صبرك ورجائك. يجب ألا تتغلب الرزايا عليك ولا أن تغرق في دموعك إذا كنت من الباكين فزادك إلى الحياة أغنى وأقوى بكثير مما ترى بعينك الباكية.

وبكلام آخر كأن المخلص يقول للشعب إذا كان المسكين سيبقى مسكيناً، والجائع جائعاً والباكي باكياً فأنا لأي شيء أتيت؟ وإذا لم يكن عندكم بُعدٌ رَجَائي في حياتكم، إذا لم تكونوا بواسطة كلمات المسيح تنطلقون إلى ما هو للمسيح أي إلى الحياة تغلب الموت فما هو المسيح بالنسبة إليكم؟ المسيح هو الامتداد في العالم نحو الرجاء، المسيح هو الامتداد نحو الأعظم، المسيح هو الامتداد نحو ظفر على كل واقع في حياتنا. إذا كنا نتجاهل هذا الرجاء فماذا يبقى من المسيح؟

وهنالك شيء آخر أعتقد أن الإنجيل يعنيه دون أن يجهر به وكأن المخلّص يقول للشعب المتعب الغارق في مصائبه ولا ريب أن المتاعب والمصاعب مؤلمة: غير صحيح أن المصائب ليست مُرّة، المسكنة في العالم ليست أحلى من العسل، والجوع في العالم ليس أمراً نتسلى به، كما أن الدموع في العالم، دموع الحزن ودموع الألم ليست بالشيء السهل وليس لنا أن نختبئ في ظل إصبعنا ونتجاهل الواقع. لكن للواقع شقاً آخر فانتبه لئلا تكون استغاثتك تطغى على

ذاك الحاضر لاغاثتك. يجب أن تعرف كيف توفق بين حدود الاستغاثة والصراخ والتأوه والأنين والرجاء بالرب الذي يُخْضِع تحت أقدامك كل ما في العالم من قوى. اليأس ليس مسيحياً وإنسان الإيمان المسيحي إنسان لا يستسلم أمام أي نوع من القوى المضادة فالموت عنده حياة.

يجب ألا تغطي الاستغاثة صوتَ المغيث الآتي وهذا يصدق بصورة خاصة في حالات آلامنا ومصاعبنا الداخلية. وعندما يرى الإنسان نفسه وحيداً أمام مشاكله عندئذ يذكر أن هنالك مخلصاً يستجيب لندائه ويسرع إلى نجدته.

في هذا المقطع الإنجيلي، كما نرى، أيها الأحباء، واقعية المخلص عندما ينظر إلى العالم وواقعية أخرى يطلبها منا إذا ما تبعناه واستنرنا بوجهه الصبوح.

في هذا المقطع تعزيته عن الرزايا ومعنى التعزية صبر ورجاء وفيه يطلب إلينا المخلص باسم الصبر وباسم الرجاء إذا ما وقعنا في مسكنة وجوع وبكاء أن لا يرتفع صخب البكاء والأنين فوق نغمة جواب المنقذ المعزي. اذكروا هذا في الأحزان، الغريق إذا أتاه ينقذه ويفتح له قلبه ويديه. إنجيلنا اليوم تعزية وصبر ورجاء لقلب كل واحد منا.

مقاييس الله غير مقاييسنا*

المطران اغناطيوس هزيم

يحدثنا لوقا الإنجيلي هذا الصباح عن الفريسي والعشار، والنص معروف عند الجميع.

الفريسي هو ذاك الذي إذا قيس بغيره تميز بمعرفته كتابه المقدس وإدراكه للنصوص ووعيه واجباته الدينية. فهو إلى حد بعيد معلم الإيمان. والصفة «فريسي» كانت تضفي على الشخص الموصوف شرفاً وكرامة عظيمين ولا فرق بينها وبين لقب «اللاهوتي» في هذه الأيام. وباختصار فالفريسي هو الرجل الضالع بالشؤون الروحية، بشؤون الكنيسة بلغتنا الحديثة.

الفريسي عاش خبرة فريدة. مر باختبار قد يمر به كل من يهتم بشؤون الدين وشؤون الحياة الروحية. عندما خاطب المخلص الفريسيين قال لهم «الويل لكم». هذا الفريسي ينتمي إلى الفئة التي وبخها المخلص بقوله: ويل لكم، إنكم تحبون صدور المجالس. المقاعد الأولى في الصالونات وفي الكنيسة وفي أي اجتماع. ويل لكم لأنكم تحبون صدور المجالس وتحبون التحيات في الأسواق وأن يقول لكم الناس: «سيدي، سيدي». وهكذا الذين تدعونهم «سيدنا» قد يوبخونكم إذا دعوتموهم «أبونا». وهؤلاء أيضاً تعودوا أن يكرمهم الناس، أن يكونوا هم محور اهتمام البشر. ولم لا ففي المجتمع البشري العديد العديد يتوقع أن يحتل صدور المجالس ويتوقع أن يغرقه الناس بتحياتهم ويلقبوه بالسيد السيد.

* أحد الفريسي والعشار ١٩٧٥/٢/٢٣

بولس الرسول كان يعتز بقوله: أنا فريسي، أنا يهودي. لأنه كان يقصد بذلك أن يهوديته أصيلة. ولكنه في الوقت نفسه تجاوز فريسيته، تجاوز تلك الديانة إلى دين آخر.

في هذا اليوم صورة الفريسي الواثق من نفسه الواثق من صحة إيمانه. الأرثوذكسي بالنسبة إلى الإيمان اليهودي، المتيقن من قيامه بواجباته. اليوم، هذا الفريسي يقف «في الهيكل». هذا الإنسان نسي أنه «في الهيكل» تتغير الأمور: فكم من جاهل عظيم الجهل في الخارج يغدو في الهيكل أقدس ألف مرة من أكبر متعلم. خارج الهيكل الناس أنفسهم يقولون لك: سيدي، سيدي ويعطونك صدور المجالس. أما في الهيكل فمن الله يجب أن تأتيك الشهادة والله يرى ما لا يراه غيره، ويعرف ما لا يعرفه غيره. الثياب لا تغش الله ولا تغشه المظاهر ولا الآداب واللياقات وحسن الكلام، تلك التي كثيراً ما نقع نحن البشر ضحايا لها. نسي الفريسي، نسي قداسة الهيكل وقداسة الموقف. لم يعد مقدساً في نظره بحكم تعوده الدخول إليه ولذلك فما هو حسن خارج الهيكل حسن داخل الهيكل ولا فرق بين الهيكل وغيره من الأماكن. هكذا ظن الفريسي أنه حتى «في الهيكل» يمكنه مفاضلة أخيه العشار والمزايدة عليه في القيام بالواجبات من صوم وصلاة وتطبيق وصايا.

الفريسي ظن أنه إذا عمل هذه فمعناها أنه أتم كل شيء أمام الله تعالى. الحقيقة، يا أحباء، أن قلب الإنسان هو الأصل. ودائماً يلفتني أننا غالباً ما لا نميز بين طهارة القلب وطهارة المظاهر. البعض طاهر المظهر ولكن قلبه بعيد عن الطهارة بعد الأرض عن السماء. البعض مدنس في جسده وفي شكله لكن في قلبه براءة وطهارة أين منهما الطهارة والبراءة اللتين نشتهيهما لأنفسنا ونعتبرهما

من السمو بمكان. نعم بين إخوتنا من يعرف بالناقص بالقياس واعتماداً على نظمنا الحياتية وقواعدنا الاجتماعية، بين الناس من ندين وقد يكون في الظاهر مدنساً لكن قلبه أطهر من قلوبنا ونفسه أشد نقاء وصفاء من نفوسنا وهو بالتالي أجدر منا بأن يكون هيكلاً حياً لله.

هذا الفريسي وقف فقط عند حد الطهارة الخارجية: غسل يدين، غسل وجه، تبديل الملابس، المجيء إلى الكنيسة. عند هذا الحد من الطهارة وقف الفريسي عند الاستقامة في العمل والصدق في القول ودفع العشور المنصوص عنها في الناموس. فهل هذا كل شيء؟

الشخص الأول الذي حدثنا عنه الإنجيلي هو من رجال الدين دون أن يكون من الكهنة وهو على الأرجح فقير ويقوم بكل ما ذكرنا من أعمال. هذ معناه أن النص الإنجيلي ينطبق على كل مؤمن فقير تقي يتبع الأنظمة الكنسية.

لننتقل إلى الصورة الثانية: العشار. الجابي. وهو يذكرنا بزكا العشار. زكا كان عشاراً جابياً ونعرف أن زكا لم تساعده قامته على رؤية المسيح فاستعان بالشجرة واعتلاها ليراه ولو من بعيد.

وأذكركم أيضاً بأن مخلصنا يسوع المسيح كان موضوع انتقاد لأنه جالس الزناة والخطأة وكذلك العشارين. يمكنكم إذاً أن تتصوروا كيف أن هذا الصنف من الأغنياء الظَلَمة كان مكروهاً في المجتمع آنذاك. هذا الإنسان المكروه في مجتمعه وقف بعيداً. لم يفتش عن المقعد الأول أو الثاني بل وقف قرب الباب لا ليترك الهيكل ساعة يشاء كما نفعل نحن في كثير من الأحيان ولكنه وقف هناك شاعراً بأنه قد يدنس الهيكل إن هو وطأه، وأنه لا يستحق الاقتراب من المقدسات.

قال الكتاب: «وقف بعيداً ولم يجسر أن يرفع عينيه» والإنسان المذنب إجمالاً لا يجرؤ على التطلع إلى عيني الحاكم بل يبقى مطرقاً في الأرض. هذا الإنسان وقف بعيداً كسير النظرات وصلى «يا الله اغفر لي أنا الخاطئ». بعبارة واحدة اختصر كل التسابيح، كل الترانيم وكل الطقوس التي نقوم بها. «يا الله اغفر لي أنا الخاطئ»، «ارحمني أنا الخاطئ». إذا لم تكن هذه العبارة وراء تلك الترانيم والتسابيح والطقوس فإن الصلاة لا معنى لها.

المتكبر لا ينفعه الصيام، والقداس لا يفيده. الذي لا يقر بأنه إنسان ضعيف والذي لا يشعر بأنه بحاجة إلى رحمة من الله غزيرة، هذا الإنسان غير مؤمن. الإنسان الذي يأتي الكنيسة بأنفة وكبرياء وعنفوان هذا الإنسان لا يأتي كنيسة ولا يصلي.

هنا نحني رؤوسنا للرب. آه من هذا الرأس كم صمم للشر وكم حاك الحبائل الشيطانية. هذا الرأس يجب أن ينحني للرب، هذا القلب يجب أن ينكسر أمام الرب وإلا فصلاتنا وصيامنا تدجيل.

لنسر خطوة أخرى في حديثنا أيها الأحباء. عندما قال العشار «ارحمني أنا الخاطئ». كان الإنجيلي لوقا يفترض أننا نفهم ما النتيجة العملية لصلاة إنسان ظالم. إنسان مستغل جامع للأموال، يقول «يا الله ارحمني أنا الخاطئ». الواقع نحن لا نعرف النتائج العملية. اذكروا زكا مجدداً، زكا عندما اكتشف وجه المسيح الحقيقي ما عاد يفكر بالاقتصاد والاجتماع والتوفير... يقول الكتاب إنه تبدل، تبدل في قلبه وتغير في كيانه، حصل فيه تعديل جذري فما كان منه إلا أن أعلن بكل عفوية وبساطة: «يا ربي نصف أموالي أوزعها على المساكين». ما اكتفى باعتراف الفم وصلاة الفم فقد شبع الناس مما يخرج من

الفم ولكنه عندما تحرك القلب استحال التحرك فعلاً «يا رب نصف أموالي أوزعها على المساكين» لأنهم هم كانوا «الزبونات» الذين من أموالهم جمعت أموالي والآن فلتعد أموالهم إليهم ثم زاد العشار: «إن كنت قد ظلمت أحداً أرد العوض أضعافاً مضاعفة». هذا الحديث هو النتيجة الفعلية العملية لحضور المسيح في قلب إنسان. المسيح ليس كلمات، المسيح ليس لفظاً. المسيح حياة والجسم الحي يعيش الحياة التي فيه ويتكيف بالنسبة إليها، فإن ضعفت ضعف وإن قويت قوي وإن فارقته مات.

لا يمكننا أن نكون مسيحيين إذا كنا ظلمة ومستغلين. مد يدك إلى جيبك وأخرج منه الظلم والاستغلال. يجب أن تثقب هذا الجيب وتعيد مال الناس إلى الناس. المسيح ليس مزاحاً، المسيح مغامرة عظمى في حياتك تربح بنتيجتها الحياة بالرب. إنه الشرط لولوجك الملكوت السماوي.

هذان الاثنان وقفا في الهيكل يقول الكتاب: الأول لم تسمع طلبته. «صُمْت، صَلّيت، دفعت الصدقة». والثاني «أنا الخاطئ» قالها لا بالفم ولكن بالقلب و لم يكتف بأن قال في قلبه أنا خاطئ ولكنه سلك مسلك التائب (التوبة هي انقلاب كلي فيك). هذا الإنسان وجد المسيح فيه مكاناً وعاد إلى بيته مبرراً. لوقا الإنجيلي يستعمل مرتين هذه الجملة: «مَن وضع نفسه ارتفع ومَن رفعَ نفسه اتضع».

وهذا يعني، يا أحباء، أن الارتفاع يأتي من الله، وليس منك وليس من البشر فقد تكون مرتفعاً جداً بين الناس وأنت الفريسي المرفوض في عين الله. وقد تكون مرفوضاً جداً من الناس ومحتقراً، فيما يكون مكانك عند الله شاسع الارتفاع. الاتضاع هو أيضاً من عند الله. آمين.

المسيح أولاً*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

قرأنا في الكتاب المقدس كيف أن المخلص كان في بيت سمعان الأبرص وإذا بامرأة كنعانية معها قارورة طيب، أتت إلى المخلّص وصبّت هذا الطيب على رأسه، وفي نص آخر على قدميه فأخذ الأمر ردة فعل لدى بعض الشعب فتذمر واحتج: هل يليق هدر قارورة طيب ثمنها يتجاوز الثلاثماية دينار؟ أما كان الأفضل أن يُباع الطيب ويوزّع ثمنه على المساكين؟ والمخلّص ردّ على هذه الفئة المتذمرة: «الفقراء معكم في كل حين ولكن أنا لست معكم في كل حين».

أيها الأحباء، الكنيسة بطبيعتها تلتفت إلى الفقراء والكنيسة أصلاً إلى جانب المحرومين، إلى جانب الحزانى ولذلك فإننا في أبرشية اللاذقية نعمل أكثر فأكثر لنقترب من الأصل ونصرف معظم أموالنا على الفقراء. بعملنا هذا لا نجود على الفقراء بعطف ولا بشفقة مترفعة متعالية متفضلة. فليس للكنيسة كمجموعة إلا أن تعيش عيش الجميع وتبقى إلى جانب الجميع. وهذا الجميع هو هو بالذات الكنيسة. ويبدو أن العطف على الفقراء كان يفعم قلب الفئة التي أجمعت على بيع العطر، بيع الطيب فكأنها تذهب مذهب الكثيرين منا والقائلين: الصلاة هي الصدقة، الصوم أن تقوم بحسنة، الإنجيل هو إنجيل الحسنة. هذا يقولونه قولاً. وهذا القول لا يعني بالضرورة أنهم بالفعل يقدّمون حسنة عن الصوم، عن الصلاة، عن الإنجيل. وقد يتلطى الكثيرون منا وراء هذه الحجة

* اللاذقية، الجمعة ١٩٧٥/٢/٢٨

ليتخلّصوا من الصدقة والإنجيل، بل الصيام والصلاة.

وفينا فئة تذهب مذهباً آخر فتقول: العمل هو الصلاة إذن بدل أن نصلي فنحن نعمل. لست أدري أي نوع من العمل هذا الذي يقومون به وما درجة إخلاصهم في القيام بهذا العمل، جواب المخلّص له شقان:

الشق الأول: الفقراء معكم كل حين وإذا كنتم تقولون إن صيامكم حسنات وصلاتكم حسنات وإنجيلكم حسنات فلماذا لا يزال بينكم فقراء؟ إن واقعكم يكذبكم. إذا كان قد بقي بينكم فقير واحد أيها القائلون هذا القول فاصمتوا. فحسنتكم كلام، صدقتكم كلام، مشاركتكم كلام والكلام لا يفيد ولا يجدي. فكأن المخلص يقول لأولئك الذين زاودوا باسم الفقراء والمزاودون كثيرون، كأنه يقول لهم: كذابون أنتم، الواقع يكذبكم. أما أنا ــ يقول المخلّص ــ أنا معكم لوقت، وهذه السيدة التي صبّت الطيب على رأسي ما فعلت شيئاً سيئاً، إنها قامت بصنيع حسن.

الشق الثاني لكلام الرب، يا أحباء، هو أنه لا يمكن أن نضع أي بديل عن المسيح حتى ولا ما ندعوه عمل البر والخير والإحسان. المسيح هو هو ولا يغني عنه سواه. والذي يحبه لا يرى هدراً أن يكرس الطيب ليسكبه على رأسه. وليس أمامك اختيار فإما الطيب للمسيح أو المحبة للفقراء. فكلاهما ضروري وكلاهما متلازم. تفكيرك بالطيب للمسيح هو الذي يوجه نفسك إلى محبة الفقير المعوز ويجعلك مؤاسياً المظلوم ومدافعاً عنه حتى الموت لأن قلبك يمتلئ بمحبة أعظم ويطرد من أعماقه البغض والكراهية والفئوية التي تعودها في حياتك.

المسيح يقوي فيك حب الخير ولا يضعفه وعلاوة على ذلك فإذا كنت تعمل خيراً باسم المسيح فليس من خطر عليك أن تتعاظم وتنتفخ كما يحدث

لأغلبية المحسنين أو أن تلصق أعظم القيم بالقرش الذي «تتصدق» به على هـــذا أو ذاك من الناس.

ليس من بديل للمسيح أو تعويض عنه. والمسيح نظارات إذا وضـــعتها رأيت جيداً ما عليك فعله وكيف يجب أن تفعل. والويل لك إذا نظرت عينـــاك ولم تتحرك يداك قياساً على ذلك. أيها الأحباء، عندما نقول تعال إلى الـــصلاة، صلِّ، ارفع قلبك إلى فوق، ارتفع بنظرك إلى الله. عندما تقول لإنسان تعرَّف إلى ربك، واسمُ بقراءة إنجيلك لا نقصد بذلك: انصرف عن محبة أخيك المعوز، ولا تواس أخاك المسكين. ما نقصده هو عكس ذلك تماماً. نقصد بذلك القول سلّح نفسك بسلاح المحبة والحق لتمسي حسنتك لا من اليد وحدها بل من القلـــب أيضاً. نقصد أن نؤمن إيماناً راسخاً بأن لأخيك حقاً عليك، فهو صاحب حـــق يستدعي إجلالك واحترامك وتقديرك لا أن تعتبر بمجرد إعطائك إياه أنك أرفع منه وأنه أدنى منك. هذا هو تعليم الإنجيل وكل ما سوى ذلك مما يبـــدو خـــيراً ليس سوى شر مبطّن.

إننا نسأله تعالى ببساطة تلك المرأة الطيبة التي سكبت الطيب على رأسه أن نُعطى نحن أيضاً النعمة، وأن نعب من ينبوعه الوفير محبة وسعة وعمقاً لنتدفق نحن بدورنا محبة وسعة ونزرع الخير بدون حساب في هذا العالم.

العودة*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

في الأحد الماضي في أحد الفريسي والعشار كان أمامنا مثلث حي: أولاً فريسي، ثانياً عشار، ثالثاً ذاك الذي تقدم له الصلاة أعني الله. اليوم أمامنا مثلث آخر: ابن صغير، ابن أكبر، أب هو صورة للآب السماوي.

الفريسي العالم بالنواميس قال: «أنا لست مثل ذلك العشار»، والصبي الأكبر يقول لأبيه: ما بالك تعامل ابنك هذا الذي أخذ عيشك وصرفه مع الزواني، ما بالك تعامله أفضل مني أنا الذي حفظت وصاياك، وأنا الذي لم يخالف لك وصية.

العشار في الأحد الماضي عندما عاد إلى نفسه وأدرك انه خاطئ قال: «إن الصلاة الوحيدة التي يجدر بي أن أرفعها إلى الله هي صلاة استرحام، واستغفار: إني خاطئ». والابن الأصغر الذي ترك بيت والده وذهب يعيش كما شاء، هذا الابن وعى وقتاً أنه تدهور بكرامته إلى مستوى أدنى من الخنازير، سال نفسه آنذاك: ماذا يحدث لي؟ لماذا لا أعود إلى أبي؟ فكان أن عاد.

والشخص الثالث في مثل الفريسي والعشار صامت لا يتكلم. الله الذي صلى الفريسي أمامه ، وصلى العشار أمامه لا يُسمَع صوته، ولكن لوقا الإنجيلي يؤكد أن العشار كنتيجة صلاة أمام ذلك الصامت عاد إلى بيته مبرراً، «لأن من

* اللاذقية، الأحد في ١٩٧٥/٣/٢

وضع نفسه ارتفع، ومن رفع نفسه اتضع». هنا في إنجيل اليـــوم الأب يـــتكلم وحديثه مع ابنه الصغير غيره مع ابنه الكبير. فمع صغيره لم يقل كلمة عتاب بعد كل ما حصل. ما قال له: يا ابني كنت عائشاً في هذا البيت على أفضل حـــال لكنك فرقت العائلة، قسمت الرزق، تركتنا نتألم لابتعادك. من هم الذين آمنت بحبهم لك أكثر منا؟ أو الذين في عينيك يفضلوننا أهلاً لك؟ لم يقل الأب هـــذه الأقوال حسب الإنجيلي لوقا إذ حالما رأى ابنه الصغير يعود صفح عنه وضـــمه وقبله. ومن الجلي الواضح ان الأب في استقباله ابنه لم يقم بعملية محاكمة داخلية ولم يعط وقتاً لأي تساؤل: هل كان على حق؟ هل له حق بذلك؟ هل يستحق الاستقبال أم لا يستحق؟ ما أثر عودته في العائلة؟ في البيت؟ أحسن هو أم سيئ؟

لم يترك الآب مجالاً لأي من هذه التساؤلات بل أسرع لتوه ودون تردد وعانق ابنه وقبله وصفح عنه.

الإنجيلي يريد أن يقول لنا: الصفح والغفران عند الله صفتان من صفات طبيعته وليستا أحد الوجوه العملية لصفاته الجوهرية، انهما أصـــل لا فـــرع. الله غفور قبل كل شيء. الآب الأب لا يرد سائلاً ولا يخيب تائباً. هـــذه طبيعتـــه لذلك سارع إلى استقبال العائد دونما تلكؤ.

لقد ورد عنه أنه ديان ولكنه أولاً محب، وأولاً مسامح وغفور وكـــل صفة من صفاته تأتي بعد هذه الصفة لا قبلها. وهذا وضع كله معكوس إذا نظر إليه من جهة وضعنا نحن كآباء. إننا نحاسب بينما ذاك الآب الذي منه الحيـــاة والكرامة لا يحاسب. نحن ماذا نعطي؟ ماذا نعطي أبناءنا؟ ما هو المثـــل الـــذي نقدمه لهم؟ حياقم معنا دينونة متواصلة، فهي مستمرة وأمر مستمر، لكن الويـــل لهم إذا هم قابلونا بالمحاسبة، وويل لهم إذا هم حاكمونا. كيف نعـــيش؟ مـــاذا

نقول؟ كيف نتصرف إذا رأوا ما العلاقة بين ما نقول وما نفعل، بين ما نظهر وما نبطن.

أولادنا يشتهون اليوم الأب أباً والأم أماً. إن بعض الآباء وبعض الأمهات يتوسلون أولادهم ويتخذونهم ذريعة لإظهار قوتهم وتسلطهم. الصورة التي عندنا عن الآب الأب، عن الآب الأعظم ترسمه لنا يستقبل ويرحب، يستقبل الخاطئ، يستقبل المرتد، ويرحب بالعائد. هنا يخطر في بالي: لماذا قال الابن الأصغر في نفسه «أعود إلى بيت أبي». أما كان يعرف إنه هو الذي قسم البيت وقسم الرزق؟ كان يعرف ذلك ولكنه كان يعرف أيضاً أن بيت أبيه يبقى مفتوحاً له؟! لو لم يكن مدركاً أن محبة أبيه لا يقيسها مقياس، هل كان فكر بالعودة؟ لماذا لم يدر في خلده الانتحار مثلاً؟ ذلك بالحقيقة لأنه يدرك تمام الإدراك أن باب منزل أبيه مفتوح على مصراعيه في كل آن وزمان.

لوقا الإنجيلي يركز في إنجيله على التحدث إلى العنصر الشاب؛ وهذا الشاب في تصرفه الأول لم يدهشنا إطلاقاً: «يا أبي أريد أن أتركك، أعطني حصتي، أود أن أذهب وآخذ رزقتي. عقلية جيلنا لم تعد كعقليتكم، أنتم جماعة رجعيون، أنتم جماعة لا تحترم الحريات الشخصية، وأنا أريد أن أشق طريقي بنفسي». هذا نحن على علم به وليس بالشيء الجديد علينا. أما الغرض الذي من أجله كتب هذا الإنجيل، وأعطي هذا المثل فهو التوجه إلى الشاب الذي سار في طريق ظنها طريق الكرامة، فوجدها طريق المذلة والتدهور والانحدار، إلى الشاب الذي ظن أن مسؤولية الإنسان في حياته تقف عند حد الآخر والتندم والتنعم. الشاب الذي ظن أن الحياة فقط بمظاهرها ومباهجها، ولذاتها، إلى الشاب الذي ظن كل هذا. الإنجيل يذكر هذا الشاب ويقول له: لا تنسَ أن بيت أبيك

مفتوح، هيا إلى الرجعة، الرجعة إلى الحق، الرجعة إلى الصواب، الرجعة إلى العدالة. الرجعة ليست رجعية. الرجعة إلى الحق تَقَدّم، تَفَتُّح، إنها نور جديد يشرق في قلب الإنسان، هذا النور الذي كثيراً ما نحاربه لأنه «رجعة» و«عودة». هذه الرجعة هي العبارة التي يستعملها الإنجيل المقدس مرادفاً كلمة «التوبة».

ليس من أحد يتوب في هذا الكون، ليس من أحد يعترف بأنه خاطئ وقد يفعلها، قد يفعلها بعض الناس، قد يعترفون بالخطيئة اعترافاً بالفم، ولكن القلب يبقى مملوءاً كبرياء، يبقى محكم الإغلاق في وجه التبدل. التوبة هي أن القلب في حد ذاته يجب أن يتغير. نحن غير جديين في أننا نريد أن نتغير ونتجدد. لن أتطرق إلى التفاصيل. المغيِّر هو المسيح، المجدد هو المسيح. وكل تغيير أو تجدد سواه سطحي خارجي فاشل. وهنا أتساءل معكم: مَنْ منا أحدث المسيح تبدلاً وتجدداً في طعامه أو شرابه أو ملابسه أو أعماله أو طريقة عيشه أو في بيته؟ من منا غير المسيح مسلكاً واحداً في حياته؟ ولكن مهما بلغ الأمر، فالأب الذي لم يحاسب صغيره في الإنجيل لن يحاسبنا. أقول لأولئك الذين لم يتعرفوا إلى المسيح حتى الآن أقول لهم: إن الآب لا يحاسب تعالوا، تعالوا. عندما انسحبتم لقيتم الخنازير والزوايا والوحل، ولكن في العودة تلقون الفرح في السماء والأرض بميت عاش وضال وجد. آمين.

لستم لأنفسكم*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

كما سمعنا الآن: صرخ المخلص بصوت عظيم وأسلم الروح، ولكن الكلمات الأخيرة التي فاه بها المخلص جاءت استغاثة للآب السماوي: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟». وهي مؤلفة من شقين:

الشق الأول: ويأتي في آخر الجملة «لماذا تركتني». بالفعل يشعر الإنسان في حالة الشدة وكأن الله قد تركه، يشعر الإنسان بأن الله قد تخلى عنه وبالتالي أنه أصبح وحيداً. هذه الوحدة عرفها الإنسان في أكثر هنيهات حياته. وكما قال الكتاب المعاصرون، الإنسان مقضي عليه في النهاية أن يبقى وحده، يبقى الإنسان في أقسى الظروف يلقى مصيره وحده. الرفقة والأهل والأحباب، هؤلاء كلهم يتركونه أيام قدره ويبتعدون عنه. مواجهة المصير شديدة الصعوبة. إذ ينقطع الإنسان عن كل واحد. في ساعة الموت، يدرك بأنه يموت وحده.

من يقدر أن يدخل إلى قلوبنا ليشارك فعلياً في آلامنا؟ من؟ من يقدر أن يدّعي بأنه بالفعل شارك فلاناً فرحه، شاركه حزنه، شاركه آلامه وأزماته؟ هذا غير ممكن لأن الإنسان في آخر الأمر عالم مغلق، صندوق مغلق، نشاركه إلى حد ولكن أن نخترق الحجب ونصل إلى الداخل ونعيش في الأعماق، هذا لا يمكن. المخلّص الذي كان على الأرض يعيش الطبيعة البشرية بملئها اجتاز هذا الظرف،

* اللاذقية، الجمعة في ١٩٧٥/٣/٧

ظرف الوحدة وعايش هذه الهنيهة المتناهية الصعوبة. اذكروا يا أحباء، معنى العبارات المألوفة، كونوا إلى جانب فلان وقت الشدة، أبقوا إلى جانب فلان وقت العذاب. فوجود الشخص قد يكون عنصر تقوية. كذلك المخلص لم يرد وحده أن يعاني الوحدة في أشد أوقاتها مرارة. ويقول لنا الكتاب في مكان آخر: إن أصدقاءه تركوه، إن محبيه تركوه، إن تلاميذه ابتعدوا عنه، فكان وحده مرفوعاً على الصليب ينتظر ساعة يسلم روحه إلى خالقها. في تلك الساعة أين اتجهت أنظار المصلوب؟ هل هو الصليب المرتفع الذي جعله ينظر إلى العلاء؟ خبرتنا أن الشدائد تجذب تفكيرنا عن الله في اتجاه الأرض. المخلص يعطينا أمثولة رفع النظر والقلب إلى السماء. في خضم آلامه ومعاناته وعلى عتبة تسليم روحه، رفع نظره إلى السماء، إلى أبيه السماوي وناجاه: إلهي إلهي.

يا أحباء، ليس من إنسان منا لا يمر بمثل هذه الهنيهة الصعبة حيث يعجز المرء عن وصفها. ولكن الكثيرين ينسون أن يرتفعوا بنظرهم وبعيونهم، وبعيون قلوبهم إلى ذاك الذي هو حاضر في كل وقت. ينسون أن يرتفعوا بشفاههم ويخاطبوا ربهم قائلين له: «إلهي إلهي». ننسى هذا، ولذلك فإننا ننسى التعزية الحقيقية في أشد الساعات. لا يفيد ولا يعني شيئاً أن ندفن أنفسنا في وحدتنا ساعة الشدة أو أن نتلهى عن آلامنا بمن يحيط بنا. هذا لا يكفي. ما هو الجوهر؟ أن يرتفع الإنسان بقلبه إلى الله، أن يدعوه إلى نجدته، أن يتأكد أنه بالله وحده لم يعد وحيداً، ولو تركه العالم بأسره. أن يطلب إليه: «إلهي إلهي» إلي تعال.

لاحظوا أمراً آخر عندما نظر المخلص إلى الله أبيه وناداه إلهي إلهي لم يكن من حوله من يناديه. وعندما ارتفعت عيناه إلى السماء ماذا حدث؟ ليس فقط أنه استدعى أباه، وكان قريباً من أبيه وكان أبوه قريباً منه فهذا حدث

بالنسبة إلى شخصه ولكن يذكر لنا الكتاب أن قائد المئة لان قلبه. ماذا كانت ديانة هذا القائد؟ من يدري إنه كان رومانياً وبالتالي وثنياً، هذا الذي كان قائد المئة وعمله من النوع الذي لا تلين له القلوب ولا تحبه، وهم يُختارون على أساس أنهم قساه، هذا الشخص الذي لا علاقة له لا بالمسيح ولا بآلامه، ولا بشيء آخر. هذا الشخص لان قلبه، ونظر إلى المخلص وقال: «هذا بالحقيقة كان ابن الله» أي أنه حتى على الصليب حتى في آخر ثانية من ثواني حياة المخلص كان يخلص أو يزرع الإيمان. بموته كان هداية، وتلك الساعة التي نطق فيها إلهي إلهي لماذا تركتني، وأسلم فيها الروح، كانت نعمة الله تنحدر على جلاده، وكانت تجعله يكتشف أن هنالك الله، وأن هنالك أبناء لله بالتبني، وأن هذا الشخص الذي كان على الصليب ما كان إنساناً عادياً. هذا يجعلنا يا أحباء في أحزاننا بصورة خاصة، نفكر أولاً بدعوة الله ليكون معنا، ولكن هذا هو الوجه الثاني للمسألة لأنه يجب أن لا نظنن أن هذه الدعوة هي فقط لتعزيتنا نحن، لتقويتنا نحن ولازدياد صبرنا لكنها «ليرى الناس أعمالكم الصالحة ويمجدوا آباكم الذي في السماوات». حتى يسمعوا استغاثتكم: إلهي إلهي، ويلحظوا أنكم من أهل الإيمان وأن إيمانكم فاعل في حياتكم.

في أحزانكم اذكروا ذاك الذي يرى ويسمع، فكروا وتذكروا أن استغاثة الإيمان قد تُنْزِل النعمة على الكثيرين.

أنتم حتى في أحزانكم لستم لأنفسكم ولكنكم للرب، أنتم لربكم حتى في أشد الهنيهات، حتى في أشد الدقائق يطلب إليكم أن تكونوا وسيلة النعمة الإلهية إلى الناس. آمين.

الله هنا والقداسة هنا*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

تُعيد الكنيسة الأرثوذكسية للاهوتي كبير عاش في أواخر القرن الرابع عشر واسمه القديس غريغوريوس بالاماس لأنها تعتبر أن هذا القديس يصيب في تفكيره اللاهوتي الأمور التي تهم الكنيسة وخصوصاً ما يتعلق منها بالله وبالجسد الإنساني.

قال القديس غريغوريوس بالاماس «الكثيرون يفتشون عن الله ولكنهم يجدون صعوبة في أن يجدوه ذلك لا لأن الله غير موجود ولا لأنه لا يمكن أن نعرف أين هو بل لأننا في كثير من الأحيان نفتش عنه حيث لا يوجد. نحن الذين نخطئ من أول الطريق ولذلك لا نجد الله حيث نفتش» وهذا ما يذكرني بقول أحدهم: «جلت في الفضاء جولات عديدة ولكنني لم أجد الله هناك». هذا صحيح لأن الله ليس في الفضاء، لأن هذا النوع من الله الذي نفتش عنه هو غير الله الذي نقول نحن عنه إنه في السماء. القديس غريغوريوس بالاماس يقول: إذا شئت أن تفتش عن الله فالله هنا، قريب. لا تُشِح بنظرك عمن أنت، لا تلتفت إلى بعيد؛ لقد قال الله لك إنه تجسد، قال إنه لبس طبيعتنا البشرية إذن فتش عن الله في طبيعتنا البشرية، فتش عنه حتى في عالمنا هذا. ويتابع قديسنا لو كنا مخلصين في تفتيشنا عن الله لكان على عيوننا أن لا تنظر إلى الفضاء وإلى الأبعاد الجغرافية ولكن يجب أن تنظر إلى لحم كل منا، إلى جسده. الإنسان

* اللاذقية، القديس غريغوريوس بالاماس، الأحد الثاني للصوم ١٩٧٥/٣/٣٠

أصبح مسكناً لله، هذا الجسد قد تقدس وليس هو مصدر الشر كما كان يقول الفلاسفة.

أيها الأحباء، يعلمنا هذا القديس أن القداسة ليست شيئاً في الهواء وليست من نوع المثالية الأفلاطونية التي لا علاقة لها بالواقع. القداسة شيء هنا، في وجوه الذين ننظر إليهم. في قلوب أولئك الذين نتحدث معهم. إنها هنا في الأشخاص الذين ارتضى الله، لا لاستحقاقهم ولكن لتنازله المحب، أن يسكن فيهم وأن يكون لهم إلها وأن يكونوا له شعباً.

الله هنا. وإذا شئت أن تحب الله فعليك - كما قال يعقوب الرسول - أن تحب أولئك الذين أحبهم الله، والذين من أجلهم بذل ذاته.

كل هذا يجعلنا - في نظر القديس - نلقي أضواء جديدة نوعاً ما على مفهوم الحياة والموت: فمهما عظم الشر فالعالم لله وحده. مهما كثر الأشرار فأنا أعرف شيئاً واحداً هو أن الله لن يتنازل عن أبوته للناس ولن يوقف محبته للبشر. منذ البدء تنازل وأحب مجاناً وسيبقى حتماً كذلك. وعلينا نحن المؤمنين عندما نتطلع في وجوه الناس، في عيونهم أن نرى بريق رحمة الله فيهم، أن نلحظ نعمة الله فيهم أعلموا هم بذلك أم لم يعلموا. وويل لنا إذا كنا نيأس مهما كانت شدائدنا ومهما كانت مصائبنا لأن ذلك يعنى أن الله قد انتزع من فوق أو كأنه لم يعد هنالك، أو كأنه توقف عن كونه فعالاً. هذا ما يود أن يعلمنا إياه القديس غريغوريوس عن الحياة. وأما عن الموت فيقول القديس: إننا نتألم ونشكو ونبكي عندما نفقد أحباءنا ولكن لماذا؟ هل نخاف على الإنسان من التراب؟ التراب نفسه ارتفع. هل تخاف أن يبقى أخوك حيث دفن؟ لا يا بني. ففي التراب شيء من أثر القدرة الإلهية وهذا الشيء سيعيد إليه جبلته من جديد.

ومن نفخ مرة في التراب يمكنه أن ينفخ فيه مرة أخرى.

في هذا اليوم نتعلم، فضلاً عن الإرشادات، التعزيةَ الحقيقية المسيحية. لأننا نعرف أن كل من سبقونا عند سماعهم صوت الله سيقومون وسيعرف آنئذ بصورة قاطعة أن اللحم والدم تباركا بالله وأن المعمودية لم تكن باطلاً، وأن الموت قد غلب وأننا مدعوون إلى حيث «لا وجع ولا حزن ولا تنهد بل حياة لا تفنى».

مغفورة لك خطاياك*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

اليوم نركز على استغراب الكتبة الذين دهشوا لأن ابن البشر، المخلص قال للمخلع: «لك أقول قم احمل سريرك واذهب إلى بيتك، مغفورة لك خطاياك».

ما يهمنا من هذا الحدث هو حصول ما لم يتوقعه الكتبة، أي اللاهوتيون، فكان غريباً إلى حد أنه أدهش الجميع.

النقطة التي سأركز عليها هذا الصباح هي السبب في الدَهَش. السبب في الدهش هو أن جماعته تعودت ترويج ما تعلمت وهو أن هنالك واحداً أحداً يغفر الخطايا وهو الله نفسه، وليس من أحد سواه. وهنالك شاف واحد هو الله تعالى وليس من أحد يمكنه أن يقول لمخلع قم احمل سريرك وامش إلا هذا الكائن الإلهي الذي هو الله. هذا ما تعوده الكتبة وما ألفوه، هذا هو دستور إيمانهم العادي والذي حصل جعل هذا النظام يختل وبالتالي سبب قلقاً ودهشاً لأولئك الكتبة، أولئك اللاهوتيين.

ما هذا الشيء؟ إنسان جاء. صورته صورة إنسان عادي. هذا الإنسان وقف أمام المخلع وخرق الأنظمة، خرق المألوف ووضع نفسه موضع الله وقال للمخلع «مغفورة لك خطاياك قم احمل سريرك وامش إلى بيتك» فكأن شيئاً

---

* اللاذقية، الأحد الثاني من الصوم، ١٩٧٥/٣/٣٠

على الأرض اختلف عن العادي، كأن شيئاً من السماء نزل إلى الأرض لينجز فيها فعلاً سماوياً. هذا هو ما حصل وهو بالفعل أمر مدهش. تصور مثلاً أن هناك إنساناً دخل هذه الكنيسة الآن فوجد نصف المصلين وقوفا لعدم وجود مقاعد كافية، هذا الإنسان وقف وقال: فلتصر مقاعد للجميع فإذا بها تصير ويمسي الكل جلوساً. هذا يدهشنا لأنه ليس بالشيء المألوف عندنا.

يبدو أيها الأحباء أننا تعودنا النظر إلى كل شيء بمنظار عالمنا وبمنظار إنسانيتنا. وقد وصف بعض العلماء عالمنا، ووصفهم صحيح، انه عالم لم يعد لله فيه من مكان. فليفحص كل منا نفسه وليمعن النظر في برنامجه اليومي مثلاً ويتساءل: أين مكان الله في هذا البرنامج وأي وقت كرس له؟ لذلك نحن أيضا يعترينا الدهش لو قام الله بصنيع مغاير غير مألوف لأننا نحن قد أسقطنا الله من حسابنا.

لو قرأنا الرسالة لوجدنا أن غاية مجيء المسيح هي بالضبط قلب الأنظمة «الطبيعية» المعتادة والمألوفة التي نرتاح إليها. المسيح يعني قلب كل هذه المفاهيم. ماذا حدث؟ إن البقاء لله وحده وقد حل الله فيما بيننا. قالت الرسالة: كل شيء يأتي إلى نهاية، كل إنسان ينتهي وهذا لا يحتاج إلى برهان وأما الباقي فهو واحد أحد، إنه الله تعالى لأن هذا الباقي عنده، البقاء في جوهره وليس مجرد صفة من صفاته ولا يمسه الفناء. أما العالم فمدعو إلى الفناء لكنه في هذا العالم أتى من لا فناء له، إنه الواحد الذي قيل له: «اجلس عن يميني كي أجعل أعداءك موطئاً لقدميك» وأعدى الأعداء هو الموت.

إذن ماذا حدث في عالمنا المتقلب المتغير السائر في اتجاه فنائه؟ هذا العالم الذي لا يبقى إلا إذا زرعت فيه الحياة من خارجه أي من الله تعالى. هذا العالم

الذي يسوده الموت. هذا العالم قيل فيه لواحد «اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك» هذا الواحد هو ربنا يسوع المسيح.

فهل هنالك مجال للدهش إذا كنا ننظر إلى المسيح الجالس عن يمين الآب وشاهدناه يفعل في العالم ما هو فوق العالم وأن يجعل مألوفاً بين الناس ما اعتقدوه غير مألوف؟

الشيء المهم أيها الأحباء، هو أن حياتنا المسيحية ترتكز على قواعد تخالف الطبيعة بالمعنى العادي للكلمة. فصيام الصائمين مثلاً يخالف الطبيعة، كبح جماح الأهواء يخالف الطبيعة، الحد من حدة رغباتنا وشهواتنا فلا تتحقق على حساب الآخرين فهذا أيضاً ليس من قبيل الناموس الطبيعي.

أختصر: تفكيرنا اليوم مركز على أنه في عالمنا، عالم الفناء أصلاً أعطيت الحياة وأعطيت كاملة لواحد هو المسيح ومنذئذ غدا العالم مزيجاً من المألوف وغير المألوف. من الطبيعي ومن الإلهي.

ونحن في الصيام – وهو تافه في عيون الكثيرين – في حياة الصلاة وفي حياة الإيمان التي لا تستمر بها الكثرة من الناس، ندخل عنصراً جديداً في الوجود ونؤكد أن من ينظر إلى هذه الحياة على أساس مقاييس هذا العالم وحدها فلا غرابة أن يرى شؤون الله ليست بذات بال. مركز البحث هو أن يلبس إنساننا لباس الله وينظر إلى دنيانا بمنظار الله فيرى الأمور على غير ما هي من رتابة وسطحية. إننا بالإيمان بيسوع المسيح متجسداً نسعى جاهدين لتتحقق في الأرض الحياة الإلهية. وهذه هي غاية الإيمان وإلا فلا كان الإيمان.

إنني أسأل الله الذي أراد أن نخلص بذاك الذي وضعه إلى يمينه قائلاً:

«اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك» إننا نسأله أن يقوينا ويقويكم جميعاً لنجوز هذه الفترة بالعيش الإلهي في عالم غير إلهي محتملين حكم الناس علينا بشجاعة، بقوة، بإيمان معلنين أننا في صيامنا نبذر في الأرض بذراً سماوياً.

الأم مفتاح خلاصنا*

المطران اغناطيوس هزيم

الصفحة الأولى من وجود الإنسان على الأرض كانت حلـوة. فقـد خلقنا الله وخصنا بصفات وعناية فائقة فقد جعل منـا تـاج المخلوقـات في المسكونة، وزاد الله في هذه الصفحة المشرقة أنه تعالى لم يرض لآدم بأن يبقـى وحيداً على الأرض فخلق له شريكة لحياته. ومنذئذ ألف آدم وامرأتـه حـواء العائلة البشرية الأولى وكانت تنعم بفردوس النعـيم. ونحـن نعـرف أن مـن الخصائص الرئيسية لحياة النعيم وحياة الفردوس أن يكون الإنسان وهـو علـى صورة الله ومثاله دائم الاتصال بأصله، دائباً على السعي إلى أن يكـون مثـالاً صادقاً لذلك الأصل. فإذا انقطعت الصورة والمثال عن الأصل أصابهما عطل في مدى صدقهما وصحتهما. ونحن نعرف أن هذه الـصفحة المـشرقة لم تـدم، والصفحات المشرقة إجمالاً لا تدوم طويلاً.

ماذا حدث؟ حدث أن النعيم أدى بآدم وحواء إلى الانتفاخ والعجـب وعدم الاكتفاء من الألوهة بشبه فأرادا الألوهة نفسها وسارا في سبيل منافـسة ذلك الذي هما ليسا سوى صورة له ومثال. وعندما أطلق المخلوق قنبلة المنافسة في اتجاه الخالق سقط لتوه وتدهور الإنسان. ومنذئذ طويت الـصفحة المـشرقة وساء المصير. قال الكتاب المقدس: وأمست حياة الإنسان مزيجاً مـن الوجـع والتعب والشقاء والأسى. من يدري فقد يوجد مثل هذا كله في الفردوس أيضاً ولكن الأكيد هو أن محاورة الله والاتصال الدائم به تعالى كانا ينتزعـان مـن

* اللاذقية، عيد البشارة، ١٩٧٥/٣/٢٥

المتاعب حدتها ومن الأحزان أثرها المؤلم. لكن الصفحة، كما قلت، طويت وذلك بعد أن طلق الإنسان إلهه وغدا وحيداً معزولاً.

لكن تاريخ الخلاص بدأ هو أيضاً مع تاريخ الخطيئة. إذ إنه مع السقوط أعلن الله وعده بالخلاص. والله لا يحنث بوعوده. نعم إن الصفحة المشرقة قد انتهت لكن تلك الساعة السوداء كانت أيضاً بدء تاريخ الخلاص.

تاريخ الخلاص طويل. الإنسان أخذ اتجاهاً معاكساً لإلهه لكن الله لم يأخذ اتجاهاً معكوساً لمخلوقه. ومنذ الدقيقة التي استجاب فيها الإنسان للحياة بعيداً عن ربه، منذ تلك الدقيقة زود الله خليقته برجاء لا رجوع عنه وأمل أخذ يقوى ويشتد على كر السنين. ووعد كما أسلفنا، وهذا وعده: كما أن الخطيئة كانت بواسطة امرأة دون أن تكون المرأة الخطيئة بالذات أو سببها الأول، كذلك الخلاص سيكون بواسطة المرأة دون أن تكون المرأة الخلاص بالذات وسببه الأول.

منذ تلك الدقيقة لم يهدم الله الجسور بين الفردوس والحياة الدنيا لكنه وعد الإنسان بأنه من نسل المرأة بالذات أي بواسطتها حصراً سيقوم ابن ينتصر لله وللإنسان ويرد البشر إلى إلههم ويعيد إلى صورة الله أصالتها وإلى مثال الله صدقه. وهذه هي الصفحة المشرقة الأولى بعد الخطيئة.

لقد فتح الله الصفحة الأولى المشرقة بعد صفحة الخطيئة القاتمة. والتاريخ يسير على مراحل ولا يأتي التاريخ دفعة واحدة. المرحلة الأولى بعد الخطيئة، المرحلة الأولى المشرقة كانت الوعد الإلهي الذي أعطي لآدم وحواء وهما لكل منا. وهذه الصفحة بالذات هي التي نعيد لها اليوم. عيدنا اليوم يعني أن السماء فتحت من جديد وأن صفحة جديدة في عالم الخلاص قد سطرت وأن حضور

الملاك جبرائيل أمام العذراء يبشرها بالحبل بالسيد، قد أتم الوعد الإلهي وأعاد فتح الفردوس فتحاً حقيقياً ولكنه غير مكتمل بعد.

لم يسيطر الموت على المخلص لما مات فقد غلب المخلص الظلمات. وهنا لم تسيطر الخطيئة على العالم محبوب الله لذلك يتمخض العالم بحدث جديد يؤكد غلبته على سلطان الخطيئة. هذا معناه، أيها الأحباء، أننا خطأة وفي عالم الخطيئة، وهذا صحيح. وصحيح أن أحزاننا متعددة ومتاعبنا لا تحصى ونقائصنا كذلك. وصحيح أن هذا العالم مليء بالمصاعب والعقبات. لكن هذا إذا كان يوصلنا إلى أن حياتنا في العالم لا تعدل شيئاً فهذا خطأ. إذا كنا نصل إلى القول بأن هذا العالم هو إطلاقاً وتحديداً عالم حزن، عالم اسوداد، عالم متاعب وشقاء فهذا خطأ. فلقد نفخ الله في هذا الوجود بالذات بالرغم من سقطاتنا ومتاعبنا وأحزاننا نفخ فيه بذرة الخلاص وفيه أرسى مقومات الخلاص بكاملها. بلغة الناس نحن ننظر إلى العالم نظرة متفائلة لا بقدرتنا وقدرة البشر لكن بوعد الله الحقيقي الفعلي وصدق الله وبأنه لا يحنث بوعده. إذن كلما وقعت عيني على الألم والوجع والأحزان والمتاعب وجب علي في الوقت ذاته أن أذكر بأن الله ليس غائبا عن هذه كلها وأن العالم ليس في قبضة الشرير.

وعيد البشارة، كما قلت، الصفحة الثانية في تاريخ الخلاص بعد الوعد الإلهي. بالطبع لم ينته كتاب الخلاص بالبشارة لأنه يشمل عمل الله على مر العصور وفي تاريخ الكنيسة كله. لكن موضوعنا يقف عند هذا الحد، حد عيد البشارة الإلهي.

يا أيها الأحباء، جدير بنا في هذا العيد أن نتجاوز ظواهر العمر فوراءها طبقة ثانية من الظواهر وأن نتجاوز أحداث الحياة فوراءها أيضا أحداث من نوع

آخر. يجب أن ننفذ إلى ما هو أعمق وما هو أبعد. أما قال لنا الكتاب إن الله يعمل في الخفاء؟ علينا أن نخترق قشرة الأمور لنصل إلى الخفاء وهناك نجد نور الله يشع. فالتاريخ تاريخان والزمن زمنان.

وأقول شيئاً آخر: أُم كانت واسطة الخطيئة وأُم هي واسطة الخلاص. فليفطن الناس: الرجال والنساء فليفطنوا أن في الكون أماً. فليفطنوا أن الأمومة غاية في السمو. فليفطنوا أنه ما كان ليفتح باب الخلاص ضمن الإطار البشري بدون قول إحدى الأمهات: إني أرتضي نفسي أداة للخلاص فأحبل بالمخلص وألد المخلص.

أيام كان ينظر إلى الأم في كنيستنا من خلال المجتمع المتخلف وكأنها ألعوبة وسلعة في يد الرجل قد انقضت إلى غير رجعة، والحمد لله. الأم كائن مقدس وتزيد قداستها إذا ما وعت أمومتها وتممتها. أيام عوملت الأم وكأنها لم تخلق على صورة الله ومثاله هذه الأيام قد ولت ومضت. اليوم الكنيسة نفسها في نظرنا هي أيضاً أم. إنها على صورة العذراء. لذلك فالأم تمتد حياتها لا إلى هذا العالم فقط بل إلى عالم الله بصورة مباشرة. من هنا كان يجب أن يتضافر ما في الأرض من تعزية وما في السماء من قوة لإعانة الأم. كل أم كي تدرك إلى أي حد هي مركزية ورئيسية في الأرض وأمام الرب.

قلت: اليوم فتحت صفحة جديدة من تاريخ الخلاص، صفحة جديدة ومقدمة لميلاد الخلاص. أقول إن هذه الصفحة هي أم. وقلت إن عالمنا مهما اسود فوعد الله وقوله يمحوان هذا الاسوداد.

أكرر أن الأم مهما كانت، بقيت أم ذهبت، استحقت أم لم تستحق فباب السماء فتح لها وبها فتح لنا باب الخلاص.

مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه*

المطران اغناطيوس هزيم

«مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه وليحمل صليبه وينبعني» أن «يكفر بنفسه» معناها أن يحجد نفسه، أن يحجد لها مطاليبها، رغباتها. أن يحجد نفسه في أفراحها وفي أحزانها. فاتّباع المسيح لا يكون بلا ثمن والثمن هو: أنه عندما يبتهج العالم، لا بل عندما يجن ابتهاجاً تستغني النفس المتبعة للمسيح عن ابتهاجها لا بل تصلبه. فيما يهزج الباقون هزجاً صاخباً تكتفي هي من ذاك بأقله. وما يصح في الفرح يصح في الحزن وما يصح في اللذة يصح في الآلام. غير المؤمن يقرع الصدر، غير المؤمن يولول، غير المؤمن يذرف الدموع السخية بدون تأس وبدون تعزية بينما المؤمن الحقيقي مدعو إلى التعالي فوق كل ما في فؤاده من حرقة وحزن ولوعة وأسى فيصلب معظمها ويعيش أقلها ولا يني يسير سيراً حثيثاً في اتجاه مسيحه.

صليب المسيح تألف من خشبتين لا من خشبة واحدة. الخشبة الواحدة تمتد أفقياً وقد أريد لها أن تلتف حول عالمنا، وأن تلف الكرة الأرضية وتحتضن العوالم بأسرها. ولكنها أفقية لا تعرف إلا هذا البعد. والبعد الأفقي أرضي إناني صرف. هذا البعد عندما عرفه الكتبة القدماء المفكّرون من الإغريق مثلاً رأوا فيه العالم دنيا مقلقة لا فرج فيها ولا رجاء فكتبوا ما سمّوه بالمأساة «التراجيديا» وكانوا يفهمون بالمأساة حالات ضيقة لا أمل من الخروج منها. وكانوا يصورون أوضاعاً حياتية أليمة يستحيل على الإنسان الخروج منها لأن الباب

* اللاذقية، الأحد الثالث من الصوم، ١٩٧٥

مسدود. وهذا هو معنى المأساة الأصلي. وقد انسحب هذا المعنى على المسرحيات في كل العصور، هذا إذا كانت نهايتها أليمة.

الصليب يدخل في الوجود عنصراً آخر، إنه الخشبة العمودية. المأساة نراها إذا كنا ننظر إلى الأمور أفقياً فقط عندئذ يبدو كل شيء وكأنه يدور حول نفسه وحول الأرض، والدائرة تنتهي دائماً حيثما بدأت وليس من مخرج. أما خشبة الصليب العمودية فرأسها في السماء، في العلاء مع أن قاعدتها ترتكز في التراب وتتأصل في الأرض. هذه الخشبة رمز لتعليمنا: إن مَن يحمل الصليب لا يحمل فقط شيئاً من النوع الإنساني البشري الأفقي بل الصليب وبصورة رئيسية مما قاعدته أرضيه وسقفه سماوي والمصلوب بين القاعدة والرأس يتصل بكليهما. في الصليب السماء تحمل عن الأرض، السماء تخفف عن الأرض والأرض التي تئن ترفع همها إلى السماء.

«مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني» لأنه إذا حمل خشبته الأفقية لا شك أنه سيرزخ تحتها وقد يسحقه ثقلها وينهار انهياراً.

«مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه»، فليكفر بنفسه، ليست الأرض وحدها ملكاً لنا. فليكفر بنفسه فيما يخص الأرض ويحمل الخشبة المنتصبة فيكون في السماء رأسه وفي الأرض فقط قاعدته.

المؤمن حامل الصليب لا يعرف باباً موصداً يتعذر فتحه. لا يعرف مأزقاً لا يمكن الخروج منه، ولا يعرف مصيبة لا يمكن التغلب عليها ولو بعد حين.

أيها الأحباء، السماء هنا ليست كلمة تطلق شعرياً. الذي يحمل صليبه ويمتد بقلبه مع الصليب أفقياً وعمودياً، هذا أينما التفت يجد تعزية لقلبه، إذا

التفت حوله ألفى الأخوة والأحباء، الأقرباء والمشاركين ووجد من يشاركه حمل الصليب في الإنسانية جمعاء. وإذا رفع نظره إلى فوق علم ما لم يعلم وفهم ما لم يفهم وذلك أن العالم صائر إلى زوال. كل ما في العالم باطل ووجـــه الله هـــو الأوحد الباقي. ونحن نبقى وندوم بمقدار ما نرى ذلك الوجه الإلهي.

عبثاً نركز قيمنا ونركز تقديرنا وتقييمنا، عبثاً نركزها على إنسان أو في مؤسسة أو في بيت ولو كان ذاك البيتُ البيتَ الإلهي الحجري بالـــذات. هـــذه يجب أن لا تمسي في نفوسنا بديلاً من الوجه الإلهي في القلـــوب والأفئـــدة. الله وحده هو الباقي، والصليب يقول هذا القول أيضاً.

إن حمل الصليب أمام إخوتنا هو دعوة لاخوتنا وطلب منهم أن نتعزى باسمهم، أن نتعزى من أجلهم، وأن نجعلهم يشعرون بأننا أخوة لهم وأن نلقـــي بحملنا على أكتافهم كما نلقي بالحمل على أكتاف ربنا وربهم. لذلك لا يليق بنا ولا يجدر بنا أن ننعزل عنهم في مآسينا وكأن ما ألم بنا يخصنا وحدنا. لا الكـــل يشاركون الصليب الذي يعلمنا أن كل عين تنظر إليكم أيها الخراف وأن هـــذه العين هي أيضاً تشارككم الدمع. وأن كل قلب ينبض بالحياة أمـــامكم ينـــبض بحبكم ويتلهف إلى مساعدتكم. الصليب ليس قتلاً للذات قتلاً انتحارياً، بل هو حمل مع الآخرين، مساعدة للآخرين.

في فترة الصوم الأربعيني المقدس كانت الكنيسة الأولى تعد أولئك الذين يستعدون للمعمودية إعداداً كثيفاً بإعطائهم روح الإيمان، بإعطائهم مـــضمون الإيمان وبإعطائهم كلمة الإيمان أيضاً.

اليوم، فليكن الصليب المرتفع أمامنا وفي قلوبنا أمثولة لنا، أفقياً تـــضم الجميع وعمودياً ترفعنا إلى الله ويكون تعزيتنا الكبرى.

الصلاة والصوم علاجنا*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

«أيها الجيل غير المؤمن إلى متى أكون معكم وحتى متى احتملكم». هذا الكلام وجهه المخلّص لجماعة غير عادية، هذا الكلام وجهه المخلّص لتلاميذه بالذات، أي لأولئك الذين قطعوا على أنفسهم عهداً أن يتبعوا المسيح وكانوا بالفعل أول تابعيه.

«أيها الجيل غير المؤمن حتامَ احتملكم» القصة هي أن أحد الشباب المصابين بالصرع لم يتمكن تلاميذ المخلص من شفائه لأن الروح الشرير كان متأصلاً فيه وقد عايشه، منذ صباه، أي منذ سنين، كما يقول لنا الكتاب.

النقطة الرئيسية إذن هي ليس أن ذلك الشاب مصاب بمرضٍ عادي عَرَضي ولكن مرضه أحدث فيه تبدلاً جذرياً وقلب حياته قلباً. أعني أن روحاً شريراً حل محل روحه الأصلي وأمسك بدفة حياته يديرها، يقودها، يرشدها. وبعبارة أخرى شبابنا أصبح فريسة الروح الشرير لذلك يجدر بنا، يا أحباء، أن نذكر الخطورة، خطورة وضع هذا الشاب. طالما المرض عرضي عابر، طالما الشر يهاجم الإنسان من الخارج أي من هنا تجربة، ومن هناك زلة، ومن هنالك سقطة، يبقى الشر سطحياً وضعيفاً إلى حد. ولكن عندما يمسي روح الإنسان بالذات شريراً، وعندما يصبح الشر ناموس الإنسان وقائده، ويصبح الاتجاه

* الأحد الرابع من الصوم ١٣/٤/١٩٧٥

الأساسي في حياة الإنسان، فالأمر يصبح شديد الخطورة. هذا الشاب المصاب وصل به الأمر إلى هذه الدرجة من الخطورة، وكان وضعه غاية في الصعوبة. هذا معناه يقول الإنجيلي إن هذا الشاب لا يحتاج فقط إلى إصلاح بسيط، أو إلى ترقيع. إنه يحتاج إلى حل جذري، إلى أن ينتزع منه روحه الشرير ويعود إليه الروح السليم وبالتالي أن يتغيّر مجرى حياته بكليته.

إذن نحن في صدد حاجة إلى تغيير كلي في إنسان ما وهذا هو قلب موضوعنا. أمام عظائم الأمور تكشف مقدرة الإنسان. أمام هذا الأمر العظيم، أمام هذا الأمر الجلل لم يتمكن تلاميذ المسيح من فعل شيء، فوقفوا عاجزين. والسر في عجزهم، كما قال المخلص، أنهم لم يؤمنوا. السلاح الذي به نحارب الأرواح الشريرة ليس بسلاح لهو أو تسلية، إنه سلاح ندفع ثمنه غالياً وقد نضطر في سبيل الحصول عليه أن ننقطع عن أكل، عن مشرب، عن ملذات، وأن ننصرف عن هذه كلها إلى حوار مع الله مباشر. بدون هذا الانقطاع وبدون هذا الحوار لن يكون إيماننا قوياً كفاية وبالتالي لن نحوز السلاح والمعدات للنصر على الأرواح الشريرة، وإذا لم يكن إيماننا قوياً بما فيه الكفاية فلا يمكننا أن نستأصل روحاً شريراً ونُحِلَّ محله روحاً صالحاً.

كثير من الآباء، وعدد من الأمهات، عدد من المعلمين، عدد من المسؤولين عن التربية والإرشاد يتذمرون من أنهم لم يتمكنوا بطريقة ما علمية أو غير علمية أن يطردوا آفة من نفوس بعض أبنائهم وتلامذتهم. الحقيقة أنهم لن يتمكنوا إذا لم يدفعوا الثمن. يطلبون من أبنائهم، ويطلبون من تلامذتهم أن يدفعوا ثمن التقويم والإصلاح والسلوك مسلكاً سوياً. وأما هم، فالمطلوب منهم أن يدفعوا ثمن الفعالية في التربية، والمقدرة على انتزاع النجاسة من النفوس، وأن

يدفعوه تقشفاً في عيشهم، بساطة في حياقم، وحواراً مع الله مباشرة، هم أنفسهم لا يعملون هذا ولا يفقهون ذاك، ولا يهمهم هذا، ولا يهمهم ذاك. من هنا الهم سيكون آباءً وأمهات ومعلمين فاشلين.

في منتصف الصوم الأربعيني المقدس تذكير لنا، أيها الأحباء، لأن الوضع الذي عاشه أبو ذلك الصبي هو وضع عام وليس خاصاً، وأن وضع الصبي من حيث أنه مريض يحتله روح شرير، هذا الوضع ليس سوى صورة عن الكثيرين من الآباء والأقرباء، وعن أنفسنا نحن، وقد عايشنا الروح الشرير.

الصوم الأربعيني المقدس في انتصافه، يذكرنا الإنجيل المقدس بأنه علينا أن ندفع الثمن كي نُعطى المقدرة أن نعلم ونرشد ونوجه وتغدو كلماتنا لأولادنا مسموعة، ويصدق أولادنا أننا بالفعل نريد لهم الخير. وإلا فحوارنا معهم «حوار الطرشان» أو هو «الغناء في الطاحون».

تأملوا هذا، يا أحباء، تأملوه. وبدون هذا الثمن، بدون هذا الحوار مع الله لن نستطيع شيئاً لأن الاستطاعة للمؤمن وحده.

سراج الجسد العين*

المطران اغناطيوس هزيم

«الكأس التي أشربها تشربانها، وبالصبغة التي أصطبغ تـصطبغان. أمـا جلوسكما عن يميني وعن يساري فهذا فقط للذين أعد لهم».

من هم الذين أعّد لهم هذا المركز؟ اللذان كانا يكلمان المخلـص همـا تلميذان، هما من أقرب المقربين إليه، لا بل بينهما من دعي «التلميذ الذي كان يسوع يحبه». التلميذان هذان هما بالذات من طلبا إلى يسوع أن يسيرا معـه في طريق آلامه حتى النهاية شرط أن يجلس الواحد منهما إلى يمينه والآخر إلى يساره في ملكوته. لم يعطهما المخلص وعداً ولكنه أطلق هذه الجملة التي تحتمل أكثـر من تفسير «لقد أعطي اليمين واليسار لمن أعّد لهم».

المفهوم الأول: إنّ لله الآب حكمة مسبقة في الأماكن التي تعد في السماوات من أجل خائفيه أو من أجل خلائقه وليس لي أن أتدخل في حكمة أبي ومقرراتـه السابقة.

المفهوم الثاني: إن الله الآب لم يحدد مسبقاً من يجلس عن يمين الآب ومن يجلس عن يساره في السماوات وخصوصاً أنه لم يحصر هذه الأمكنة بالـذين كـانوا مقربين من المخلص بل ترك الباب مفتوحاً لكل من يرى الله أنهم أهل لها.

أحببت تفسير هذه الجملة كي نصل إلى صلب موضوعنا الحقيقي هذا الصباح. فالجواب المفتوح الذي أعطاه المخلص يعني لنا أنه لا يمكن لأي مؤمن

* اللاذقية، الأحد الخامس من الصوم ١٩٧٥

يريد ويتمنى ويشتهي أن يكون قريباً من مخلصه، أن يعتبر مجرد قربه من الـرب على الأرض يؤهله آلياً لاحتكار السماوات أو يعطيه في الملك السماوي حقـاً مشروعاً دون غيره من البشر الذين ولدوا والذين لم يولدوا بعد. وبما أننا مـن المؤمنين – على ما نتمنى – فالخطاب موجه إلينا أيضاً يا أحبائي.

يا أحباء، الصلاة والصوم والتقرب من الأسرار الإلهية كلها ضـروري ومهم ولكن هذا لا يعني أنها تفرض على الله فرضاً قبولنا بصورة حتمية، وهو لا يعني أننا بصيامنا وصلاتنا نقيد حكمة الله ورؤيته العميقة بما نحن فاعلون مـن أعمال تقوية. فما يراه الله هو غير ما نراه نحن. وهاكم مثلاً: مريم المصرية الـتي نذكرها اليوم تقلب عليها الرجال على هواهم، هي زانية محترفـة وعريقـة في الزنى. اليوم نصلي مع زانية في مقدمة الزواني، هذه الزانية نعرف عنها، كما قال المرنم، إنها أصابت تحولاً في حياتها فاستبدلت لباس الزنى والعهر بلباس العـرس للمسيح وهكذا انتقلت حياتها من وهدة الذل إلى منتهى الكرامة. وهذا يعني أن هذه المرأة لم تكن على ما كان يظنه دافعو ثمنها بل كانـت لله يـد تعمـل في داخلها ولقد كانت عين الله تنفذ إلى ما بعد الحجاب الخارجي المتهتك الـذي كان يلف داخل هذه المرأة وأعماقها.

أيها الأحباء، لا نتوهمن ولا نرضين بما تمليه علينا مظاهر النـاس مـن أحكام عليهم. فكم جسداً تدنس يضم في طياته روحاً لم يفقد نقاوته، وكـم جسداً «طاهراً» يخفي روحاً لا أوسخ ولا أردأ. فالكل ليسوا خطـأة بالجـسد بالضرورة لكن الكل الكل خطأة بالروح والنفس والأعماق بما لا يقبل الشك. «لا تسرق، لا تزن، لا تشهد بالزور». نعم، يا أحباء، ولكن العين التي لا ترى في الناس إلا السوء عين شريرة كافرة، والفكر الذي لا يحيك إلا الشر على هذا

وذاك من الأخوة أو هذا وذاك مما في الوجود، هذا الفكر هو فكر جاحد مخالف لكل الوصايا الإلهية. النية مرآة النفس والغريب أن نياتنا تميل دائماً إلى الفكر الشرير. نذكر هنا قول الكتاب: «سراج الجسد هو العين» و«من فضلات القلب يتكلم اللسان» و«رُدَّ عيني لئلا يشاهدا باطلاً».

كم من الناس الذين لا يخالفون الوصايا والأعراف يسلكون ظاهرياً المسلك الحسن ولكنهم مجبولون بالزائف والمصطنع والكاذب؟ كم من الناس تخلو قلوبهم من المحبة والوداد، من الإخلاص والوفاء؟ كم من الناس لا يعرفون غفراناً ولا يتسع صدرهم لصفح أو عفو وخصوصاً على من لحقتهم الخطيئة بشكل مكشوف؟ كم من الناس ينسون أن يتأنوا عند إصدارهم الأحكام على إخوتهم قائلين في ذواتهم «تمهل» فعين الله غير عينك وفكره غير فكرك يا إنسان، وحذار أن تعاقب حيث يكافئ وتقسو حيث يرحم؟ إنتبه، إنتبه فإن الزانية نفسها المحترفة انتقلت من حضن مشتريها إلى حضن ربها مباشرة فيما نحن لا نزال في منتصف الطريق، لقد سبقتنا.

لذلك، يا أحباء، الذي أعد لهم المكان عن يمين المخلص وعن يساره هم جماعة ممن شملت التنقية ليس فقط أجسادهم بل نفوسهم بالذات. التنقية في النفوس إلزامية وخصوصاً تنقية القلوب التي غالباً ما تبقى مشحونة بكل خبث وبكل دنس. بالفعل أقولها أمام الله: ويل لنا يوم يفتح الله هذا الصدر، صدري وصدرك ويكشف عن قلوبنا ويفضح ما فيها مما خفي واستتر.

أمثولتنا اليوم: الله يرى غير ما نرى لذلك لا تفرحوا فقط بجسم نظيف، نقي، طاهر، افرحوا به إذا كانت تسكنه نفس طاهرة، قلب طاهر وإذا كان بالفعل هيكلاً لله.

الأطفال أمانة عندنا*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

هذا اليوم المقدس المبارك يتخذ عيدنا طابعه المسيطر، طابع الأطفال. وفي الدورة «كما رأيتم كان الصليب المقدس يتقدم أطفالنا ويُقَدَّم لهم للتقبيل والتبرك. وكان الآباء والأمهات، هذه المرة، يحملون أولادهم ويقتربون بهم أكثر فأكثر من الصليب المكرّم كي يُقبّلوه ويتبركوا بنعمته. في هذا الوقت بالذات كنت أفكر كيف أننا نحن أيضاً نواكب الرب في مسيرته من بيت عنيا إلى أورشليم. ماذا كان في بيت عنيا؟ في بيت عنيا صديق للرب كان قد مات فجاء الرب وأقامه من بين الأموات، فكان أن اليهود الذين لم يؤمنوا بيسوع رباً وسيداً ومسيحاً، هؤلاء عندما شاهدوا المعجزة انفتحت قلوب بعضهم وبدأ الإيمان يدب في نفوسهم فهلعت قلوب رؤسائهم لأن يسوع أمسى خطراً على المجمع بالذات وعلى الهيكل وعلى الجماعة اليهودية برمتها.

خافوا أن يفرغ الهيكل من العابدين وأن ينسحب من المجمع من كان مشتركاً فيه فجاء الرؤساء وبدأوا يكيدون لابن البشر، راحوا يضربون أخماساً بأسداس، ماذا يجب أن نفعل كي نزيل هذا الذي يضر بهيكلنا؟ كيف يمكننا أن نبعده؟ وشرعت الدسائس والمؤامرات، وبدأت الترتيبات ليؤخذ ربنا يسوع المسيح مخفوراً ويعلّق على الصليب فدية عن العالم.

* اللاذقية، أحد الشعانين ١٩٧٥/٤/٢٧

ماذا خلّف الرب يسوع المسيح في بيت عنيا؟ لقد خلّف يسوع موتاً مؤقتاً وقيامة مؤ ة. في بيت عنيا لعازر مات لثلاثة أو أربعة أيام، ثم قام. وها المسيح الآن يسير في اتجاه أورشليم، في اتجاه القدس الشريف. ولكن ماذا ينتظره بعد أيام في القدس الشريف؟ ينتظره أيضاً موت وتنتظره قيامة ولكن هذا الموت من نوع آخر والقيامة من نوع آخر أيضاً. إذاً التحرك بين بيت عنيا إلى أورشليم تحرك من موت إلى موت ومن قيامة إلى قيامة. لكن الموت والقيامة الأولين كانا مؤقتين. أما الموت والقيامة الآخر م عنهما في حينه.

لماذا يا ترى نذكر الأطفال بصورة خاصة في استقبال يسوع؟ لماذا ذكر الإنجيل الجموع بدون تخصيص بينما نحن نخص الأطفال بهذا العيد؟ لا شك بأننا نذكر الأنبياء ونبواءهم: «من أفواه الأطفال والرضع أصلحت تسبيحاً». النص الإنجيلي ذكر الجموع الغفيرة من البالغين التي واكبت المخلص. والنبوة لم تركز على مشاركة البالغين في الموكب بمقدار مشاركة الصغار.

نعم، المشهد نفسه الذي تشاهدون في هذه الكنيسة كان يؤلّف موكب يسوع: هذا يسير أمامه، وهذا يسير وراءه، وهذا يضع أمامه ما تيسّر قطعة قماش أو ثوباً أو غصناً من أغصان الشجر. إذا كان الكبار والصغار، وخصوصاً الصغار بمثابة الجنود الذين ساروا أمام المخلص فلا عجب أن نركز اليوم في عيدنا على الصغار الذين هم أيضاً أسهموا في الدورة دورة المخلص. كنت أتصور، يا أحباء، ونحن ندور: ان الرب، مرموزاً له بصليبه، يسير أمامنا وكنت أتصورنا نخاطب أولادنا هكذا: يا ابني تزيّن، ألبس أجمل ما عندك وأفضل ما لديك، احمل الزهر إشارة للبهجة، وأضئ الشمع إشارة للنور لأن الموكب الذي تستعد للسير فيه موكب ابتهاج وموكب نور. تصوروا أننا نسير وهؤلاء

الأطفال هم موضوع بهجتنا. هنا ألفتكم إلى أمر خاص وهو أن أطفالنا ليسوا هم موضوع بهجتنا بحد ذاتهم لأننا نراهم كل يوم، نراهم في بيوتنا، لكن ابتهاجنا بهم لأنهم يسيرون في موكب الرب. ابتهاجنا اليوم أنهم يربطون صحتهم وجمالهم وبهجتهم ونورهم بما للرب يسوع الذي هو سائر أمامهم. هذه هي النقطة التي أود أن ألفتكم إليها.

من أجل مسيرة المخلص اليوم، يا أحباء، اشتغلت الأمهات كثيراً، اشتغل الخياطون، اشتغل الحلاقون، اشتغل كل من يمكن أن يزيّن ويجمل. الكل اشتغلوا من أجل هذه الساعة وهذا له معناه. هذا معناه يتجاوز هذه الدقيقة دقيقة «الدورة» ويتجاوز الساعة التي قضيناها نسير في الكنيسة مقتفين خطى الرب سائراً أمامنا تحت شكل صليب.

اليوم ألفت أمهاتنا إلى هذه الناحية: صورة مسيرتنا اليوم هي أننا عندما ندور، عندما نلبس، عندما نتزين، عندما نأتي إلى الكنيسة: غايتنا واحدة، هدفنا واحد هو شخص المسيح يسوع بالذات، الذي إياه لبسنا ومعه ننتقل من موت إلى موت، ومن قيامة إلى قيامة.

أمهاتنا اليوم لم تقف مسؤوليتهن عند أطفالهن الذين قدموا لكي يأخذوا البركة، عند حد الزمن الذي تستغرقه الخدمة الإلهية. إنها الآن فقط بدأت كما أنها كانت قد بدأت في ساعة المعمودية.

أيتها الأم العزيزة: كوني أماً لطفل مسيحي. فكثيراً ما تكونين مسيحية كما تعتقدين، ولكنك أم لطفل غير مسيحي وابن غير مسيحي.

أيها الآباء، عهد في أعناقكم وعلى أكتافكم. أولادكم عهد عليكم أمام

الرب في يوم مسيرته، أن يكونوا منذ هذه الساعة من الذين يضعون الرب هدفاً إن أكلوا أو شربوا أو صلّوا، أو تنزّهوا.

الصورة التي أود أن يبقيها كل واحد في ذهنه وأمام عينيه اليوم هـــي: يسوع أمام ابني، أمام ابني على الدوام لا في الكنيسة وحدها. وعليّ أنا كـــأب وكأم، وعلينا كآباء ومرشدين أن ننبهه بلا انقطاع قائلين له: يا ابني هذا الذي تسير في ركابه وجّه نظرك إليه دائماً فهو سيّدك.

والخطأة أيضاً يخلصون*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

اليوم العظيم هذا نجد معناه في صلواتنا. لا ننسيّن، أيها الأحباء، أن مأساة قد حصلت لنا يوماً ما في الفردوس. هذه المأساة ما كان الله ليريدها أن تستمر. في البستان هنالك سيدة هي أم كل واحد منا بدون استثناء. هذه السيدة أخذتها التجربة بشجرة، بغصن، بعود. هذه الشجرة كانت بمثابة وعد للإنسان آدم وللإنسان حواء أن يصبحا كإلهين. كانت النتيجة كما نعرف أن الإنسان طَالِب الألوهة سقط واستطراداً فنتيجة كل إنسان يطلب أن يؤلّه نفسه السقوط، وكلما توهم نفسه إلهاً تدهور. مما يدعو الإنسان أن يتعلم من هذه المأساة الكبرى أنه لن يحل محل الإله، لن يحل محل الخالق ولكنه على العكس يجب أن يكون دائم التواضع، أن يكون دائم الاعتراف بمحدوديته. اليوم نحن نعيد للمائت العظيم، الذي هو أيضاً امرأة وَلَدته، هو أيضاً في بستان دُفن، هو أيضاً بواسطة عود، بواسطة خشبة تماماً كما حصل في المأساة الأولى بواسطة هذه الخشبة سَجّل الخلاص للعالم.

كل قائل بأن الإنسان هو إله نقول له: لا. ولكن القائل بأن الإنسان عبد لمحدوديته، عبد للضعف البشري ومقدر له أن يبقى دائماً حيث كان، وبالتالي أن يتحجر ويتقزز وييأس، هذا القائل نرد عليه أنت مخطئ يا صاحبي. فإن ما ذهب إليه كان صحيحاً ولكن في زمن مضى. هذا كان صحيحاً قبل أن

* اللاذقية، الجمعة العظيمة ١٩٧٥/٤/٢

تتنازل الألوهة نفسها من أجل الإنسان. هذا كان صحيحاً عندما كان خصام بينه وبين القوة العظمى، بينه وبين الخالق. أما منذ هذه الساعة التي لذكراها نعيد، نحن نعلن أن الإنسان لم يعد وحده. نحن نعلن أن الإنسان أصبح حبيب الله. أصبح المقرّب إليه ولذلك فلن يقف في طريقه شيء ولن يحول شيء دون وصوله إلى مرتبة النعمة الإلهية.

نعم، نحن نشعر بأننا خطأة ولكننا لا نسمح لشعورنا هذا أن يُبَرِّدنا ويجمدنا ويميتنا. هذا شأن اليائسين، هذا شأن الذين لا يدركون عظم التضحية التي تمت من أجلهم وعزيز الثمن الذي دفع من أجل تحريرهم. شأننا أننا نعرف أن كل خطيئة وإن وقعت تدفعنا بالإيمان خطوة جديدة على طريق الله وفي معارج التقدم وسبيل الابتهاج. نحن ليس أمامنا مدى محدود ولا وقت محدد. المسيح اليوم على خشبة الصليب فتح الآفاق ووسعها إلى ما لا نهاية وجعل كل واحد منا طاقة جبارة من الأمل والرجاء. لذلك فذكرى هذا العيد يجب أن تزرع وتُفرع في القلب وفي الأعماق. الذي يخرج من هذه الكنيسة وقلبه خالٍ، خالٍ من الأمل، خالٍ من الرجاء، خاوٍ من تذوق الفرح المسبق. إن القلب الذي لا يتفجر عزاً بالنصر على الخطيئة فيه وفي العالم وعلى كل مظلمة وعلى جور وكل سوء. هذا إذا خرج اليوم من الكنيسة دون التزود بهذه كلها فلن يكون له عيد.

يا أحباء، جدير بكل منا عندما ندور نحن في الكنيسة ويقترب جسد الرب من المصلين، وجسد الرب أقرب إلينا مما نظن لأننا نتناوله في القربان المقدس. عندما يمر جسد الرب بكم أرجوكم أن تفتح القلوب ليمر الرب لا بجانبنا أعني سطحياً ومن الخارج بل في هذا القلب القاسي المتحجر هذا القلب

الذي لا يؤمن إيماناً كافياً ولا يحب محبة كافية وبالتالي لا يضحي تضحية كافية.

عندما يمر هذا الجسد على الأقل فلتهمس الشفاه قائلة: «يا رب جُزْ في نفسي. يا رب طهر هذا الداخل، هذه الأعماق وهذه الأحشاء». عندئذ يخرج كل واحد منا مباركاً بالمسيح مبتهجاً به.

لقد صوّر الرسول المسيح بالخميرة. الخميرة تدخل بصمت ولكنها تتخلل العجنة كلها فتخمرها. هكذا فليكن عبور المخلّص بقرب كل واحد منا.

نحيا ونخلد بالمسيح*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

في المقطع الذي سمعنا من الرسالة كانت الجملة الأولى: «الكلام الأول الذي أنشأته يا ثاوفيلس». وفي الإنجيل الشريف سمعنا أيضاً التلاوة تتحدث عن البدء: «في البدء كان الكلمة». الكنيسة الإلهية في هذا العيد تدعونا إلى أن نعتبر أن كل ما مضى مضى، وأن كل آت جديد. وأن هذا اليوم هو يوم ابتداء، لا يتأثر بما قبله ولكنه هو شرط لما بعده. قبل هذا اليوم موت، بعد هذا اليوم حياة. هذا هو معنى عيدنا بالذات.

في الأسبوع الماضي عندما كنا نعيد لقيامة لعازر سبق أن ذكرنا الكتاب وتذكرنا في الخدمة الإلهية أننا خلال أسبوع الآلام سنرافق ربنا يسوع المسيح من موت إلى موت، ومن قيامة إلى قيامة. الموت الأول هو موت لعازر، والقيامة الأولى قيامة لعازر أما القيامة الثانية فهي قيامته هو التي لها نعيد اليوم. لعازر مات وكلنا نموت ميتة لعازر. بعد الخطيئة أصبح الموت الذي هو انفصال عن هذه الحياة، ومرور إلى الحياة الأخرى ناموساً طبيعياً، ليس فيه ظلم لأنه يساوي الكبير بالصغير، يساوي الشيخ بالشاب، يساوي كل خليقة إنسانية بكل خليقة بشرية أخرى. إنه ليس قصاصاً لشخص دون الآخر لأنه لا يطال المجرم والمذنب فقط، بل يخضع له القديسون والبررة أيضاً.

* اللاذقية، عيد الفصح ١٩٧٥/٥/٤

وقد عيدنا للشهداء وللقديسين الذين فدوا إيمانهم وقيمهم بأرواحهم وماتوا. هذا الموت يلف الإنسان لفاً ويكتنفه اكتنافاً ويأخذه من هذا العالم ويجعله يغيب ويغيب.

مشكلة الإنسان أنه عندما يصل إلى هذا الموت ويفكر بانتقال شخص إلى العالم الآخر انتقالَ لعازر تضيع مفاهيمه، تتوقف معارفه، تسدل الظلمات حجبا على عقله وعلى نفسه. وهذا هو الواقع. الذي حصل فقد أحب المسيح في حادثة لعازر أن يخبرنا بأننا نملك معلومات عما بعد الموت وهذه المعلومات تأتينا أولاً وأخيراً عن طريقه هو وبواسطته هو. أعطى المثل عندما قال لألعازر: قم. إقامة لعازر تختلف عن قيامة الأموات الآخرين – أرملة يايين مثلاً – لعازر وحده بقي في القبر أربعة أيام. لعازر أنتن. فلم يكن إنسان في الوجود يفكر بأنه سيقوم ولو بالسحر أو بالطب أو بالتنويم المغناطيسي، أو بأية وسيلة من الوسائل التي أصبحنا نذكرها اليوم. لم يكن إنسان في الوجود يعتقد أن هذه يمكن أن تفعل فيه. وعندما وقف الإنسان عاجزاً أمام الحدث، أتى المخلص ليقول كلمة واحدة فقط: قم. ويقول لنا الكتاب: إنه عندئذ قام من بين الأموات.

هذه الصورة التي سنحفظها لموضوعنا الأصيل لهذا الصباح.

ماذا حصل بعد أن قام لعازر؟ لعازر مات. أين لعازر؟ أيضاً هو ميت.

إذاً كانت قيامة لعازر هي عبارة عن إعادة حياة دون تعديل في هذه الحياة. وكأن لعازر ولد ولادة من جديد، وعاش عمراً محدوداً كي يعود فيموت ميتتنا جميعاً.

أذكر أنني قلت مرة اعتماداً على آبائنا القديسين: «إن جسدنا وحده لا

يشمل ولا يحتوي عناصر الحياة الأبدية». جسدي يموت، كلنا يعرف ذلك. إن أنفسنا ليست في حد ذاتها أبدية. القيامة تأتي بجهد جديد من الخالق ، وليس بسير الطبيعة بحد ذاتها. لو كانت في سير الطبيعة بحد ذاتها فلماذا توقفت الدراسات التي هبت في وقت من الأوقات تريد للإنسان أن لا يموت. طَعَّمُوه، أعطوه من الأمصال، وما إلى ذلك. هذا كله توقف. ذلك أننا نعرف، وأمسى كل إنسان يعرف أن الإنسان في حد ذاته مائت، في شخصه هو مائت. إذاً قيامة لعازر كانت مؤقتة، وموته هو كان الأمر الطبيعي. لذلك بدأت حياته هكذا: كان عائشاً. ثم مات. ثم قام. ثم مات. أما المسيح، أيها الأحباء، المسيح الذي نعيد لقيامته اليوم: عاش. مات. قام. لم يمت. ألعازر عاش مؤقتاً. والمسيح لا يعيش مؤقتاً، ولكنه يعيش دائماً وأبداً كما نقول. نحن لا نصلي لإله ميت، ولا نصلي لآلهة متحجرة، لمومياءات نعبدها. نحن نصلي لإله حي فعال. وكما أن المسيح بدأ بلعازر يقول كلمته: يا لعازر قم. فقام لعازر. كذلك فهو ليس فقط يقوم في شخصه، ولكنه يعطي القيامة ويبدأها. إنه ينبوع القيامة. وإذا كانت البشرية مدعوة لقيامة فبقيامة المسيح بدأت قيامتها. نحن نؤمن أن المسيح فتح الدرب واسعاً. نحن نؤمن أن المسيح قال كلمته ولذلك فلم نعد بعد أولاداً للموت، والعالم لم يعد ضحية للهلاك. العالم لم يعد مدعواً إلى الفناء. العالم عالم الحياة، والبشرية بشرية حياة. الحياة أمامنا ونحن مدعوون إليها في كل ساعة. والحياة يا أحباء ليست في العالم الخارجي وحده. الحياة التي نحن مدعوون إليها هي فينا أيضاً.

«قيامة المسيح»، قال بعض العلماء الفيزيائيين، إنها موجودة في الخشب، في الحجارة، في هذا الضوء، في كل ما في الأرض هي موجودة. لذلك فالطبيعة

تلبي أكثر فأكثر ما هو ضروري، وما هو حيوي. ونزيد فنقول: إن قيامة المسيح إن لم تأت إلى قلب الإنسان فباليد التي يعمل فيها الله إيجاباً يهدم الإنسان ما عمل الله، إذا لم تكن القيامة قد دخلت قلبه. «القيامة» نحن نؤمن بأن الخشب يحس. بأن الحجارة تحس. بأن هذه الأرض التي نسير عليها في يوم من الأيام قد تنفتح وتطير. ويجوز أن من تراب هذه الكنيسة ينهض قديسون دساهم آلاف المرات دون أن ندري.

نحن اليوم نعيد لعالم آخر، ولكن مأساة القيامة كما صورها يوحنا: «العالم فيه كان، العالم به كون، العالم لم يعرفه» لم يعرفه عن جهل أو لم يعرفه عن محاربة. حورب المسيح ويحارب. وكثيرون لا يعرفون من هو المسيح فهم عن جهل يحاربونه، وكم رجوت أبناءنا وشبابنا بصورة خاصة أن يرحموا ربهم فلا يظلموه إلا بعد أن يعرفوه. فإذا استحق الشتيمة فليشتم وإذا استحق الصلب ثانية فليصلب. ولكن لنكن منصفين. فالناس لا يعرفونه. «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله». إلى الذين أحبهم ، إلى الذين قال لهم منذ البدء أنتم أبنائي إلى الذين قال لهم: «ليس من حب أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه في سبيل من أحب» أنا لكم أبذل نفسي، ومن أجلكم. هؤلاء بالذات قالوا له: لا أنت مرفوض.

أيها الأحباء «قيامة المسيح» هي بدء. نقطة انطلاق. اندفاع. نعرف أوله ولا نعرف آخره لأنه ليس له آخر.

قيامة المسيح هي أملنا في العالم بأسره. لذلك فالعالم يجب أن يعمل. المعلم يجب أن يعلم، المسؤول يجب أن يقوم بمسؤوليته ، فالعالم ليس جاحداً. الطبيعة لا تتنكر لمن يعمل فيها عملاً حقيقياً خالصاً، ففيها بذرة الخلاص

بالمسيح. وإيماننا أن هنالك من ذراته ما يكفل تقدماً وحياة.

لا يجوز أن نتكاسل بعد أو أن نتقاعس وفي نفوسنا بلغنا، وقد أتيح للإنسان أن يبلغ دركات لا يمكن لأي كائن آخر على الأرض أن يبلغها. المسيح أعطى كل إنسان بذرة الحياة والخلود.

المسيح قام. حقاً قام.

الإيمان قوة تحرك الإنسان*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

العظيم في الشهداء جاورجيوس اللابس الظفر كان منذ مئات السنين في هذه الكنيسة وفي سائر الكنائس رمزاً وصورة للجندي الباسل الذي يدافع عن إيمانه حتى الموت. ومركز الشهداء في كنيستنا غني عن التعريف. البعض يتذمرون من كثرة الشهداء والقديسين الذين نعيد لهم في كنيستنا المقدسة، هؤلاء لا يفهموننا. الكنيسة التي ليس فيها قديسون والتي ليس فيها من يموت في سبيل إيمانه ليست كنيسة. المخلِّص لم يكتف بأن يبقى مخلِّصاً بالروح لكنه أخذ عجينتنا، أخذ طبيعتنا الإنسانية وعاش بيننا. كذلك الكنيسة والإيمان إذا بقيا حبراً على الورق، إذا بقيا كلاماً بكلام و لم يتخللا حياة الكثيرين ليجعلاها حياة مكرسة مقدسة بالرب يسوع، هذه الكلمة الإلهية لن تكون فعالة، والكنيسة لن تكون كنيسة، ولو بقي المخلص روحا لما كان عندنا صلاة للرب يسوع.

إذاً القديسون الشهداء هم البرهان الملموس الحي على أن الإيمان المسيحي ليس نظريات، هم البرهان على أن الإيمان المسيحي ليس فقط للملائكة أو لبشر من غير طبيعتنا. هؤلاء يدلون على أن إيماننا المسيحي هو أيضاً وبصورة خاصة لجماعة من لحم ودم، لجماعة عندها مسؤوليات في هذا العالم، ويطلب إليها أن تعيش في هذا العالم عيشا أصيلاً، صحيحاً، مستقيماً.

* اللاذقية، عيد القديس جاورجيوس، ١٩٧٥/٤/٢٣

الشهيد هو الشخص الذي يعلمنا أن الإيمان ليس عواطف بالمعنى العادي للكلمة، يعلمنا أن الإيمان ليس خطابات وأنه ليس ترانيم وتراتيل وتغن. الإيمان هو التزام، الإيمان هو عقد، هو ارتباط وهو تعهد بأنك تعطي حياتك للرب يسوع. الإيمان ليس كلاما تطلقه الشفاه بل قوة تحرك الإنسان، تغيره، تطوره، تبدله وتجعل منه إنسانا آخر. الإيمان هو هكذا وإلا فهو كلام بكلام ولغو لا طائل تحته.

القديس جاورجيوس والقديسون إجمالاً يفسرون لنا بوجودهم وطريقة عيشهم كيف أن كلام الرب ليس كلاماً يكتب في كتاب ليوضع على الرف. في كثير من بيوتنا كتاب الإنجيل ولكن الغبار يأكله. ليس من أحد يقرأ فيه ونكتفي من كلمة الرب بما نسمع عنها من الكاهن أو من غيره. أما نحن فلا نواجهها مواجهة مباشرة بل نتركها كلمة فارغة بعيدة عنا.

الشهيد جاورجيوس والشهداء كلهم هنا لكي يقولوا لنا إن الكلمة لا تترك في طيات الكتب ولكنها تحفر في القلوب وإن العالم هزءوا بنا بالضبط عندما أصبحت كلمة الإنجيل في لغتنا لفظاً وكلاماً مكتوباً على ورقة يمكنك أن تمزقها ساعة تشاء وترميها حيث تشاء، ولكن العالم لم يكن يضحك من ذوي الإيمان عندما كان شباهم وشاباهم يتحملون الجلد، يتحملون التعذيب ويقبلون على الموت من أجل المسيح ومن أجل كلمته إقبالهم إلى السعادة. آنئذ فرض المؤمنون احترامهم على الناس وأما نحن فقد خفت جديتنا خف احترامنا عند الناس وعند بعضنا البعض.

تذكار الشهداء هو تذكار نقف فيه لنشاهد تنفيذ الإعدام بحق جمهرة من المؤمنين. لذلك تمثل أمام أعيننا الداخلية المشنقة والسيف والرصاصة ويمثل

أمامنا دم الشهيد يعلن الحق ويصمد عنده. هذا هو العيد الذي نعيده اليوم. إننا نتنعم على أكتاف من استشهدوا ونبتهج بسبب عذاباهم ونتصب للصلاة على بقايا عظامهم التي طحنت من أجل ربنا يسوع. هذا هو عيدنا.

يقول الكتاب: «كلمتكم بهذا كي لا تشكوا، سيخرجونكم من بينهم فتكونون مطرودين» لا بل سيعتقد البعض أنه كلما قتلكم أو عذبكم أو أهانكم فهو يقوم بالبطولات ويزهو عجباً وفخاراً ويرفع التسبيح لآلهته هو على حساب إلهكم. كلمات الرب كانت موجهة للرسل وضمير الغائب يعود إلى اليهود. دعونا – بالقياس – نوسع معنى كلمات الرب: نشاهد اليوم بين نسائنا ورجالنا وشبابنا من يعتقد أنه إذا أمسك بمطرقة واهال بها على رأس الكاهن والمطران ودنس القربان المقدس، أو أخذ فأساً وهب يهدم الكنيسة فإنه بذلك يجترح المفاخر. وهذا ما نراه بأم العين. لا تسمع هنا وهنالك إلا المسبات واللعنات والكفر. المتعلم يبرهن عن إتساع علمه بالتطاول على العزة الإلهية. «المراجل» والعنتريات تمارس أكثر ما تمارس على إلهنا وربنا لم تعد هنالك مرجلة إلا على كنيسة الله وعلى رسول الله وعلى المؤمن المسكين الذي يتخذ من كلمة الله قانوناً لحياته.

نعم ما أكثر من يعتقد بأنه «يخدم» مبادئه ومذاهبه واتجاهاته، و«يخدم» المدنية والحضارة والعلم والثقافة كلما «تنطح» لمحاربة الله والدين والكنيسة والمؤمنين وأمعن فيهم تمزيقاً.

«أما أنتم فقد كلمتكم بهذا كي لا تشكوا» قال المخلص، فلأنه بالضبط هنالك جحافل من الكفار يجب أن تصمدوا ولأنه بالضبط هنالك هجوم على الرب وعلى كنيسة المسيح يجب أن تتحركوا. اليوم يوم المعركة

الروحية حقاً. لا تتوقعوا أنكم ستحملون اسم المسيح للزينة والبهرجة. لا يتسلط عليكم الخيال فإن الحياة من أجل المسيح ليست للمترفه وليست للإنسان عديم الجدية والرصانة والمسؤولية.

«كلمتكم بهذا كي لا تشكوا» وتعييدنا مع القديس جاورجيوس اللابس الظفر وقت جدية، وقت رصانة وقت إعلان الحرب على الكفر والإلحاد واللامبالاة والبرودة في الإيمان. وقت يجب ألا يبقى واحد من المصلين اليوم إلا ويبشر ويكلم ويحدث، حيثما حل، باسم الرب وأن يقول في عائلته كلمة الله الإلهية وأن يذكر أسماء القديسين الذين هم جيش الإيمان. أنا لا أعرف دولة بدون جيش.

أطلب إليكم في تعييدنا للقديس جاورجيوس أن تكونوا جنوداً بالروح متحركين. أطلب إليكم أن تكونوا بالفعل جنوداً حقيقيين لربنا يسوع المسيح. الحجارة كالمطر تنهمر على رؤوس المؤمنين اليوم. الحجارة تنهال رجما في كل ساعة على ربكم وعلى مسيحكم وعلى كنيستكم ومقدساتكم حتى من أبنائكم أنتم. لذلك يجب أن أقول لكم تعبأوا المعركة حامية طويلة، تحركوا فإن الجمود لن يخدم ربنا يسوع المسيح. واتخذوا صورة القديس جاورجيوس وجميع الشهداء الذين وجودهم ثبت الإيمان المسيحي وزرعه في الأرض. ووجودهم خلف لكم كنيسة وأورثكم الإيمان.

لا أتصور أن كنيسة كان يمكن أن تؤسس على إيمان هو مجرد كلام بكلام. الرب معكم.

إني أنا هو*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

سمعنا في هذا الصباح من الإصحاح الثامن من إنجيل يوحنا بعض العبارات التي اعتقد أننا لم نفهمها حق الفهم لورودها في نص صعب، ولأننا غير مؤهلين في كثير من الأحيان لأن نفهم ما حقيقة معناها. الجملة التي أود أن ألفتكم إليها هذا الصباح قصيرة جداً وردت مرتين في هذا المقطع وهي تقول: «إذا لم تؤمنوا إني أنا هو تموتون في خطاياكم» وقد أتت في مكان آخر: «تعرفون إني أنا هو». عظتنا اليوم تدور حول هاتين الكلمتين: «أنا هو» اللتين وردتا في هذا النص الإنجيلي المبارك، ولكن لا بد من وضعنا في الجو العام فيما يتعلق بمثل هذه التعابير حتى نصل إلى معناها الدقيق.

يوحنا الإنجيلي فهمه الناس بطريقتين مختلفتين لأنه استعمل بعض العبارات وفي رأسها عبارة الكلمة «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله والله كان الكلمة». لأنه استعمل هذه الكلمة وهي ذات مفهوم خاص باللغة اليونانية. أعتقد البعض أن الإنجيلي يوحنا هو الإنجيلي اليوناني، واعتقد البعض وهم فئة أخرى من شراح الكتاب المقدس: اعتقدوا أنه بالرغم من استعمال «الكلمة» عند المفكرين اليونانيين لم يخرج عن كونه إنجيلياً يفكر بالطريقة العبرية، وأنه بالتالي من العبرانيين ويتحدث إليهم بالدرجة الأولى. واستشهدوا على ذلك بأن يوحنا يستعمل الأفعال وأكثرها من فعل الكون. كان. حصل.

* أسبوع حاملات الطيب لسنة ١٩٧٥

صار. وبالعربية يستعمل كثيراً الجملة المؤلفة من المبتدأ والخبر «أنا هو» ليس فيها فعل. هذه التعابير موجودة بصورة خاصة باللغات السامية. موجودة بالعربية، وموجودة بالسريانية، وهي أيضاً موجودة باللغة العبرية. ماذا يفيدنا هذا القول في دراستنا لموضوعنا «أنا هو»؟ هذا يفيدنا جداً لأن الاسم «الله» ليس عربياً. هو عبري وللمرة الأولى التي ورد فيها التعريف المليء عن الله كان عندما أعطى الجواب لموسى وقال له الله: أنا – «أنا هو» الذي هو. إذاً هذه الجملة في يوحنا «أنا هو» تعني الله وبكلام آخر يهـ .. نقرأ إنجيل اليوم في هاتين الجملتين بالذات على هذه الطريقة: «لأنكم إذا لم تؤمنوا إني أنا الله متم في خطاياكم» حينئذ «متى رفعتم ابن البشر تعرفون أني الله وأني لست أفعل شيئاً من عندي كإنسان». هذه الكلمة «أنا هو» الحروف الأولى منها هي الحروف التي تكون يهوي أي الله.

أيها الأحباء، كان الحوار بين اليهود وبين المخلص عن من هو، أهم شيء هل هو المسيح الرب؟ هل هو المرسل الإلهي الذي يتساوى بجوهر الله الآب، المنسجم انسجاماً كلياً بإرادة الآب أم لا؟ إذا كان هكذا فهو كل شيء، وإذا كان لا يساويه كلياً فهو ليس بشيء.

عندما كان اليهود يتساءلون من هو ويمتحنونه من خلال الأقوال والأعمال والمعلومات في الناموس، كانوا يقصدون أن ينفذوا إليه ليعرفوا شخصيته. وهل هي شخصية المسيح. شخصية المخلص الذي نحن باسمه موجودون في هذه الكنيسة المقدسة؟ إني «أنا هو» إنه ابن الله الوحيد، إنه ابن الله الأقنوم الثاني المتجسد وليس أقل. ليس بطلاً أو عالماً أو فيلسوفاً، أو رسولاً، أو إنساناً شجاعاً. هو كل هذا وهذا أقل ما يقال فيه. هذا هو الأقل وليس

الأكثر. الأكثر والحقيقة أنه هو ابن الله والوحيد الذي أتى ليخلص العالم. وهو يدلنا على أنه اليد التي تنتشلنا من الظلمة إلى النور. هذه اليد ليست يداً بـــشرية ولكنها يد الله تعالى تعمل معنا.

أيها الأحباء، نظرتنا إلى المخلص من خلال الإنجيل المقدس ومن خلال إنجيل يوحنا بصورة خاصة يجب أن تزداد صفاء يوما بعد يوم. «أنا هو الباب». هذا معناه أنه لا يمكنك أن تدخل إلى الله الآب إلا من خلال الرب يسوع. أنـــا هو الحقيقة. كل ما سواي فانٍ، «وأنا هو الحق». «أنا هو الحياة» كـــل حيـــاة بدونه وَهْمٌ وصورة عن الحياة ورواية تمثل حياة ولكنها ليست الحياة الحقيقية.

اليوم يضعنا الإنجيل المقدس أمام حقيقة الرب يسوع «أنا هـــو» تعـــني النصف الأول من كلمة يهوي التي هي كلمة الله في العهد القديم. وبالتالي «أنا هو» تعني إني أنا الآب والآب فيّ. إني أنا الله والإله الحق آمين.

بالجسد أيضاً نقوم*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

في الفترة التي تلي عيد الفصح المبارك تركز الكنيسة المقدسة على سـر القيامة العظيم. ففي أحد توما سمعنا الإنجيل المقدس يشدد على أن القائم من بين الأموات يقول لأحد التلاميذ: يا توما تعال ضع اصبعك في مكان المسامير، ضع يدك في مكان الحربة، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً. والتركيز في الأحد الماضي، أحد حاملات الطيب كما يذكر المقطع الإنجيلي، أن حاملات الطيب ذهبن إلى القبر ومعهن الطيوب حتى يطيبن جسد الرب يسوع، فلم يجدن ذلك الجـسد. وهذا معناه: أولاً أن القيامة لم تحدث نصفية وبعبارة أخرى: القيامـة ليـست روحية فقط، ولكنها جسدية أيضاً. في القبر ما كان المخلص موجوداً لا بروحه ولا بجسده. وتوما عندما شاهده ولمسه بعد القيامة، لم يشاهد شبحاً، لم يشاهد خيالاً أو روحاً، ولكنه شاهد المخلص بالذات كما عرفه قبل موته وقبل صـلبه ودفنه. تعرف إليه بشخصيته، تعرف إليه بلحمه وعظامه.

قولنا هذا مهم يا أحباء، خصوصاً هذه الأيـام، واللاهوتيـون غـير الأرثوذكسيين في العالم يتساءلون عن سر قيامة المخلص. فالبعض ينكـر علـى المخلص قيامته بالكلية، والبعض ينكر على المخلص قيامته بالجـسد ويكتفـي بقوله: إن المخلص قد قام بالروح فقط، وهذا نتيجته أن البعض منا قد يعتقد أننا سنقوم من بين الأموات لا بالجسد الذي نودعه القبر، ولكن بـالروح لأنـه في

* اللاذقية، الجمعة من أسبوع حاملات الطيب ١٩٧٥/٥/١٦

اعتقادنا: الروح خالد.

اليوم المقطع الإنجيلي فيه جملتان. الجملة الأولى «أقول لكم إن لم تأكلوا جسدي وإن لم تشربوا دمي فلا حياة لكم في أنفسكم». وإذا تصورتم انكم خالدون بمجرد أنكم بشر فأنتم واهمون. مصدر الحياة واحد أحد وهو المخلص بالذات «ليس فيكم حياة في أنفسكم». هذا هو قول الكتاب. كلنا سيموت إذا تُرِكْنا وحدنا. كلنا سيموت إذا لم يمد الله بيده ويمسك بأنفسنا وبأجسادنا كي يعطيها القيامة. كل واحد يموت. الذي لا يتكل على جسد المخلص أكلاً وعلى دمه شرباً فهذا الإنسان لا يخلد. الخلود من الله فقط، وهو عطية منه ونعمة. لذلك نشدد على أن تكون حياتنا، وعيشنا مرتبطاً بجسد الرب ودمه. الذي لا يتناول سيطمر في القبر ويبقى فيه، وهناك سيأكله الدود. الذي لا يشرب دم الرب يسوع هذا لن يكون في قلبه منبع حياة.

«مَن يأكل جسدي ويشرب دمي هذا له حياة أبدية وهذا يخلص، وهذا يتغلب على الدود وعلى النتانة وعلى العفن والفناء. وهو وحده يتغلب عليه وأنا أقيمه في اليوم الأخير».

ليس فينا قوة ذاتية كي ننهض نحن من القبر. نحن بدون الله جماعة مدعوة للنتانة والفناء. الواحد منا، الواحد منكم لا يظن أنه بطريقة سحرية أو آلية يمكنه أن يغلب الموت لا. لا. مثل موت البقرة سنموت. مثل موت الحيوانات سنموت إذا لم يكن الرب هو الذي يقيمنا.

إذن حياتنا بجسده ودمه، وقيامتنا بكلمته وقوته. وبدون هذا ليس من قيامة. وهذا معناه أيضاً، أننا عندما نقول: تعالوا. تقدموا من جسد الرب ودمه وعندما نذكر القداس الإلهي حيث جسد الرب ودمه فهذا قمة ما نفعل. هذا

أعظم ما يمكن أن نفعل في هذا الكون.

عندما نقول هذا القول نعني تماماً أن ما يحدث في القداس الإلهي أي أن نُعطى جسد الرب ودمه. هذا الشيء يعطينا أولاً الحياة وبدونه نحن أموات. ويعطينا ثانياً الخلود وبدون ذلك فحياتنا عابرة. إذن القداس الإلهي: جسد الرب ودمه يعطينا معنى الحياة.

ما معنى الحياة التي تنتهي بالنتانة؟ ما معنى حياة الخروف؟ ما معنى حياة البقرة؟ حياة الدجاجة حياة أي إنسان ما معناها؟ لن تكون حياتنا ذات معنى أعظم من هذا إلا إذا حقناها بالحياة الحقيقية، بحياة الرب يسوع، وبواسطته. ولن تكون حياة حقيقية إذا كان القبر سيتسلط عليها، ستكون حياة حقيقية إذا كان الرب نفسه كما وعد، ينتشلها من ظلمة القبر ومن التراب. نحن مؤمنون بالقيامة، ونحن مؤمنون أن قيامتنا ليس لنا فيها فضل. لا يمكننا أن نغش حتى نقوم، أن نبرطل الرب حتى نقوم، لا يمكننا أن نقدّم أي شيء مقابل قيامتنا. شيء واحد يمكن أن يجعلنا نقوم وهو أن نكون قد أخذنا الرب وهو ينتشلنا وإلا فلا قيامة.

هل هذا معناه أن كثيرين بيننا سيبقى في المقبرة؟ نعم إذا لم يقل الرب كلمته. أقول إذا لم يقل الرب كلمته.

في هذه الفترة من الأعياد نطلب إلى الرب أن يقول هذه الكلمة لتدب فينا الحياة، ولنتغلب على الموت كما تغلّب هو. آمين.

المسيح هو مخلص العالم*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

حادثة السامرية، يا أحباء، تقع في وقت الظهر، وقت العطش، وتقع حول بئر والحديث فيها بدأ عن الماء. إذن هنالك زمن، هذا الزمن، هذا الوقت من الحر يجعل الناس يشعرون بأنهم بحاجة إلى الماء. وهنالك مكان يجتمع فيه الماء، ويقصده الناس عادة كي يرووا غليلهم منه. في هذا المكان الذي يأتيه الناس عادة كي يأخذوا مياها للشرب، بدأ الحديث بين المخلص والسامرية عن الماء: أعطني لأشرب فكان الجواب غريب طلبك فأنت يهودي وأنا سامرية، واليهود لا علاقة لهم بالسامريين! كيف تطلب مني ماء لتشرب؟! عندئذ ينتقل الحديث إلى مستوى آخر فيذكر المخلص نوعا من الماء آخر للسامرية. ظنت السامرية أنه ككل الناس عطشان أو هو يحتاج إلى جرعة ماء من جرتها. قال لها: ليس هذا البئر ينبوع الماء، ليس هذا البئر وليس هذا الماء الذي تشربينه عادة هو الذي يروي، لأنكم معشر البشر بعد أن تشربوا تعودون فتعطشون أيضا. أما الماء الذي أعطيه أنا فهو ماء يتدفق في قلب الإنسان، في نفسه، في داخله من تلقاء ذاته.

وعندئذ جرها المخلص — في هذا الحديث عن الماء الذي لا يروي — إلى أن تتكلم عن الماء الروحي، هذا الماء يطلبه الإنسان إذا وعى حاجاته الحقيقية.

* أحد السامرية، ١٩٧٥/٧/١

واليوم، أيها الأحباء، عالمنا يهاجم الماء الروحي. عالمنا يجعلنا نفكر فقط بالبئر وفقط بالماء الذي يتألف من الأوكسجين ومن الهيدروجين. عالمنا اليوم يجعلنا نركز اهتمامنا بالدرجة الأولى على الماء الذي نشربه الآن فنعطش بعد حين.

الحاجة الروحية: كم هم الناس الذين يشربون كثيرا من مياه هذا العالم، ولكنهم يشكون الجفاف، يشكون القحط، يشكون صحراوية قلوبهم ونفوسهم. هؤلاء حاجتهم ليست إلى ماء البئر، ليست إلى الماء الذي يتكون كما نعرف من عنصرين من عناصر الطبيعة، حاجتهم إلى الماء الذي يعطيه يسوع كي يتدفق في قلوبهم حياة مستمرة، قوة لا تتوقف، اندفاعية لا تحد، محبة لا يشوبها غرور، إخلاصاً لكل إنسان ولكل شيء. هذا الماء إذا لم ينبع في قلب الإنسان أمسى الإنسان لا يساوي إلا جزءاً من الكائن البشري الحق. الذي يعطيني كأس ماء أشكره من كل قلبي، ولكن الذي يعطيني كلمة الحق فأنا أدين له والشكر لا يكفيه. لأن كلمة الحق، لأن هذا الماء الحي هو الذي أحتاجه في النهاية. هذا الماء الحي ولو كنتَ عائشاً إلى جانب النهر، إلى جانب النبع، هذا الماء الحي تشعر بعطشك إليه ولو كنتَ قريباً من ماء هذه الدنيا.

المخلص كان يخاطب امرأة لأسباب عديدة: كانت تعيش ناموس اللحم والدم. ناموس الشهوة والرغبة. المخلص كَلَّم واحدة من السيدات التي كانت تأتي إلى البئر لتروي عطشها أو تذهب إلى البيت لتروي حاجاتها وشهواتها. كلمها ليدفعها كي تنفتح على عالم آخر.

اذكروا كلمة الرب يسوع «الخطأة والزواني هؤلاء يدخلون ملكوت الله» هم مدعوون للدخول إلى ملكوت الله. هؤلاء لا نأنف من أن نحدثهم، وأن

بجالسهم، وأن نحبهم من كل القلب. الرب أحبهم والسامرية واحدة منهم، وإلى ماء الحياة يدعوها.

ثم انتقل الحديث إلى حوار بين قبيلة وقبيلة: أنتم يهود ونحن سامريون. أنتم تقولون يجب أن نصلي في المكان الفلاني ونحن نقول يجب أن نصلي في المكان الفلاني وما إلى ذلك. ما زالت هذه المرأة لا ترتفع عن مستوى الأرض شبراً واحداً. فإذا كان الله لا يرفع عن الأرض فمن يرفع؟ قال لها الرب يسوع: يا أختي ليس الموضوع موضوع مكان، الله لا تحصره الجدران والله لا يسجن. الله في كل مكان ونحن نجده في أشد الأمور عمقاً، بأرواحنا. نلاقي الله بالروح أينما كان، وهو كائن في كل مكان وزمان.

الإنسان الروحي. الإنسان المؤمن بالمسيح إنسان متحرر من الجغرافيا، متحرر من القبلية، متحرر من الانحياز والفئوية والإنقسامات البشرية. هو فوق كل هذا ينظر إلى العالم كله نظرة الأب السماوي، يرى في العالم بيته، عائلته، أقرباءه دونما تمييز ودونما تفضيل. الأرض، الجغرافيا هذه تجعل من إنسان خصماً لإنسان آخر، ومن بلد عدواً لبلد آخر، ومن قارة أن تتجاهل القارة الأخرى. الجغرافيا تقسم.

لن أطيل عليكم الحديث أيها الأحباء، ولكني أصل حالاً إلى الكلمة الأخيرة التي قالها أهل السامرة: «هذا بالحقيقة المسيح مخلص العالم». ما قالوا إنه مخلص السامرة أو مخلص اليهود، أو مخلص هذا أو ذاك من البشر بمفرده. «هذا المسيح بالحقيقة مخلص العالم».

ذكرنا الماء في أول الحديث، الماء الذي تعمدتم به هو الماء الذي يقول هذا القول: المسيح مخلص للعالم بأسره. آمين.

القيامة خَلْق جديد*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

قد يكون سبب وضع عيد الصعود الإلهي في برنامجنا السنوي الطقسي مرتكزاً على قاعدتين. السبب الأول هو أنه خلال السنة الطقسية يجب أن نمر بكل مراحل حياة الرب يسوع والصعود من جملتها. وقد يكون هنالك سبب آخر وهو لا يخلو من العمق الشديد أيضاً، وهو أن الصعود الإلهي هو نوع من البرهان على أن القيامة الإلهية كانت قيامة حقيقية.

تذكرون كيف أن التلاميذ شَكّوا بقيامة المخلص. تذكرون كيف أن المخلص اضطر بعد القيامة إلى أن يدل على نفسه بطرق متعددة، ولمرات متعددة «جسوني أنا لست شبحاً». ظهر للتلميذين على طريق عمواس. وكان يجب أن يحدثهما طويلاً حتى يتعرفا عليه. دعا توما. وقال للنساء: اذهبن بشرن التلاميذ، قلن لهم إنه قام من بين الأموات كما سبق فقال، وكان يأكل معهم. الإنجيليون يشددون على أن المخلص بعد القيامة كان يأكل أيضاً مع التلاميذ. وهذا يعني أنه كان يتكلم، وكان عنده جسد، وبالتالي كان ملموساً وقابلاً للرؤية.

الملاحظة الأولى هي أن الكثيرين بيننا لا يزالون يعتقدون أن القيامة ستكون فقط للأرواح. هذا ضد اعتقادنا الأرثوذكسي المسيحي. القيامة لن تكون بالأرواح فقط، ولكنها ستكون بالأجساد أيضاً. عملية القيامة هي عملية

* اللاذقية، الجمعة الأولى بعد الصعود الإلهي، ١٩٧٥/٦/١٣

خلق جديدة. الله يعود فيخلق الإنسان مرة ثانية، ويخلقه بروحه وجسده. وفي يوم الدينونة، في اليوم الأخير سنقف أمام الله كما نحن. الصعود يساعدنا حتى نفهم هذه العقيدة بهذه الطريقة. يقول المرنم: الملائكة عندما شاهدوا الصعود الإلهي الغريب تحيروا، وصار همس بين بعضهم البعض: ما هذا الشيء الغريب؟! في السماوات يشاهد إنسان. ولكن الكتاب يقول: بما أن الصاعد إلى السماوات إله يصعد أيضاً بالجسد فوق أعلى السماوات. هذا ما نرنمه. وهناك قول آخر: «إن التلاميذ لما كانوا في جبل الزيتون سمعوا الملائكة تناديهم قائلة: إن هذا الصاعد سيوافي بالجسد أيضاً على نحو ما رأيتموه».

لا ننسَ أننا بعد القيامة والحديث عن المخلص هو الحديث عنه بعد القيامة وليس قبلها. سترونه. كيف؟ رأوه جالساً معهم يؤاكلهم، وسائراً معهم في الطريق، يقول لهم: إنني أنا هو. جسوني إن لي لحماً، وإن لي عظماً لست شبحاً. شاهدوه هكذا، وهكذا شاهدوه ارتفع. وبعدئذ أخذته سحابة وجعلته يغيب عنهم. إذاً هذه الكلمة، هذا الارتفاع، هو الصورة الصحيحة عن النزول عندما يأتي المخلص ليدين الأحياء والأموات.

هذا ما معناه يا أحباء؟ هذه الجملة البسيطة جداً، والمهمة في إيماننا: القيامة والصعود والتألم ليس للروح فقط، ولكن للجسد أيضاً. هذه قالها بولس الرسول بعبارة أخرى قال: إن الخليقة بأسرها ليست مقتصرة على البشر. الحيوانات، والنباتات، والجمادات، هذه الخليقة بأسرها تئن وتتوجع وتنتظر الخلاص بابن الله. المادة ستتقدس. اللحم سيتقدس، سيقوم من بين الأموات، ويمثل أمام الله عندما يأتي المخلص بمجد ليدين الأحياء والأموات. هذا برهان ساطع آخر لا يقبل الجدل. هو أن قيامة المخلص كانت قيامة ليس بالإلهيات

فقط، ولكن بالجسديات، وهذا برهان على أننا لن نقوم بالروح فقـــط ولكـــن بالجسد أيضاً. وهذا برهان أن الخلاص ليس فقط للكائنات ذات الروح، ولكن للجماد. هذا شيء عظيم جداً جداً في لاهوتنا الأرثوذكسي. هذا شيء مهـــم وينعكس على إيماننا، أو نظريتنا بالخلاص وما إلى ذلك من الشؤون اللاهوتيـــة المهمة. ما نعمله بالروح من أجل خلاص الروح مهم، ولكن ما نعمله لخـــلاص الجسد أيضاً هو مهم. كلاهما يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب. لا نعمل للـــروح ونحرم الجسد، أو نعمر الجسد ونهدم الروح. فكلاهما سيمثلان يـــوم الدينونـــة الرهيب آمين.

الألم يوجع ولكنه يطهّر *

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

في أحد الآباء الشريف، نقرأ هذا المقطع المبارك للإنجيلي يوحنا الإصحاح السابع عشر. وهو جزء من الحديث المشهور بين المخلص يسوع وبين أبيه السماوي قبل الآلام. فإذا تمعنا قليلا في هذا الحديث وجدنا وكأن المخلص يقدم تقريراً لأبيه السماوي عما فعله على الأرض. فكأنه قد انتهى من سنة ليبدأ سنة جديدة من حياته، وها هو يحدث الله الآب عما فعل: «أعطيتني أولئك الذين من العالم. أعطيتهم اسمك». الآن انتهى كل شيء «مجدني الآن، يا أبتِ بما كان لي من المجد عندك قبل أن يكون العالم». انتهى كل شيء فاتِ بمجدك أيها الآب. والمعروف في الكتاب المقدس هو أن المجد الذي يلمح إليه المخلص هو بالضبط آلامه. فكأنه يقول لله الآب: يا أبتِ قمت بالرسالة التي أوكلتها إلي، الآن انتهى كل شيء فعلي بالآلام والإماتات والصليب والموت وما إلى ذلك. الآن وقت هذه. هذه هي التي دعاها المخلص «المجد».

نقرأ هذا المقطع الإنجيلي في أحد الآباء المجتمعين في نيقيا السنة ٣٢٥م، واذكروا يوماً قلت لكم فيه: إن هؤلاء الآباء القديسين كانوا قد خرجوا من فترة اضطهاد بحيث لم يكن بينهم واحد لم يترك الاضطهاد أثراً في جسده. هذا يجعلني اليوم أن أركز من ناحية على المجد الإنجيلي، ومن ناحية ثانية على الألم الذي عاشه الآباء. والمجد والألم كلمتان تعنيان الشيء نفسه في إيماننا المسيحي.

* اللاذقية، أحد آباء المجمع الأول (مجمع نيقيا)، ١٩٧٥/٦/١٥

فكأن الكتاب أيها الأحباء يقول: ليس من تجل بدون ألم، ليس من مجد فعلي بدون ألم. الإنسان إذا لم يجربه الألم، إذا لم يجرحه، وإذا لم ترمه سهام الأوجاع في حياته قد ينسى أنه إنسان، قد يشذ عن الطريق التي رسمها الله له. الألم إذا ما حل في الإنسان فتحه: فتحه للكلمة الإلهية، فتحه لربه، فتحه لأخوته. من صفات الراحة والرفاهية والترف أنها تغلقك في وجه الله وفي وجه أخوتك. من صفاتها أنها تعزلك عن نفسك. شر الترف، شر الرفاهية: الاكتفاء، الرضى، الانشراح، ويسمح الله بالمجد الفعلي أي بالألم لكي يأتي ويحز في النفوس أو يجرح في القلوب. وماذا تكون النتيجة؟ بعد الألم يتفتح هذا القلب، ويزداد حساسية، وتغنى هذه النفس، وتزداد محبة ونوراً وتألقاً. الألم نار، ولكن بدون النار لا يحترق القش كي يظهر الذهب المختبئ فيه. هذا ما فهمه الآباء القديسون، أيها الأحباء، ولذلك ما توقعوا مجد رخاء ورفاهية. لكنهم توقعوا دائماً مجداً يبتر اليد، يقتلع العين، يعذب النفس، يتعب الجسم، يرهقه. نعم هذا ما توقعه الآباء. إذا تألم الواحد منا فمن صميم نار الألم وكيه يجب أن لا ينسى أن يرفع نظره إلى الله. إذا تعذب الواحد منا بآلامه أصبح ابناً للألم، وابن الألم إنسان حي، حي فعلاً، ليس بقاس، ليس بمتجمد، ليس ببارد أمام الآخرين. الألم في المسيحية ليس شيئاً نكرهه. إنه يوجعنا ولكننا لا نكرهه. أيها الأحباء، ليس من نهار إلا بعد الليل، وليس من فرح إلا بعد الحزن والألم. ليس من تجليات إلا بعد أن يتفحص الإنسان قلبه بالأوجاع، والآلام، والأحزان.

لذلك، أطلب إليكم كلما تصورتم الآباء القديسين المجتمعين في نيقيا، وكلما ساوركم وجع أو أَلَمَّ بكم ألم أطلب إليكم أن تروا في الألم نتيجته لا الشعور المؤلم، الشعور المتعب الذي يحس به الإنسان آنياً. فبعد الألم كلنا إنسان

متجدد، بعد الألم كلنا إنسان متفتح لنعمة الله. بعد الألم طهر ونقاوة أشد من الطهر والنقاوة اللذين كنا نتمتع بهما.

عندما قال مخلصكم: «يا أبتِ مجدني» كان يقول: «أيا أبتِ امتحني ففي الامتحان تعرف أنني لا أزال وَفيٌّ النفس، وإنني بعد الامتحان سأكون إلى ميامنك، وإلى جانبك. آمين.

ملكوت السماوات قول وفعل*

المطران اغناطيوس هزيم

المخلص يقول: «ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات» وينتهي بالقول: «اذهبوا عني يا ملاعين» في المقطع الأول القول، وفي المقطع الثاني الفعل.

الرب يسوع في هذا المقطع يخاطب فئة من الناس تقول: يا رب، يا رب. وقد تردد ذلك مرات عديدة في اليوم نفسه، نعم إنه يخاطب فيه المصلين، يخاطب كل واحد منا. ولكن يبدو أن الخطيئة ليست على هذا المقدار من البساطة لأن المخلص كما يصور لنا ما سيحدث في اليوم الأخير يقول: «في اليوم الأخير سيقف أمامي أناس يقولون لي يا رب، يا رب، باسمك تنبأنا ـــ كنا أنبياء ـــ، وباسمك أخرجنا شياطين ـــ كنا نعمل العجائب ـــ وباسمك صنعنا المعجزات. ويقول المخلص: حينئذ أعلن لهم إني «لم أعرفكم قط». بكلام آخر أنكر عجائبكم، أنكر معجزاتكم، أنكر نياتكم، أنتم أيها الذين يفعلون الاثم تقولون: يا رب، يا رب وتفعلون أفعال الرب الثاني «الشيطان» تقولون: يا رب، يا رب ولكن إرادتكم تبقى غير إرادة أبي الذي في السموات، وبالتالي فأعمالكم لا تكون الأعمال التي يريدها أبي الذي في السموات.

أيها الأحباء، من القضايا التي يواجهها الإنسان في حياته هي العلاقة بين ما يقول وبين ما يفعل. إجمالاً أقوالنا حسنة، إجمالاً أقوالنا تدل على محبة، تدل على صدق، تدل على إيمان. هذا إجمالاً وليس دائماً. ونحن في الكنيسة المقدسة

* اللاذقية، الأربعاء الثاني بعد العنصرة ١٩٧٥

نحاول أن تكون كل الأقوال في الكتاب المقدس، وفي كتب الترانيم، وفي كل الصلوات داعية: يا رب، يا رب. ولكن يبدو أن الإنسان عندما يمر من مرحلة النطق، مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل يتغير. لا شك أن كل واحد منا شخصان وليس شخصاً واحداً. الشخص الأول هو الذي يقول والشخص الثاني هو الذي يفعل. قد يكون الأمر عندما تريد أن تفعل مختلفاً عما هو عندما تقول. لأن الفعل مقيّد أكثر من القول. القول يخصنا ولكن الفعل ينطلق منا إلى غيرنا، وغيرنا هو قريب موجود أمامنا يسألنا، يحاسبنا، عنده ردات فعل أمام أفعالنا. نخاف، نحترز، نحذر. لذلك فالناس إجمالاً أقوالهم لا تتفق مع أفعالهم. ولكن لا يجوز كما سمعنا في الإنجيل المقدس أن يكون هنالك تباعد بين التعبير عن نفسي وبين نفسي بالفعل.

في الواقع ونحن في الكنيسة اليوم نحاول أن لا نجعل الكنيسة مُطلِقةً الفعل باسم القول أي أن تكون مدرسة للقول فقط بدل أن تكون مدرسة لقول يفعل. هذا نحن نرفضه ونسعى إلى أن نفسخ هذا الطلاق بين كنيسة تتكلم وتنطق وتقول: يا رب، يا رب وبين كنيسة تنطق وتفعل. الخطر يبدأ في حياة كل واحد منا، وفي حياة الكنيسة عندما نفكر بطريقة التعويض لا بطريقة التكامل. والتعويض يكون إما أن نقول: يا رب، يا رب، وإما أن نقوم بالأعمال الطاهرة. هذه أو تلك، تلك أو هذه والكثيرون يفكرون بالتعويض لدفع الثمن.

في الكنيسة نعتقد أن الإنسان واحد، وأنه قد يكذب في القول كما يمكنه أن يكذب بالفعل، في كثير من الأحيان قد يكون فعله أشد الأمور تكذيباً لما يقول. القصة كلها كيف نكون أمام الله واحداً؟ كيف تكون أفعالنا وأقوالنا منسجمة والأقوال الإلهية. هذه هي القصة كلها. كل درس، كل تدريب، كل

عذر نقدمه لا يفيد في الواقع شيئاً. وإذا لم يكن القول منسجماً مع الفعل أو الفعل مع القول يكون في حياتنا ظلام، يكون في حياتنا انقسام، تكون في حياتنا ازدواجية، ويكون كل واحد منا مصاباً بمرض انفصام الشخصية، أي كل واحد منا شخصان.

كيف نلملم هذا الانقسام في أنفسنا، كيف؟ يقول الكتاب المقدس كي تقترب الأفعال من الأقوال يجب أن تسهل الأمور أمام التطبيق. قلت لكم: إننا عندما نُقدم على الأفعال نجد القيود الاجتماعية. ففي كثير من الأحيان نود أن نعمل خيراً ولا نعمل أو نود أن نعمل شراً ونتراجع ذلك لأننا نخاف، إننا مقيدون. بكلام آخر، عنصر أساسي ينقصنا عندما نُقدِم على أي عمل هو عنصر الشجاعة. تنقصنا الشجاعة في حياتنا وهذا ما يجعلنا نتبارى في الأقوال ولكن عندما يصل الأمر إلى الفعل تجدنا نتنصل الواحد تلو الآخر.

الكتاب يقول: إذا لم تتطعم إرادتك بالإرادة الإلهية فستبقى منغلباً، وستبقى منقسماً. لكن الذي يعمل إرادة أبي الذي في السموات هذا يدخل ملكوت السماوات، لا بل هو يحدث ملكوت السماوات، وهو يخلق ملكوت السموات. السموات لن تكون ملكاً لله إذا لم يكن هنالك من يعمل إرادة الله. السموات والأرض إذا لم تكن تطبق فيهما إرادة الله فالله ليس رباً لا للسموات ولا للأرض. وهنا الموضوع: كيف نلملم بقايا شخصياتنا؟ كيف نحول هذا العالم، عالمنا الصغير والكبير إلى عالم يكون فيه الله رباً؟ هذا لا يكون إلا إذا تطعمت إرادتنا بإرادة الله وحُقِنَت إرادتنا بإرادة الله. وإرادة الله أن يقترن القول بالفعل.

لماذا الكنيسة*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس آله واحد آمين.

حسب الإنجيلي متى، بدأ إنتقاء التلاميذ الرسل من على شاطئ البحر. ونحن نعرف، أيها الأحباء، أن الماء في الإنجيل المقدس، وفي الكنيسة المقدسة رمز. وذكرت لكم أكثر من مرة أن المياه كانت في البدء منذ الخليقة ومنها ظهرت المخلوقات. وكذلك العبور من أرض العبودية إلى أرض الميعاد كان من خلال الماء أيضاً. ونحن بالمعمودية المقدسة التي هي الولادة الثانية، نولد من خلال الماء وبواسطة الروح القدس. وها هو اليوم الإنجيلي متى يقول بأن الرب يسوع عندما شاء اختيار تلاميذه هو أيضاً يمم شطر البحيرة، بحيرة الجليل، وهناك وجد صيده الأول: الرسل الأربعة الذين دعاهم.

«وكان يسوع يطوف الجليل يعلم في المجامع، ويشفي كل مرض وضعف في الشعب». لا تنسوا أن هنالك كتبا أعمق بكثير، وأصعب بكثير من بعض مقاطع الكتب المقدسة، وفي مقدمتها الأناجيل ما عدا إنجيل يوحنا. لا تنسوا أن هنالك محاولات متعددة حصلت خلال التاريخ حتى تبرز المخلص يسوع أنه من الناحية البشرية على نفس المستوى الذي لأفلاطون، وأرسطو، وهيغل وأمثال هؤلاء المفكرين الكبار. هذه المحاولات كلها فشلت. هذه المحاولات لم تنجح لأن الرب يسوع لم يأت ليزيد معلومات الناس، فمعلومات الناس تزداد يوماً فيوماً من الكتب والمدارس، ولكنه أتى ليعلن عن وجود جديد،

* اللاذقية، الأحد الثاني بعد العنصرة، ١٩٧٥/٧/٦

وحياة جديدة، ومفهوم للإنسان جديد. لذلك بينما كان الناس يفصلون بين القول وبين الفعل، بين البشارة والفهم والذكاء، وبين المساعدة والتعاون والمعاضدة، أتى هو ليفعل الاثنين سوية. أتى لا ليكتب كتبا علمية واسعة، ولكن ليقول كلمة عن الملكوت السماوي، وليفعل أفعال أبيه الذي في السماوات.

قد يتساءل الواحد منكم في النهاية: ما هي الغاية من وجود الكنيسة؟ إنطلاقاً من هذا النص الإنجيلي أقول: إذا كنا نعتقد أن الكنيسة المقدسة هي مجموعة من البشر أتت بطريق الصدفة على أساس ما من المحبة، واللطف، والتعاضد والانسجام الاجتماعي والفكري وما إلى ذلك فهذا ليس بالكنيسة، وإذا كان البعض يعتقدون أنهم بمجيئهم إلى الصلاة تمتلئ أدمغتهم فقط ولكنهم إذا قرأوا الإنجيل في البيت وَصَلُوا إلى غاياتهم، ولماذا التعب في تشريفهم إلى المكان المقدس هذا؟! فهم لا يعرفون الكنيسة، ولا يعرفون الكتاب.

الكنيسة هي المحيط، هي الوسط، البيئة التي فيها يتحول الإنسان من قائل إلى فاعل. الكنيسة هي الوسط الذي فيه تصبح الكلمة مرتبطة بالفعل تماما كما كانت، ولا تزال عند الله «كن فيكون». الذين كنيستهم وإنجيلهم كلام بكلام هؤلاء لا يعرفون الكنيسة، ولا يعرفون الإنجيل. هؤلاء لا يفرحهم الإنجيل، وإذا كانوا حزانى لا يعزيهم. الإنجيل يبدأ بأن يفعل في حياة الإنسان إذا وجهناه إلى أعمالنا كي يقلبها ويغيرها حتى نصبح إنساناً جديداً. وعندئذ فقط يكون للإنجيل معنى، وتكون له فاعلية.

أذكر قول بولس الرسول عن الكلمة الإلهية: فقد شبهها «بالسيف»، إذن هي ليست لفظاً ننطق به، الكلمة الإلهية فعل في نفس الإنسان، وأنتم في الصلاة إذا أتيتم وقلوبكم مغلقة فلن تفعل فيكم الكلمة، وبالتالي، فأنتم لا

تصلون.

أيها الأحباء، نحن في المرحلة الأولى التي تلي حلول الـــروح القـــدس. الروح القدس المسمى بالمعزي والمقوي وروح الحق، وهو الحاضر في كل مكان ويملأ الكل. لذلك فأنتم لامتلائكم بالروح القدس اقبلوه بانفتاح حـــتى تـــتغير الحياة، وينقلب الإنسان إلى كائن جديد. الرب يسوع يدعو لا إلى قول جديـــد بل إلى حياة جديدة.

وللكهنوت كرامة*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

تكلمنا في الأحد الماضي عن المجمع المقدس، والاهتمام المركز على قضية الكهنة في كنيستنا وحاولت أن أطلب إليكم أن تبدأوا الاهتمام بالكهنة في بيوتكم وقلت: ابدأوا باحترام الكهنة في البيت، تحولوا عن التندر بهم، ابتعدوا عن الذم والقدح لشخص كاهنكم. فقد يكون يستحق الذم، ويستحق القدح ولكن ابنكم الذي يسمع هذا الحديث لا يفرّق بين كاهن يستحق وكاهن لا يستحق، بل يغدو محتقراً للكهنوت برمته.

قلت لكم كفوا عن التندر بالكهنة وبالعكس فكّروا بكاهنكم الأب. فكروا به عندما تفرحون. ادعوه، وليأت الكاهن وليكن على رأس أفراحكم، ادعوه خلال صعوباتكم. وليكن الأول في مشاركتكم صعوباتكم. ادعوه في أحزانكم ليشاطركم أحزانكم، ولكي يتعلم أولادكم أن هذا الإنسان الذي يلبس الجبة والذي تدعونه «أبونا» والذي يصلي معكم في الكنيسة المقدسة، هذا الإنسان هو من قلب العائلة وليس شخصاً غريباً عنها. هذا ما أطلبه إليكم.

أنا اليوم لا أعظكم بل أقدم لكم خطة هي الخطة التي رسمها المجمع المقدس لكي يُعطى الكاهن احتراماً وتحفظ كرامته ولكي لا يتهرب من الكهنة الذين يفتشون عن الاحترام وحفظ الكرامة. ذكرنا في المجمع المقدس كيف أننا

* الأحد العاشر بعد العنصرة، ١٩٧٥/٨/٣١

نحن الأرثوذكسيين نضع الإنجيل جانباً عندما نتكلم. الإنجيل بعيد عن جيوبنـــا، بعيد عن جيوب الكثيرين من الشعب وخصوصاً بعيد عن جيوب الإكليريكيين أنفسهم والمطارنة بصورة خاصة. المؤسسات الأرثوذكسية الواحدة منها بعيـــدة عن الأخرى ولا تتعرف عليها.

قلنا في المجمع المقدس، إذا كان ربنا يسوع المسيح يقول: الجائع لا تعطه مواعظ ولا تعطه نصائح لا تعطه كلمات، ولكنه يجب أن يأكل أطعمة. امـــدد يدك إلى جيبك كي يأكل. وكذلك العريان، كذلك العاطل عن العمل يجب أن لا نساعده باللسان كما قال يعقوب الرسول، ولكن أن نساعده بالفعل. مـــاذا يفيدني إن كنت خاوي المعدة ومررت بك فاشبعتني كلاماً معسولاً؟ ماذا يفيدني ذلك؟

الأرثوذكسي لا تدخل كنيسته في جيبه، ولا يدخل جيبه في كنيـــسته. فكانت النتيجة أن هنالك في الأبرشية الواحدة، في الكرسي الواحد كنيسةً فقيرة وكنيسة غنية. في الكرسي الواحد والأبرشية الواحدة لا بل في المدينة الواحـــدة كاهن فقير وكاهن غني، في الكرسي الواحد مطران فقير ومطران غني. كل ذلك لأنه ليس من يهتم بأخيه بالرب إلا بالكلمات.

في هذا المجمع المقدس رأينا أنه علينا جميعاً أن يضع الواحد منا يـــده في جيبه ويعطي. والذي يظهر، يا أحباء، أن الذي لا يعطي ابنه لا يشعر بأنه ابنه، والذي لا يعطي امرأته لا تحس بأنه زوجها. وأن الأخ الذي لا يساعد أخـــاه لا يجعله يشعر بأن له أخاً.

من الآن فصاعداً سنحاول أن تكون عندنا خطة في الكرسي الانطاكي كي لا تكون عندنا كنيسة فقيرة، وكي لا يكون عندنا كاهن فقير، ولكـــي لا

يكون عندنا مطران فقير، بحيث تكون كل الأبرشيات ليس فيها من أبرشية واحدة غير قادرة لوحدها أن تبني كنيسة أو تقوم بمشروع خيري. قلنا: هذه المرة يجب أن نكون ماديين لأن المادة هي حقل العطاء أيضاً، ولا نكتفين بأن يوزع الواحد منا على الآخر كلاماً بكلام مهما كان الكلام حلواً.

اذكر كيف أننا في هذه المدينة المباركة عندما نتحدث عن أمور كهذه نجد هذا يهرب من الباب، وذاك يهرب من النافذة. هذا في أول القداس وذاك في آخره. وكيف يتنصل الواحد ببراعة لا براعة بعدها من مسؤولياته هذه أمام كنيسته. يا حبيبي: الكنيسة لك، الكاهن كاهنك، الشمعة شمعتك، مارجرجس لك، هذه ملكك ومنها سيكون القندلفت وقد يكون أخاك، والكاهن وقد يكون ابنك، والمطران وقد يكون قريباً لك. هذه لك ليست غريبة منك ولكنني في الوقت نفسه في المجمع المقدس كنت شديد الفخر بما حصل عندنا يا أحباء، لأن هذه الأبرشية قد ذكرت بأنها الأولى التي بدأت باحترام الكنيسة واحترام كهنتها ورؤسائها. لسنا طاهرين ولا نزال نتندر ببعض الكهنة وقد لا يتوقف هذا بسهولة، ولكننا إدارياً، في هذه الأبرشية، عرفنا أن نقول لكاهننا: كن مكرماً. عرفنا أن نقول له: كن «مستور الآخرة» وعش كريم العيش. وذلك كي نتمكن من القول لأبنائنا جميعهم ولعائلاتنا: هاكم الكهنوت في الكنيسة فأقدموا عليه وتعالوا.

بولس الرسول يقول هذا المقطع: «نُشتَم فنبارِك، نُضطهد فنحتمِل، يشنع علينا ــ نظلم ــ فنتضرع، يعتبرنا البعض كأقذار العالم». ولكن ليس أشرف من أن يكون بيننا وفي عائلاتنا من إذا عمت الشتيمة الكون بأسره بارك وإذا لحقه الاضطهاد إلى أعماق أعماقه يصلي ويرفع قلبه إلى الله ويقول: «اغفر

لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون». الكاهن الذي يتقدم إلى مذبح الرب هو ذاك الذي عندما يشتعل العالم بالنار وعندما يحترق العالم حقـــداً وكراهيـــة يرفـــع الصوت صافياً إلى السماء ويقول: يا رب في هذا العالم أب واحد وعائلة واحدة وأخوة ينتمون إلى أب واحد فارحمهم وارحمنا.

أيها الأحباء، أذكركم بنهج جديد في بيوتكم: اذكـــروا أن الكـــاهن كاهنكم وأن الكنيسة كنيستكم وأنه إذا خسرنا الكاهن فنحن من نخـــسره لا غيرنا وإذا لم نُقدِم إلى الكهنوت فنحن من تنقطع عنا البركات لا غيرنا، حـــتى يحس شعبنا، وقد بدأ والحمد لله يحس، أنه حر في بيت الله وأن بيت الله ملـــك له.

هل أصبحت بيوتنا فنادق*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

بولس الرسول في الإصحاح الخامس عشر من رسالته إلى أهل كورنثوس حذرنا فقال: «هنالك شيء منظور وهنالك شيء غير منظور». كان يتكلم في القيامة ويقول: احذروا من الانسياق خلف ما ترونه، ما نراه بأم العين أن الإنسان الذي نحيا وإياه يموت. كل واحد منا سيموت ويوضع في القبر. هذا نعاينه ولكن ما لا نراه هو أن المسيح الذي قام من بين الأموات يفعل فينا ويقيمنا من بين الأموات. نحن لا نرى ذلك ولكن هذا لا يعني أن الشيء الذي لا نراه غير موجود والعلماء يؤكدون أن الموت يتلف الكثير فينا ولكن قوة القيامة فينا تعوض ما تلف وتؤمن استمرار الحياة. وهكذا فإننا في كل دقيقة من دقائق حياتنا يسير فينا الموت والحياة جنبا إلى جنب.

والإنجيل المقدس يحذرنا من الغرق في المنظور والتغاضي بالكلية عن اللامنظور. الشيء المنظور هو مواجهتنا العالم كل يوم. مشاغل الدنيا تستغرق من وقتنا وتستحوذ اهتماماتنا وتشغل قلبنا. كم من الناس يضحون حتى بأولادهم، بعائلاتهم مقابل ربح مادي. يقولون: دعيني يا امرأة فأنا مشغول، اتركوني يا أولادي فأنا أعمل لأجلكم. ويترك الأب باسم الشغل الذين ائتمنه الله عليهم. وهكذا أصبحت العائلة سائبة اليوم. أصبح الأب لا يتعرف إلى تربية أولاده، لا يجالسهم ولا يحادثهم. لا يرشدهم صغاراً ولا يراقبهم كباراً. أصبح

* يوم الجمعة من الأسبوع الحادي عشر بعد العنصرة، ١٩٧٥

المنـــزل شبه فندق يأتي الأب إليه للاستلقاء والنوم.

الأب في نظرنا ليس من ذكرت. يحذرنا الكتاب المقدس ويقول: أنـــتم مؤتمنون على الأرواح. من حقكم الاهتمام بالطعام والشراب وما يتعلق بهمـــا ولكن همكم الأكبر وهمكم الأعظم يجب أن يكون نفوس أولئك الذين وهبـــوا لكم، أرواح الذين أوكلوا إليكم. نحن في هذه الأيام رجال أصنام، هياكل لحمية لا قلب لها ولا شعور ولا غيرة ولا شهامة ولا كرامة. أصبح الرجل اليوم صورة رجل لا أكثر. حُكّه تجده لا يحب امرأته ولا يحب أولاده ولا أخاه أو صـــديقه، أصبح واحدنا يعيش وكأنه منتزع من كل الناس.

الإنجيل المقدس يحذرنا من الانحدار إلى هذا الدرك. وينهينا عن التصرف تصرف ذلك الخادم الذي سافر سيده فأوكل إليه شؤون عائلته وأملاكه ولكن بدلا من أن يقوم بمهمته اغتنم فرصة غياب سيده وانصرف عن العائلة والأملاك إلى اللهو والسكر وتحقيق لذاته. الكتاب المقدس يحذرنا من أن نكون مثل هـــذا الخادم لأنه عاجلا أم آجلا سنسأل عما عملنا، سنسأل عن الأعمال التي أنجزناها لتعطينا قيمة، ليكون لوجودنا معنى. وإذا عشت أيها الإنسان عشرين ســـنة أو ثلاثين أو خمسين سنة فماذا حققت خلال ذلك. لقد أُعْطيت الحياة وائتمنـــت على حياة المرأة والأولاد والأخوة والأقارب بل البشرية بأكملها فهـــل أديـــت الأمانة؟

ويل للإنسان عندما يكتشف أنه عاش ليأكل ويشرب ويعمل فقـــط، ويل للإنسان عندما يكتشف أن حياته كانت بلا معنى. يظهر، أيها الأحباء، أن الجحيم هو أيضاً المكان الذي يشعر فيه الإنسان بأن لا قيمـــة لحياتـــه. ألـــيس صحيحاً أن الذي يقتنع بأن لا قيمة له في هذه الحياة يلجأ إلى الانتحار؟

أيها الأحباء، لقد ائتمنتم فأوفوا الأمانة. حملتم مسؤولية فقوموا بها. لا يغشنكم المنظور فالمعلم غاب ولكنه حتما سيعود وستأتي ساعة الدينونة، ساعة الحساب. ستأتي الساعة التي فيها تصفى الحسابات أما الدينونة فيومها آت مهما امتدت الأعوام والسنون.

أيها الأحباء، لم تكن قراءة هذا المقطع الإنجيلي اليوم صدفة وكـــذلك الرسالة التي يقول لنا فيها بولس أن لا أموات عندنا وإذا ما رأيت الميت بعينيك فلا تكتف لأن عيناك أيضاً تموتان فانظر بعيني الإيمان فلن ترى موتاً أمامك. نحن نؤمن بالقيامة.

ويل لإنسان يجد أن حصيلة حياته لا تختلف بشيء عن حياة الخـــروف مثلاً: أكل، شرب، تناسل، صحة...

نشكر الله الذي جمعنا، ونسأله تعالى أن يسكن في قلوبنا ويزرع فيهـــا الوعي بأنه قادم وبأن هنالك ساعة نسأل فيها: ماذا فعلت؟ ما قيمتك؟

بدون المسيح لا مسيحية*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

في بدءٍ هذا الموسم الجديد يحلو لي هذا الصباح، يا أحبـاء، أن نتأمـل الكلام الإلهي الذي سمعناه. يقول لنا الكتاب المقدس: الناس يشكّون لأنهم أتـوا بمرضاهم إلى تلاميذ المخلص، ولكن تلاميذ المخلص لم يتمكنوا من شفائهم.

نتأمل اليوم في هذا الوضع، ونتأمل خصوصاً الكلمة التي قالهـا الـرب لتلاميذه وهي موجهة لكل واحد منا، قالها لهم وخاطبهم بعبارة: «يـا قليلـي الإيمان».

يستغرب الإنسان البسيط كيف أن تلميذ المسيح الذي ترك كل شـيء وتبعه، تلميذ المسيح الذي ترك أمه وأباه وعائلته وأعماله وسار برفقة الرب يرى عجائبه ويسمع أقواله، هذا الإنسان بعد وقت يخاطبه معلمه الرب يسوع ذاتـه بالقول: «يا قليل الإيمان».

ما هو هذا الإيمان الذي كان قليلاً في قلوب تلاميـذ المـسيح؟ أيهـا الأحباء، عندما نتكلم نحن اليوم عن إيمان كنيستنا المقدسة أخاف، وقد يكـون خوفي في محله. إننا ننسى الشيء الرئيسي ونتعلق بالتوافه، بالأشـياء الهامـشية، بالأشياء الثانوية.

البعض يظن أننا إذا قمنا بواجباتنا الروحية من صوم وصـلاة وحـتى

* الأحد الثالث عشر بعد العنصرة، ١٩٧٥

أعمال خيرية نكون قد قمنا بكل شيء. الإنجيلي يذكرنا بكلمات الرب يسوع وبالحادثة وكأنه يذكّرنا أن تلاميذ المسيح أيضاً كانوا يرافقونه، يأكلون ما يأكل ويسهرون عندما يسهر ويشربون عندما يشرب ومع ذلك بقوا قليلي الإيمـــان. فماذا كان ينقصهم؟

أود أن أؤكد في بدء هذا الموسم المبارك أن هنالك مـــسيحية بـــدون مسيح، أن هنالك صلاة بدون مسيح، وصياماً بدون مسيح، وان هنالك كهنوتاً بدون مسيح وأن هنالك اعتقاداً بأن التعلق بالوصفات المسيحية هو كل شيء.

ومن هنا يحدث أننا نتعلق بوصفات متعددة مسيحياً من صيام وصلاة، وأعمال خيرية، وأقوال طيبة، ونوايا حسنة في بعض الأحيان وبالتالي فإننا نتعلق بالوصية بحد ذاتها بكلمات الوصية، بأعمال الوصية، بنتائج الوصـــية، ويكـــون الغائب الأوحد عن صيامنا وعن صلاتنا وعن إيماننا وعن كنيستنا وكهنوتنا وهو موضوع إيماننا أعني المسيح بالذات.

عندما قال المخلّص لتلاميذه: «يا قليلي الإيمان» كان يقول لهم: أيهـــا العائشون مع المسيح متى يدخل المسيح في قلوبكم؟ إذا كان المـــسيح بالـــذات كشخص حياً في قلبك عندئذ يصبح هو الصيام وهو الصلاة، وهو القداس، وهو الكهنوت، وهو كل شيء. إذا كان المسيح في قلبك عندئذ فأنت فوق الـــسنن والنواميس والشرائع. الشرائع: لا تقتل، لا تسرق، لا تزن، هذه ليست موضوع إيمان. لا يحتاج الإنسان أن يؤمن بها. هذه أشياء بسيطة جداً.

أما موضوع إيماننا، موضوع الإيمان بالذات فهو شخص الرب يـــسوع المسيح الذي عندما تحتويه في قلبك. عندئذ تكون مسيحياً. عندئذ إن صمت أو لم تصم، إن نمت أم سهرت اشتغلت أم لم تشتغل، تكلمت أم لم تتكلم، صلّيت

أم لم تصلّ، عندئذ يكون كل شيء قد وصل إليك.

غاية المسيحي هو أن لا يستغني عن مسيحه دقيقة واحـدة أو ثانية واحدة. غاية المسيحي أن لا تكون عنده شروحات عن المسيحية، معلومات عن المسيحية، شرائع عن المسيحية غيره لا يعرفها. يستغرب الناس كيف أن هـذه الكنيسة المقدسة تجمع الذي يعرف القراءة والذي لا يعرفها، الذي يفهم والذي لا يفهم، المطلع وغير المطلع. ما الفائدة من هذه المجموعة غير المتجانسة فعلاً وغير المنسجمة؟ الفائدة من الموضوع ليس فقط أن نفهم، ليس فقط أن نتعلم أو ندرك الموضوع: إن المسيح يقدّم ذاته للإنسان البسيط كما يقدّم ذاتـه لغـيره. للصغير كما للكبير. المسيح ليس عنده من جاهل وعالم. المسيح إما أن يكون في قلوب الناس وإما أن لا يكون. فإن كان في قلبك ولو كنت لا تعرف القـراءة والكتابة و لم تكن قد سمعت بالمزامير فإنك عندئذ تكون مسيحياً فعلياً.

مسيحية الناس أصبحت فارغة من المسيح. ديانة النـاس المـسيحيين أصبحت من دون مسيح، لأن قلوبهم قد فرغت منه وأصبح كل شيء ظاهرياً، وأصبح الدين المسيحي يكبّل الناس، يقيدهم، يعقّدهم، يجعلهم مرضى لأنه بدون المسيح. ولو دخل المسيح القلوب لأنتصب الناس أحراراً مـنطلقين أقويـاء لا يخافون ولا يهابون. الجفجفة والتراجع والتردد ليست من شيم المسيحي الـذي يسكنه المسيح.

في هذا الموسم المبارك إذ نبدأ سنة جديدة بعد انقضاء الصيف أؤكـد لكم يا أحباء أنه طالما نحن لم نَصَلْ إلى استيعاب المسيح حياً في قلوبنا فـنحن لم نصل إلى شيء.

الصوم من دون المسيح شخصياً لا معنى له، الـصلاة بـدون المـسيح

شخصياً تَفَكُّه، الكهنوت بدون المسيح شخصياً وظيفة بـــالمعنى الـــسيئ لهـــذه الكلمة. كل شيء بدون المسيح لا يكون شيئاً حقيقياً.

أطلب إلى الله في هذا الموسم أن نركز قلوبنا، وأن نركز أفكارنـــا، وأن نركز جهودنا لاستيعاب المخلص. وقد نجده مستوعباً في قلب بسيط، في طفـــل نقي صادق أو نجده في إنسان لا يعرف فذلكاتنا ولا فلسفاتنا، ولكنه يعرف أن يقول: هكذا يقول الرب، وليس عن كلامه استغناء. أسأله أن يكون معنا.

الكلمة الإلهية فعل*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

نقرأ هذا المقطع الإنجيلي المبارك وفيه يحدثنا المخلص عن الزارع الذي هو صورة عما يحدث لكلمة الله. فكما أن الزارع إذا سقط منه البذار في مكان ما قد ينبت ويعطي ثماراً أو قد ينبت لوقت قصير ثم يجف أو قد لا ينبت على الإطلاق، هكذا الكلمة الإلهية.

وأما نحن فنحتاج إلى عنصرين أساسيين من أجل خلاصنا لا إلى عنصر واحد:

العنصر الأول هو الكلمة الإلهية وأن تكون هذه الكلمة في متناولنا، أن نطلب كلمة الله وأن نفتش عنها، أن نلاحقها كملاحقة الإنسان لعناصر الحياة ليؤمن عيشه. فهو يفتش عن الطعام، يفتش عن الشرب، يفتش عن الشمس والهواء النقي. كل ذلك يضمن عيشه.

كلمة الله هذه هي العنصر الأساسي جداً جداً في حياتنا ولكن كلمة الله ليست كتاباً. كلمة الله ليست حروفاً على ورق. إن كلمة الله هي أعمق بكثير، هي كالبذار إذا زرع في أرض جيدة أينع وأما الإنسان الذي لا تثمر كلمة الله فيه فلا يكون قد أخذها مأخذ الجد.

كلمة الله ليست حرفاً ولكنها قوة ونعمة تأتيك من السماء، تأتيك من

* أحد آباء المجمع المسكوني السابع، ١٢/١٠/١٩٧٥

الأسرار الإلهية، تأتيك من معايشتك اخوتك في الكنيسة الواحدة. تأتيك من ممارستك إيمانك. هذه الكلمة عندئذ فقط عندما تأتيك وتزرع فيك تثمر وتُكَوِّن في قلبك جنين الحياة. الكلمة الإلهية ليست ألفاظاً.

هذا يذكرني بكثيرين في هذه الكنيسة المقدسة. إذ عندما نصل إلى تلاوة المزمور «ارحمني يا الله كعظيم رحمتك» أرى الشفاه تتحرك وأشعر أن العبارة «ارحمني يا الله» تخرج من الفم وحده لا بل إذا طلبت من المصلين رحمة لما رحموا. يا أحباء، كلمة الله ليست حرفاً والذي يملأ فمه بالحروف وعقله بالكلمات، هذا الإنسان لا يصلي، وهذا الإنسان لا يتقبل الكلمة الإلهية. والإنجيلي لوقا يوضح هذا قائلاً: نحن لا يمكن أن ندخل الفساد إلى الكلمة الإلهية، كلام الله يبقى نقياً، ولا يمكن أن نُزَوِّر كلمة الله في صميمها. نحن أضعف من أن نجعل الإنجيل كاذباً، نحن أضعف من هذا بكثير. ولكن هذه الكلمة الطيبة الصالحة يقول الإنجيلي: إذا زرعت في قلب جيد، صالح، في قلب صبور، عندئذ فقط تعطي ثمراً.

إذاً عندنا مسؤولية ثانية تجاه كلمة الله إذ لا يكفي أن أقرأ الإنجيل من أول صفحة إلى آخر صفحة فيه تسعين مرة بل المهم انك إذا اقتربتَ من كلمة الله وواجهتَ الأسرار الإلهية وحياة الكنيسة فبأي قلب تواجهها؟

هنالك قلب متحجر، هنالك قلب بارد، هنالك قلب مقاوم، هنالك قلب ناكر، قلب حاقد. هذه القلوب إذا طرقتها كلمة الله فتكون النتيجة تماما كما لو أنك زرعت بذرة في أرض مجدبة فيكون الموت المحتم مصيرها.

تتساءلون ونتساءل جميعاً لماذا الكثيرون من المصلين، أو من المؤمنين المداومين على الكنيسة يسيئون في كثير من الأحيان التصرف؟ ذلك، أيها

الأحباء، لأهم فتحوا آذاهم، فتحوا عيوهم و لم يفتحوا قلوهم.

القلب الذي لا ينفتح لا يمكن أن تثمر فيه الكلمة الإلهية. لا يمكن أن تعطي حياة، أو زرعاً بالمعنى الحقيقي لكلمة الزرع. وإن أخذناها بمعنى آخر فالذي لا يحبل بالكلمة الإلهية يلد بغضاً وكراهية وشراهة.

يجب أن تحفظ الكلمة الإلهية في قلب جيد صالح. معنى ذلك يجب أن نتمرن على الجود، أن نتمرن على الصلاح، يجب أن نعرف محاسبة أنفسنا يومياً لنتأكد فيما إذا كنا جديين، فيما إذا كنا صالحين، وإلا فعبثا المجيء إلى الكنيسة، ولا تجدي قراءة الإنجيل.

اختبروا أنفسكم، اختبروا أرواحكم يقول بولس الرسول. لأن الغاية ليست أن تتعلم فقط، ولكن أن تعيش، والحياة مركزها في القلب وقلب الإنسان يدفعه لكي يحيا، يدفعه أن يتطهر، وإذا تطهر القلب، تطهر العيش. وإذا لم يتطهر عيشنا فماذا نفعل في هذا العالم؟ كيف نكون نحن بذرة صالحة إذا لم نكن نحن صالحين.

فليفحص كل منا ضميره. القائل بالمحبة ألا يحب؟ القائل بالإيمان ألا يؤمن؟ القائل بالرحمة ألا يرحم؟ القائل بالغفران والمسامحة ألا يغفر ويسامح؟. الويل لمن يخطئ إلينا، الويل له، سيعرف العفو والغفران من أي إنسان على الأرض إلا منا.

نتكلم عن القلب الجيد وعن كلمة الله. وكلمة الله على الأرض كان تاريخها غفراناً وغفراناً وغفراناً ومسامحة ليس أكثر. ونحن لا نغفر إطلاقاً ونحن لا نسامح. نحن حقودون، نمامون. نحن نرجم الآخرين وكأن كل واحد منا ليس

إلا جلاداً. جلادون نحن بالنسبة إلى إخوتنا.

ويذكر الإنجيلي لوقا صفة أخرى هي الصبر. يقول: القلب الذي يريد أن تأتيه كلمة الله، وأن يثمر، وأن ينتج وأن يحبل بها ليلد. هذا القلب يجب أن يكون قلباً صبوراً أيضاً. نتكلم هذه الأيام عن تعب الأعصاب، عن الإرهاق العصبي «النرفزه». الكل بحالة عصبية. ما عاد الواحد يطيق الآخر. ما عادت المعايشة ممكنة تقريباً. هذا نجده حتى في عائلاتنا وأنه ما عاد الأخ يطيق أخاه. ما عادت المرأة تحتمل زوجها. ما عاد أحد يحتمل أحداً. الكل عصبيون. الكل لم يعد عندهم صبر.

نعم، أي صبر هو صبر ذاك الذي لا يعتبر أن عليه هو أن يموت وأن على أخيه أن يحيا؟ لذلك أمام أخطاء أخيك، أمام تجاوزات أخيك، أمام الأذى الذي يلحقه بك أخوك لا يمكنك إلا أن تكون صابراً، صامتاً، متواضعاً، قابلاً، متكلاً على النعمة الإلهية قبل أن تتكل على أي شيء آخر. الصبر في النهاية هو محك الإيمان أيها الأحباء. الإنسان الصبور، الطويل الأناة، الرحب الصدر، القابل، المحتمل، هذا الإنسان يبرهن على أنه بالفعل يجب أن ينفتح لإخوته، وليأتوا كما هم، كائنين من يكونون. فهو مستعد أن يتحملهم باسم الله وبسبب كلمة الله التي فيه. فإذا لم تتغير قلوبنا، وإذا لم يكن قلبنا قلباً صابراً فكلمة الله ستكون عقيماً في قلوبنا.

أيها المهتمون بهذا الزرع، حضروا هذه الأرض وافلحوها. افلحوا قلوبكم بالجود والصلاح والصبر. افلحوها وإلا سيقول لكم أي إنسان بسيط: أيها الضالون من يطلب الكلمة الإلهية كيف يرضى بأن يكون ملآناً بالشوك والحسك كيف؟

فلننظف قلوبنا أيها الأحباء، ولنــزرع فيها الجود والصلاح والــصبر. عندئذ تصبح كلمة الله فينا آلاف الكلمات، والقوة البــسيطة تــصبح عنــدنا مجموعات هائلة من الطاقات الخيرة والقوى الحسنة.

كلنا مسكون والله الشافي*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

سمعنا اليوم باختصار في الإنجيل المقدس كيف أن أحد المصابين كانت إصابته شديدة. هذا الشخص المصاب أتاه المخلّص على غير ميعاد وخلّصه من علّته.

وعبارة «الأرواح النجسة» في الكتاب المقدس تعني أن في الإنسان عنصراً يعذبه، عنصراً يضطهده وهذا ما نقصده اليوم بالضبط عندما نقول: فلان غير مرتاح، فلان معقّد، فلان فيه مس من الجنون، هذه المعاني كلها يستعمل من أجل التعبير عنها في الكتاب المقدس القول: فلان فيه روح نجس.

حاول العلماء منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم أن يدرسوا طبقات التكوين البشري فكما أن هنالك طبقات للأرض هنالك أيضاً طبقات للنفس البشرية: هنالك الطبقة التي ورثناها وهذه لا نعرفها دائماً، هنالك الطبقة التي أُعطيت لنا بالتربية وهذه دائماً لا نعرفها، هنالك طبقة تعطينا إياها غرائزنا وهذه نخفيها أو نظهرها وهي أيضاً لا نعرفها دائماً وهنالك الطبقة التي تمثل علاقة الواحد بالآخر والطبقة التي تمثل علاقة الإنسان بمجتمعه.

المجنون المسكون هو الإنسان الذي عقله غير عقلنا، تفكيره غير تفكيرنا واهتماماته غير اهتماماتنا لذلك فهو لا يشارك الناس اهتماماهم ولا يشاركهم

* اللاذقية، الأحد الثامن عشر بعد العنصرة، ١٩٧٥/١٠/٥

تفكيرهم. هو في منأى عنهم يعيش وحده مترويًا ومعتزلاً، إنه ينفصل عن مجتمعه، ينفصل عن عائلته، ينفصل عن الجميع.

يحاول الطب اليوم أن يحدد مَن هو الإنسان المريض فوجد أننا كلنا مرضى وأن مقاييس الصحة تختلف من شخص إلى آخر فما يصلح لواحد لا يصلح لآخر وبالنهاية هنالك مريض وليس هنالك مرض، وكما في الجسد كذلك في النفس فكلنا مسكونون من الجن إلى حد وبمقدار، وكلنا مرضى ونحتاج إلى الحذر لئلا يزداد المرض سوءاً ويقتلنا.

المسيح عندما أتى فوجئت به الجن والأرواح النجسة في ذلك المجنون «ما لي ولك يا يسوع، هل جئت لتعذبنا؟» لم تكن الأرواح النجسة في ذلك المجنون تتوقع أن يأتي المخلص، فكان مجيئه مفاجأة لها وعندئذ ـــ كما يقول الكتاب المقدس ـــ أحدث المخلص تغييراً في شخص المجنون، طرد من المجنون الأرواح النجسة فهربت فعاد ذلك الإنسان سليم العقل معافى.

أيها الأحباء، لأننا جميعاً «مسكونون» بمقدار من المقادير وكلنا يحتاج إلى الشفاء بمقدار ما هو مريض وليس من أحد، كما نقول، يبقى فوق الغربال إذا ما غُربلنا.

نسمع الآن الكلمات الطنانة الرنانة: يشفى الإنسان من أمراضه بالتطور الحضاري، بالرقي، وننسى أن التطور يشمل الإنسان برمته، يشمله هو وأمراضه. فالمجنون يتطور جسمه وكذلك جنونه. الإنسان عندما يتطور تتطور معه نفسه لذا تتطور معه عيوبه، نقائصه، ويلجأ إلى التفنن بإقامة أصنام جديدة.

الحاجة، يا أحباء، إلى أن يحدث في الإنسان شيء جذري، انقلاب،

يجب أن ينتزع الإنسان من قلبه الجن السيئ ليحل محله الجن الصالح وبدون هذه العملية ليس من شفاء. الشفاء يكون إذا تنظّف الإنسان، إذا تطهّر الإنسان وسكنه الروح الصالح.

الروح النجس نتعرف إليه في أنفسنا إذا محصناها جيداً وسبرنا غورها عميقاً. البغض، الكراهية، الحقد، برودة الإيمان كلها من أفعال الروح النجس ولكننا لا ننتفض عليها. عندما يصيبنا وجع ما في معدتنا، في رأسنا، في رجلنا نهرع إلى الطبيب وكأن الكارثة قد وقعت. وأما عندما تنتن نفوسنا فلا نفعل شيئاً.

الصلوات، الأصوام، التلاوات، السجدات... هذه، أيها الأحباء، ليست فواتير نسدد بها الحساب لربنا فالرب لا يهمه الظاهر بل يهمه الباطن، يهمه أن تحولنا الممارسات المذكورة إلى إنسان آخر، أن تقتلع الزؤان وتزيل كل الشوائب من ذواتنا كي نتطور إلى الأفضل ونصبح إنساناً جديداً وخلقة جديدة بنعمة الرب يسوع.

كلنا «مسكون» واحتجاز المسكون لا يشفيه وإنما يشفيه إخراج الشيطان منه. المطلوب إنسان جديد يسمع كلمات الإنجيل فتترزع في قلبه وتغير ذلك القلب وتبدله. المطلوب في صيامنا أن تنغرس الرحمة والرأفة فينا. المطلوب أن ندخل الكنيسة إنساناً ونخرج منها إنساناً آخر، ندخلها سود الصفائح ونخرج بيضها، ندخلها مدنسين ونخرج نظفاء طاهرين أنقياء.

أسأله تعالى الذي على غير ميعاد أتى وشفى ذلك المجنون أن يأتينا على غير ميعاد وينتزع منا الروح الشرير.

أليس هذا ابن يوسف النجار*

المطران اغناطيوس هزيم

كان بولس الرسول يشدد في مخاطبته الكنيسة على أن الإنجيل الذي يقدمه ليس من صنع إنسان. ما معنى كلمة إنجيل؟ معناها بشارة، معناها خبر. وهذا الخبر في الكنيسة الأولى كان محصوراً بالقول: إن الرب يسوع قام من بين الأموات وانتصر على الموت.

إذا كان بولس الرسول يقول للكنيسة: أنا إذا كنت أخبر بأن الرب يسوع قد قام من بين الأموات وأنه غلب الموت فهذا الشيء لم يأت مني مباشرة ولكنه أعلن لي. أنا لا أقدم لكم من نتاج فكري، ولا أقدم لكم من نتاج ذكائي ومهارتي. ولكنني أقدم لكم ما أعطاني إياه الرب حتى أوصله إليكم.

ويقول بولس الرسول: من أنا كإنسان؟ أنا الذي خاطبكم بالإنجيل، الذي خاطبكم بقيامة الرب، أنا إنسان كنت مشهوراً باضطهاد الكنيسة، لا بل أكثر من ذلك كنت فائقاً بالاضطهاد كلَّ أترابي، كلَّ أصحابي وزملائي. كنت الأول بين المتفننين بالاضطهاد. وما كنت أفعله بالكنيسة كان بالضبط من أجل ملة اليهود.

كإنسان، من أنا كإنسان؟ هذا يذكرني يا أحباء كيف أننا دائماً نركز على الإنسان وننسى في كثير من الأحيان أن الإنسان هو مرسل إلينا. كل إنسان ملاك بالنسبة إلينا – الملاك معناها رسول – كل واحد من الحاضرين،

* اللاذقية، الأحد العشرون بعد العنصرة ١٩٧٥/١٠/٢٦

كل واحد من الغائبين يرسله الله إلينا لأنه هو صالح. ليس لأنه هو المسيح ولكن لأنه هو يحمل الصلاح، يحمل المسيح بقطع النظر عن شخصيته هو.

عندما كان المخلص في قريته يبشر بعالم الخلاص اجتمع بعض الناس حوله وتهامسوا كما نتهامس في كثير من الأحيان: «مَن هو هذا الشخص؟». مَن هو ليبشر؟، وابن مَن حتى يتكلم ونسمع له؟ حتى أن الإنجيل استعمل العبارة التي نطقوها «أليس هو ابن النجار» من أين أتته المعرفة والفلسفة؟ من أين أتاه التقى؟ من أين أتته الفضيلة؟. الكل هزءوا به وسخروا منه. من هو هذا الذي يبشر؟

ونحن الآن نقول عن المتكلمة بالصلاح: من هي حتى تتكلم؟ الآن صارت تتكلم بالصلاح. وكذلك الشاب الذي يتكلم بالصلاح أليس هو الذي أخرجوه أمس من المقهى؟ الآن صار يعرف الإنجيل؟. نحن نأخذ الإنسان المبشر كإنسان. أما بولس الرسول فيقول: «أنا بالإعلان الإلهي أتكلم». هذا يعني يا أحباء أن كل واحد منا لا يعرف متى يستخدمه الروح الإلهي لأن كل واحد منا شاء أم أبى هو في حالة توقع لنزول الروح الإلهي عليه. كل واحد منكم ملاك مرسل. كل واحد منكم في حالة توقع أن ينزل فيه الإنجيل لكي ينقله للآخرين. وحتى ينطق لسانه بالبشارة، وحتى تنطق شفتاه بالبشارة، وحتى يفرح قلبه ويُفرِح القلوب ببشارة الإنجيل، وفي النهاية حتى تسير قدماه في طريق الإنجيل. كل واحد مدعو إلى أن يسير في هذه الطريق. لذلك لا نستغربن أن يكون الإنسان بالذات هو الذي يعطي كل شيء وهو الذي يدلنا إلى طريق الخلاص.

من نحن؟ لسنا بشيء. كل واحد خاطئ. كل واحد منا كبشر ليس

بشيء. الكل بدون استثناء. ومن قال إنه ليس بخاطئ يقول الرسول يعقـــوب: وكأنه بذلك يكذب الله. كل من يقول إني بلا خطيئة ليس فقط هـــو كـــاذب ولكنه يقول لله أنت كاذب لأنك أرسلت ابنك الوحيد للخـــلاص وفي الأرض جماعة نقية طاهرة.

ولكن مع إن كل إنسان خاطئ فالكلمة الإلهية تنتشر بواسطة الإنسان. بواسطتكِ أنتِ، بواسطتكَ أنتَ وبواسطتكم جميعاً تنتشر الكلمة الإلهية وتتوسع. إنها خميرة. خميرة صغيرة، ولكن الخميرة لا توضع جانبا بل في قلب العجين كي يتخمر العجين بكامله. هي بذرة، حبة حنطة تطمر في الأرض. ولكن إذا بقيت حبة الحنطة في الأرض لن يكون هنالك حنطة للناس، ولن يكون هنالك طعـــام وحياة على وجه الأرض.

أيها الأحباء، هذا الإنجيل احملوه. هذا الإنجيل يجب أن نحمله. لا تحتقروا الإنسان الذي يحمله ولا تؤلهوه. خذوا منه الإنجيل المقدس. خذوا منـــه بـــشارة الملكوت. ألم يعمل الرب لكم شيئاً حسناً؟! يعيش الإنسان عشرات الـــسنين، وينجب أولاداً ويعطى رزقاً وصحة وعافية، أليس في هذا كله ما يوجب ذكـــر اسم الله؟ لماذا لا يحدث الواحد منكم الآخر بما فعل الله له من خير؟ لماذا؟ لمـــاذا نلوم الله على المصيبة ونلومه على الخسارة؟ ولكننا لا نذكره في يوم الخير؟ لماذا لا نذكره في الحسن؟ لماذا لا تدور أحاديثنا حول ذكر اسمه القدوس؟

يا أحباء، نتعلم اليوم من بولس الرسول أننا بالتأكيد خطـــأة، ولكننـــا بالتأكيد نحمل كلمة الله وأن علينا أن نحملها لكل إنسان كي يفرح كل إنسان بالخلاص، وينبلج الله في القلوب، وتصبح الكلمة على الأرض خميرة، ويتمجـــد اسم الرب إلى الأبد آمين.

يسوع وهيرودس*

المطران اغناطيوس هزيم

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

سمعنا في المقطع الإنجيلي المبارك كيف أن قوماً دنوا من يسوع ونصحوه قائلين: الأفضل لك أن تترك هذا المكان لأن الحاكم يريد أن يقتلك فكان جواب المخلص وهو أعنف رد ورد على شفتي المخلّص في الإنجيل كله: «اذهبوا وقولوا لهذا الثعلب إني أخرج الشياطين وأشفي المرضى اليوم وغداً وفي اليوم الثالث أكمل» (لو١٣: ٣١ و٣٢).

مَن هو الإنسان الذي وصفه يسوع بالثعلب؟ إنه هيرودس. وبكلام آخر: قولوا لهيرودس أن يفكّر بما يشاء أما أنا فأعرف أمراً واحداً وهو أنني الآن أشفي المرضى، وأنني الآن أخرج الشياطين وأنني في وقت من الأوقات سأموت حتماً ولكن بعد أن أكون قد أتممت عملي وأديت حسابي. وفي اليوم الثالث أقوم.

الرب يسوع كما نلاحظ في هذا الجواب كان مصمماً على عدم التراجع عن رسالته قيد شعرة. أولاً يجب أن يشفي المرضى وأن يخرج الأرواح النجسة من الناس وبعدئذ يأتي الموت وأَكْرِمْ به موتاً. إذن الرب يسوع لم يكن عنده أي نوع من التردد. كان مصمماً على أن يقدّم نفسه أولاً من خلال الأعمال الطيبة للناس وبعدئذ أن ينتهي إلى أن يقدم نفسه.

* اللاذقية، الجمعة من الأسبوع الحادي والعشرين بعد العنصرة، ١٩٧٥

هذا يا أحباء، ليس موضوعاً للتغني أو للتلذذ بكلام الإنجيل ولكنه في الواقع يدل على أن المخلص يقبل أشياء ويرفض أخرى. إنه يقبل أن يموت ويستعد لذلك ويتصرف على أساسه ولكنه يرفض إطلاقاً أن لا يكون بين الناس شافياً، أن لا يكون بين الناس مقوياً وداعماً. وبكلام آخر إنه يرفض أن يكون بين الناس ميتاً وهو حي. كم من الناس هم بمثابة أموات وهم أحياء. كيف لا نكون أحياء؟ نكون كذلك إذا كان المريض إلى جانبنا ولا نخدمه، إذا كان المحتاج إلى جانبنا ولا نفيه حاجته وإذا كنا لا نعزي المحزون ونفرح مع الفرحين. فإذا لم نكن كذلك فكيف نكون أحياء؟ وما معنى هذه الحياة؟

الحياة البيولوجية، الحياة العادية كل الكائنات الحية تحياها وهي لا تليق بالإنسان لأنه يطلب منه الأكثر، يطلب منه أن يكون في خطى الرب يسوع حياً وهو حي وأن لا يكون ميتاً وهو حي. يطلب منه أن يصمم على الحزم، أن يكون حازماً في تقديم رسالته. وهذه الرسالة تُتَمَّم في مَن أُعْطوا له.

والرب يسوع لم يكن يعرف أن يحاسب كما نحاسب نحن. نحن في أعمالنا مع الآخرين نحاسب وكأننا نريد أن نكيل الأشياء بالمكيال الأفضل وبالمقياس الأفضل والأدق. هذا النوع من الحساب ما كان يعرفه الرب يسوع. كان يعرف أن حياته المعطاة لكل واحد منا تبدأ صغيرة وتنتهي كبيرة، تبدأ جزئية وتنتهي كلية، تبدأ نسبية وتنتهي مطلقة. تبدأ العطاء بأشياء صغيرة ثم بالأعظم فالأعظم إلى أن تصل إلى بذل كل ما عندك، إلى حياتك.

نحن نعمل بالعكس تماماً، حياتي يجب أن لا تُمس، ما عندي يجب أن لا يُمس وأما ما أعطيه فمن فضلاتي أو مما هو ثانوي بالنسبة لي. هذه ليست هي الخطة الإلهية.

في هذا الصباح يطلب إلينا في الكتاب المقدس أن نعيد النظر بطريقة عطائنا لأنفسنا، أعني تقديم أنفسنا للآخرين. يطلب إلينا التصميم الذي شاهدناه عند الرب يسوع السيرَ في هذا المنطق المتكافئ: من القليل نحو الأعظم فالأعظم حتى نصل إلى الكل. يطلب إلينا أن نسلك طريقه هو. لقد بدأ طفلاً صغيراً بيننا ونحن نبدأ صيام الميلاد وغداً سيكون شاباً كبيراً يعطي كل ما لديه في سبيلنا جميعاً. آمين.

دع كل شيء واتبعني*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين.

نعيد اليوم للإنجيلي متى، وإنجيله هو الأول في الكتاب المقدس. الإنجيلي متى في ماضيه كان جابياً، كان ينتمي إلى هذه الفئة التي لا يحبها الناس، وكان غنياً.

هذا الشخص عندما طلب إليه المخلص أن يتبعه ترك الجباية، وترك أمواله وتبعه. ويقول لنا متى نفسه وكأنه يفسر لماذا ترك أمواله ولماذا ترك وظيفته وتبع المخلص، يقول إنه انتقل من مرتبة ذوي السلطة إلى مرتبة الجماعة التي ليس عندها سلطة، الجماعة البسيطة. وانتقل من مرتبة الأغنياء إلى مرتبة الفقراء لا بل أكثر من ذلك انتقل من مرتبة الذين يَدَّعون الصلاح والإيمان والتقى إلى مرتبة الذين يعرف جميع الناس أنهم خطأة.

أين نجد المخلص؟ الإنجيلي يدلنا إلى مكان المخلص. المخلص نجده، كما يقول الإنجيل مع العشارين والخطأة. إذاً من يفتش عن المخلص بين المرفهين، الذي يفتش عن المخلص في الأماكن التي لا يصل إليها الغبار هذا الإنسان لن يجد المخلص. المخلص ليس عند أولئك الذين يعتبرون أنفسهم ويعتبرهم الناس هياكل طاهرة. المخلص ليس هناك. المخلص كالطبيب وقد شبه نفسه بالطبيب. أين تجد الطبيب؟ تجده حيث المرض حيث الانحلال الصحي، حيث الجراثيم.

* اللاذقية، الأحد الثاني والعشرون بعد العنصرة ١٩٧٥

فهناك تجد الطبيب. ولا تجده في المقهى، ولا تجده في الصالون، أو في أمكنة الترفيه. الطبيب الذي يشرف على مريض لا يهمل مريضه ساعة واحدة، وكلما ازدادت شدة مرضه ازداد هو التصاقاً به وقرباً منه وحدباً عليه.

وهكذا تبع متى المسيح، تبعه من المكتب، من الكرسي إلى حيث الحصير، إلى حيث الجماعة الفقيرة وترك مكان الأمر والنهي إلى حيث الجماعة التي لا تعرف إلا أن تطيع ولم يُعْطَ لها أن تأمر لكن أعطي لها أن تطيع دائماً. والمسيح هناك دائماً يوجد. فلماذا أذيع عن المسيح أنه يوجد في العظمة والفخفخة، في السلطة والبهرجة؟!

بعد ألفي سنة من المسيحية نجد الذين يصلون الآن في الكنيسة: الخوري والمطران والسيدة والسيد، الجميع يفتشون عنه في العظمة والفخفخة والمظاهر والسلطان والجبروت. يفتشون عن العكاز الذي يضرب فيهز الأرض. يفتشون عن الكلام الذي يرهب الناس. يفتشون وكأنهم يفتشون عن ملك بالمعنى الإنساني.

لماذا تكذبون المسيح؟ لماذا نكذب المسيح؟ ما قال لنا: سأكون بين هؤلاء. ما قال: سأجلس معهم. قال إذا شئتم أن تجدوني ففتشوا عني بين العشارين والخطأة، بين أولئك الذين تسخرون من سلوكهم، ومن أعمالهم، ومن مقامهم، من تصرفهم الاجتماعي. هناك المسيح وليس في الأمكنة التي فيها الإنسان الطاهر، العفيف، المنزه.

قال لي أحدهم مرة - وهذا نقوله دائماً في قلوبنا — أنا والحمد لله لا أدخن، ولا أشرب الخمرة، ولا ألاحق النساء. فأنا والحمد لله بدون خطيئة. فكان جوابي له: يا صاحبي إذا كنت بلا خطيئة، فالله ليس لأمثالك. الله لأمثالي

أنا الخاطئ.

لماذا يسأل الإنسان نفسه، لماذا ننجرف في تيارات العالم عن وعي أو عن غير وعي؟ المسيح إذا كنت بالفعل تفتش عنه فهو هناك حيث لا تجد أحداً، مع الباكي الذي ليس من يعزيه. مع الفرح الذي ليس من يشاطره فرحه. مع الكسير القلب الذي ليس من يسانده، هناك المسيح.

وهنالك كثيرون يقولون يجب أن تتطور الكنائس، تتغير ملابس رؤساء الكهنة، يجب أن يحصل انقلاب في كل شيء. لماذا نبشر بالفقر ونحن نُظْهِر الغنى؟ لماذا نبشر بالبساطة ونحن نعطي المثل لعدم البساطة؟ لماذا؟! إلى متى سيبقى الوجدان يوبخ؟

الذي نعيد له اليوم غادر السلطة والمال، فلماذا نحن نحترم حيث هنالك قوة وحيث هنالك مال؟ لماذا نجل القوي بالسلطة والمال ولماذا لا نعاشر المسيح لكي نقدر قيمة البساطة، قيمة الفقر، قيمة الحرمان، قيمة كل هذه.

السر في أننا نخاف. السر في أننا جبناء. أشعر بقلبي يدق، وبأعصابي ترتجف عندما لا يكون في جيبي المال الذي يؤمن لي طعام الغد: خوف. خوف. قلق. أشعر أنه في اليوم الذي فيه لن يستمع إلي أحد سأصبح لا شيء. إنه الخوف والجهل. يوم لا يسمع لي أحد يبقى عندي شيء هو الأعظم إذ أني أبقى قادراً على حب كل واحد. ولكن هذا ننساه.

أيها الأحباء، الكلام الإنجيلي الموجه إلينا ليس موجهاً لنسمعه ونتغنى به، ولكنه موجه إلينا كي يَخزَنا في قلوبنا، كي يحرك نفوسنا، كي يبدل فينا شيئاً. الذي لا يغيره الإنجيل ليس مؤمناً. الذي لا يغيره أتباع المسيح ليس مسيحياً.

فلنكن صادقين مع أنفسنا وطريق المسيح كما قال الكتاب المقدس: «البساطة». طريق المسيح أن تكون كالطبيب موجوداً لا في الصالون، ولا حيث العظمـــة، ولا حيث الفخفخة ولكن مع أولئك الذين هم بمثابة المريض. هؤلاء يحتـــاجون إليه ولا يحتاج إليه من نظنه صحيحاً.

الكنيسة فرحنا*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

في هذا العيد المبارك الذي أسأل الله أن يكون مباركاً عليكم جميعاً وعلى هذه البلدة وجميع القرى وعلى الحاضرين في هذه الكنيسة المقدسة والغائبين عنها، على الساكنين في هذه المنطقة والنازحين عنها. في هذا اليوم أسأله تعالى أن يسبغ علينا بركاته ويفتح قلوبنا لسماع كلمته.

يرتبط عيدنا اليوم بعنصرين: العنصر الأول هو التعييد أي الفرح، والعنصر الثاني هو العذراء والدة الإله.

هذه الكنيسة في كل أعيادها تعتبر أن الفرح يجب أن يعم جميع الأبناء لذلك تميزت أعيادنا بأنها شعبية أصلاً: فللطفل فيها حصة، وللشاب والصبية حصتهما، وللجميع بدون استثناء نصيب: للذي يصلي نصيبه، وللذي لا يصلي نصيبه أيضاً. فرح الكنيسة، أيها الأحباء، هو من النوع الذي يجعلك تفكر بكل واحد من عائلتك، من أقربائك، من المنتمين إليك والذين تنتمي إليهم.

يوم الفرح الكنسي يوم يلتئم فيه الشمل، يجتمع فيه المتفرقون والمتباعدون. ويتصالح فيه المختلفون. ما يجعلني أقول هذا القول هو أن الفرح في لغة الكثيرين أصبح يعني شيئاً بسيطاً، محصوراً لا يتعدى حد اللذة. اللذة شيء شريف، اللذة شيء سام، ولكن ليست كل لذة شريفة، وليست كل لذة سامية.

* اللاذقية، عيد رقاد السيدة، ١٩٧٥/٨/١٥

هنالك لذة تجعلك بعيداً عن أهلك. أولادنا ما عادوا يجتمعون حولنا في ساعة الفرح، أولادنا يتركون الأم والأب، يتركون الكنيسة، يتركون كل إنسان عندما يدق جرس اللذة، ويتفرقون أشتاتاً فلا يعود الأخ يتعرف إلى أخيه، ولا الأخ إلى أخته. هنالك فرح مفرِّق، هنالك فرح مشتت للعائلات، وهذا هو الذي يُبشَّر به في كثير من الأحيان. ما عاد الناس يفرحون، ما عادت العائلة مكاناً للبهجة، فهنالك الخمّارة وهنالك المقهى، وهنالك المسبح. هذه الأماكن التي تُفَكِّك المحب عن أحبائه. أما فرحنا اليوم فبرؤيتكم جميعاً، فرحنا اليوم بشعب الله يجتمع ليفرح الواحد بالآخر، فرحنا اليوم هو الفرح الذي يجعلك تتذكر كل من تكون قد نسيته. لذلك ذكرت الفرح اليوم، وهذا الفرح الذي يجمعنا هذا الصباح وقد جمع الكثيرين إليكم، وجمعكم إلى الكثيرين. هذا الفرح أسأل الله أن يديمه عليكم جميعاً.

أما العنصر الثاني: هذا الفرح مرتبط بالمرأة، يا أحباء. نحن في هيكل الله، في المكان الأشد قداسة من أي مكان آخر. نذكر هذا الاسم بينما كثيرون يشعرون بأنه لا يستحق الكرامة. نحن نذكر في هيكل الله أماً للجميع، العذراء مريم. بينما أصبح الكثيرون يخجلون بأمهاتهم، يخجلون بأخواتهم ويجعلونهن نسياً منسياً. في هذا العصر أصبحت البنات، أصبحت السيدات ينسين أنفسهن كأمهات. نحن من مكان القداسة ومن مركز الطهارة نعلن حبنا لأمهاتنا وأخواتنا، نعلن حبنا للزوجات. نعلن حبنا لتلك الأم التي بدونها لا نعتقد أنها تقوم للعائلة قائمة.

لماذا تستعفي نساؤنا من الأمومة اليوم؟ لماذا تستعفي بناتنا من المسؤوليات في هذا المجتمع؟ لماذا نبقى مجتمعاً نصف مشلولين؟ وكنسياً نصف

مشلولين؟ وعائلياً نصف مشلولين؟

اليوم ونحن نعيّد للعذراء شفيعة سيداتنا من أمهات وأخوات ومحبات. أذكّر الكل بواجباتهن، أذكرهن بأنهن في البيت وخارج البيت هن يصنعن إنسان المستقبل ورجل الغد وأن رجل الغد يكون كما نصنعه اليوم في بيوتنا. فإذا صنعنا المنافق والكذّاب والغشاش والمستغل والمستهتر فغدنا لن يكون مغايراً لإنساننا هذا. في البيت كلمة الحنان، كلمة الصدق كلمة المحبة والعيش بالتضحية والبذل. هذه تهيئ لنا رجالاً هم بدورهم يعدّون مستقبلاً عامراً بالمحبة، عامراً بالعطاء، عامراً بالإخلاص والخُلُق الحسن.

لقد ذكرت هذين الأمرين لاعتقادي بأنهما أساسيان وهما كذلك فعلاً في نظر الكنيسة التي إليها ننتمي.

أيها الأحباء، هذا اليوم يوم الفرح الجامع، الفرح الذي لا يفرِّق أدعوكم إلى أن يفرح واحدكم بالآخر فرحاً لا حد له. وأدعوكم إلى فرح بصاحبة العيد الصورة الحقيقية للأم والأخت والحبيبة. وأدعو الله أن يسبغ علينا بركاته ويبقيها غزيرة. آمين

كنيستنا فخرنا*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

كل عام وأنتم بخير. يسعدني جداً، يا أحباء، أن أكون في هذه البلدة الطيبة في هذا اليوم المبارك. ويسعدني جدا أن أرى كنيستنا وهذا المكان البهج، نظيفة وموضوع عناية واهتمام. أنوه بذلك رغم أنه واجب علينا.

عندما دخلت هذا المكان المقدس أحسست بأن علينا واجبا تجاهه، هذا الواجب يقضي بأن يكون دائماً الوجه البراق لهذه البلدة. ليس من مكان آخر يمكنه الادعاء بأنه الوجه الحقيقي لهذه البلدة أكثر من هذا المكان المقدس.

نحن مؤمنون بأننا في هذه الكنيسة المقدسة نحقق أشياء لا تتحقق خارجها. نحن مؤمنون بأن في هذه الكنيسة تتحقق النوايا الطيبة. فمن قدم للكنيسة نوراً شاهده نوراً ومن قدم لها بخوراً شم رائحة البخور. هنا ليس من تزييف للنوايا ولا حتى من تحوير للتقدمات. كل ما يقدم لهذه الكنيسة وجب علينا أن نوصله إلى الغاية التي قدم من أجلها. نية الناذر، نية الموقف، نية الواهب مقدسة في نظرنا لذلك نعتقد بأن الذي يتصرف كما يشاء بنية الموقف أو الواهب هو إنسان معرض للدينونة أمام الله لأن نية المعطي مباركة وملزمة لنا ونحن مقيدون بها. وعندما يقدم المؤمن خمسة قروش كي تضاء بها شمعة فمن الواجب أن تستخدم القروش الخمسة لإضاءة شمعة ليس إلا. لسنا أحراراً في

* اللاذقية، الأحد قبل عيد الصليب ١٩٧٥/٨/٧

التصرف بالهبات فالكنيسة المقدسة باعتقادنا هي المكان الذي يجب أن تتحقق فيه الأمانة كلياً.

يا أحباء، إذا كان إنسان حارساً لمكان فلا تطلبن منه أن يخون الأمانة. نحن مؤمَّنون على الكنيسة لذا فهي في نظرنا قبل كل اعتبار، أما الذي يطلب إلينا أن نكون يهوذا فليعلم أنه خاب في مطلبه. لا تطلبوا من شخص مؤمن على قطيع أن يترك الذئاب تفترسه وهو يتفرج. لا لسنا أجراء ولستم كذلك. الكنيسة كنيستكم أباً عن جد. وهذه الكنيسة ستكون لكم طالما فيها حجر فوق حجر. هذه مصب اهتماماتنا وهذا ما عاهدنا الله عليه. أوليست الكنيسة كانت دائما ولا تزال وجه البلدة؟

لا أخفي عليكم أن نوعاً من القلق ساورني عندما طلبت أن نشترك جميعاً بتلاوة دستور الإيمان «أؤمن بإله واحد...» وكذلك بالصلاة الربية «أبانا الذي في السماوات...» إذ إني لاحظت أن ليس كل الحاضرين معنا في الكنيسة لا سيما الأولاد منهم يعرفون دستور إيمانهم. فإذا كان أولادنا لا يتعلمون دستور إيمانهم في ظل المدرسة التي بنتها الكنيسة، فأي دستور إيمان يتعلمون؟ إننا نخون النوايا التي من أجلها أوقفت الأموال ومن أجلها أقيمت المدارس.

نحن لا نخجل بكنيستنا. غيرنا حر في أن يخجل بها أما نحن فنفخر بها. وهنا أذكركم، أيها الأحباء، أن الكنيسة هنا وفي كل أقطار المسكونة كانت الرائدة في التعليم على كل درجاته، كانت السباقة في بناء المستشفيات والأولى في لملمة الأطفال المشتتين والذين لا أهل لهم. العدالة الاجتماعية هي في صميم إيماننا. الكنيسة ما أجرمت بحق أحد وهي نور لأن ربها وإلهها نور.

في صلاتنا ذكرت، أيها الأحباء، اسم شاب هو الآن في أميركا يسام

الآن كاهناً. شبابنا موزع هنا وهناك، لماذا؟ لأنه يقدم لهم هناك كل شيء: المعرفة، الاختبار، الآفاق الواسعة ولا يطلب منهم أن يكونوا عمياناً. شبابنا يؤمن بأن حرية أبناء الله ليس من بعدها حرية وإن فضيلة أبناء الله ليس بعدها من فضيلة. شبابنا يندفع حاملاً المشعل إلى العالم كله يبشر ويتعب ويضحي. شبعنا كلاماً نريد أن نرى المضحين. الله أحب العالم فلم يشبعه كلاماً بل أرسل ابنه الوحيد ليموت فداء عن الجميع.

أذكر شبابنا بهذا وأحذرهم من الضلال. الكنيسة نور ولا نريد لهم إلا أن يكونوا مستنيرين. أن يعرفوا متى يقولون نعم ومتى تكون اللا. نريد شبابنا مسؤولين ويتحملون المسؤولية عن معرفة لا عن جهل.

هذا يوم مجيد حقاً وأنا أقول دائماً إن أجمل ما في الصلاة أننا نرى الوجه الإلهي وأنا أراه فيكم. ما أحلى أن أرى النور الإلهي يشع في عيونكم كلكم ولكنني لا أراه إلا في عيون البعض فالكثيرون لهم آذان ولا يسمعون ولهم عيون ولا يبصرون. وعندما أرى لهفة وحرارة في قلوب البعض تغمرني سعادة ما بعدها سعادة وأحس بأن الله يشرق في قلوبكم وأنه يتجلى في عيونكم.

إنني أسأله تعالى وقد جمعنا هذا الصباح أن يديم على قريتكم نعمته الإلهية وأن يبارك عائلاتها وأولادها كباراً وصغار وأن يحفظهم من كل شر، من كل نميمة ومن كل كفر به وتنكر له أنه السميع المجيب. آمين

سلاحنا لا يُقهر*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

يقول لنا الإنجيلي مرقس هذا الصباح إن يسوع كان مجتمعاً في بيت وأن جمهرة من الناس كانت قد اجتمعت إليه. ويتابع ببساطته المعهودة أنهم كانوا كثراً إلى حد يصعب فيه إطعامهم ولو خبزاً فقط. وهنا عرض ليسوع حدثان:

الحدث الأول: عندما دخل إلى المترل أنسباء ليسوع وحاولوا أن ينتزعوه ويخرجوه من البيت قائلين: كفى! أمجنون أنت؟ ما لك ولهذه الاجتماعات؟ ما لك ولهذه الأحاديث مع الشعب؟ قم واخرج. هكذا عومل يسوع من قبل أقربائه. لقد اعتبروه مختلاً. ولكن الشعب كان بالعكس يجد لكلمات السيد المسيح معنى ويرى في أعماله أعمالاً خَيِّرة وحسنة. وأتصور أن أحدا لم يصدق كلام أقرباء الرب يسوع بأنه معتوه وشارد اللب.

الحدث الثاني: حصل عندما أتت فئة ثانية، هذه الفئة هي من المتعلمين المثقفين، هذه الفئة هي فئة الكتبة الذين كانوا يكتبون لأنفسهم ولغيرهم لأن معظم الناس لم يكونوا يحسنون القراءة ولا الكتابة. هؤلاء ما قالوا كما قال أنسباء المسيح بل استخدموا ذكاءهم فقالوا: إن كلام المسيح ليس كلام معتوه ولا مختل وليس من العدل أن يخرج من البيت على أساس الجنون ولكن هذا الإنسان متحالف مع

* اللاذقية، الأربعاء قبل رفع الصليب، ١٩٧٥/٩/٧

الأرواح الشريرة، متحالف مع الجن والشياطين لذا فهو يستمد قوته من الجن والشياطين وبهذه القوة الشيطانية يطرد الأرواح ويشفي الأمراض.

عندئذ، تكلم المخلص بهدوئه المعهود فقال: كلامكم هذا لا يستند إلى واقع، نحن نعرف أن المملكة إذا انقسمت على نفسها خربت وكذلك البيت إذا انتابته الخصومات والشقاق قضي عليه، والإنسان نفسه إذا ما تنازعته الأهواء وتمزقت شخصيته تحطم وهلك. ويتساءل المخلص: كيف تعتقدون أني تحالفت مع الشيطان ضد الشيطان وكيف أستعين بقوى الشر على الشر؟ فهل يعقل ذلك؟ الحقيقة أنك لا يمكن أن تدخل إلى بيت قوي وتنهب أمتعته إذا لم تكن أقوى منه فتكبله قبل أن تسرقه. الذي يغزو لا يغزو من مكان الضعف ولكن من مكان القوة فكأن الرب يسوع يقول لهم: نحن نتصرف كأقوياء، كجماعة أعطي لها السلطان على الشر، نحن لا نستغل ضعف قوى الشر، فهي قوية. لا ولكننا بقوة أخرى نحاربها. هذه القوة هي القوة الإلهية.

الشيطان، أنا لا أغلبه لأنه ضعيف فأنا أغلبه لأنني أقوى منه. لأنني أتمكن من تكبيله. تصوروا هذا الجبروت عند المخلص ولننظر إلى أنفسنا. فأنا أتصور كيف نواجه نحن المؤمنين العالم، كيف نواجه الناس، كيف نواجه الأقرباء والأصدقاء. نحن نواجههم وكأننا خجلون بإيماننا، خجلون من التكلم باسم يسوع. أصبح معيباً التكلم باسم المسيح ولم تعد عندنا القوة ولا الجرأة حتى نجابه الشر بخير أعظم. إننا ننتظر حتى يضعف العدو لنتغلب عليه ولا نريد أن نتقوى حتى نصل إلى غايتنا. العدو لن يكون ضعيفاً ولكن يجب أن نفتش كيف نغدو أقوياء الإيمان، جبابرة بقوة الرب يسوع.

نحن اليوم نتعلم أنه ليس من قوة تفوق قوة الرب يسوع مهما كانت

الظروف والأحوال، ونتعلم أن ننطلق غير مكبلين، غير مريضين بضعفنا. نتعلم كيف نواجه ونجابه بدون خوف وبدون وجل. أيها الأحباء، نتعلم اليوم أن السلاح الذي لدينا سلاح لا يقهر وأننا لا ننتظر أن يلقي العالم سلاحه دون أن نشهر سلاحنا نحن ونواجه العالم بقوة الرب يسوع. يجب أن نقول للذين يشاركوننا عواطفنا إن عواطفنا ليست بشيء إلى جانب إيماننا. ومن يشاء أن يشاركنا مشاركة فعلية في حزن أو فرح فليشاركنا إيماننا لأنه عندئذ فقط يدل على أنه يشارك مشاركة فعلية.

أن نحيا الحقيقة أو نموت*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

نعيد اليوم لرفع الصليب المكرّم وقد اتخذه المسيحيون في كل أقطار الأرض علماً لهم يرفعونه في كل ظروف حياتهم. وترافق إشارة الصليب المؤمنين في ممارستهم إيمانهم المسيحي وحياتهم التقوية بشكل بارز.

في هذه المناسبة ألفتكم، أيها الأحباء، إلى هذا الحوار بين بيلاطس وبين اليهود. يقولون لبيلاطس اصلب المسيح «اصلبه» فيجيب بيلاطس: «أنا لا أجد سبباً لذلك خذوه أنتم واصلبوه» فيقولون له: «إن لنا ناموساً وبحسب هذا الناموس يجب أن يصلب».

بيلاطس حاكم لذا كان يفكر كحاكم. لكي تحكم على إنسان بالإعدام يجب أن تكون هنالك علة، يجب أن يكون هنالك جرم. خصوصاً وأن الإعدام هو أشد العقوبات التي يعرفها الإنسان قساوة. كان جواب اليهود لبيلاطس أكان ذلك الموت عدلاً أم غير عدل فهذا لا يهمنا. المهم أن لنا شريعة وسُنّة، نعم إن لنا ناموساً وبحسب هذا الناموس يجب أن يموت هذا. ونحن نعرف أنه بحسب هذا الناموس اليهودي، وهذه السنّة اليهودية عُلِّق المسيح على خشبة ومات.

كان يجب أن يموت المسيح. ما كان يمكن أن يواجه الشعب اليهودي

* اللاذقية، أحد عيد الصليب، ١٩٧٥/٩/١٤

إلا بأن يموت، لأن الشعب اليهودي لا يقتنع. يتصرف كمعلم لا يسمع ولا يتعلم. الشعب اليهودي يعتقد أنه شعب الله الخاص ويعتقد أن ناموسه لا يناقش ولا يبحث فيه، لذلك فقد صُمَّت آذانه وأُغلق عليه فلم يَعُد يرى ولا يسمع، و لم يعد يفهم.

غير صحيح أنه ليس في صميم إيمان الشعب اليهودي موت المسيح. هذا غير صحيح. وفي صلب إيمان اليهودي أن لا يوجد مسيحنا. نعم في صلب إيمانه أن يموت المسيح عن استحقاق أم لا فهذا لا يهم لأن الحق هو ما يقول اليهودي بأنه الحق، ولأن غير الحق هو فقط ما يدّعيه اليهودي أنه غير الحق.

ما كان يمكن للمخلص أن يستمر في عملية الفداء إلا بقبوله الصلب الجائر على أيدي اليهود لأنهم تحجروا ولأنهم وصلوا حدّ الطغيان. طغوا وتحجروا حتى غدت الحقيقة بدون قيمة في حياتهم. وما كانوا يتصورون إلا أنهم بشريعتهم يجب أن يكونوا الحكام المطلقين. أليست هذه الصورة التي كان صلب المسيح نتيجة لها هي نفس الصورة التي نواجهها الآن؟

أتى المخلص وكان يريد أن ينفخ في هذا الشعب الذي يدّعي أنه شعب الله روحَ الله، فلم يقبل الشعب ذاك روحَ الله. أتى ليقول له: إن محبة الله وحدها تبرر علاقة الله بالإنسان، والإنسان دائماً غير مستحق، وأنت غير مستحق. كل واحد لا يستحق محبة الله لكن محبة الله تترل على كل واحد بتنازل منه واتضاع ليس إلا. فلم يفهم الشعب اليهودي كل ذلك ولذا أُخِذَ الكَرْمُ منه، كما يقول الكتاب، وأُعطي لأمناء آخرين. وها نحن في هذه الكنيسة المقدسة، نحن ذوي الإيمان القويم، نؤلف الشعب الجديد، الشعب الذي فيه روح الله وليس من سوانا له الحق بالادعاء أنه يمتلك الله ويحفظه. هذه مسؤوليتنا، أيها الأحباء.

كانت الكلمة الإلهية: «لا تقتل، لا تسرق، لا تزن، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك» كانت الكلمة الإلهية تعبر عن حقيقة فزوّروها وجعلوا الكلمة آلة في حد ذاتها. هذا يذكرني بنا إلى حد بعيد عندما نقول: «لنحب بعضنا بعضاً». نسمع الكلمات، يعلنها الكاهن مرنّمة فنطرب لها ولا نفقه معناها ولا ندركه. «لنحب بعضنا بعضاً». ديانتنا ديانة المحبة، شريعتنا شريعة المحبة، ولكن في قلوبنا ليس من محبة!

وشيئاً آخر أود أن أذكره وهو كم نكرر القول: يا رب ارحم، يا رب ارحم، يا رب ارحم ولكن ليس من يرحم. الكل يمسكون حجارة ليرجموا الخاطئ، ليرجموا الغلطان، ليرجموا الضعيف وكأنهم جلادون ليس إلا. أصبحت الكلمة فارغة من معناها. صرنا نرتل ونكرر ونكرر. صرت أخاف من أن نكون خونة لمضمون الكلمة، أن نكون خونة لمضمون الكنيسة، أن نكون خونة لمعنى الإنجيل. الأفواه تردد كلمات الإنجيل والقلوب لا تعرفه. الشفاه تتلفظ بالمحبة والرحمة وليس من يحب ولا من يرحم. إن من يحب ومن يرحم عليه أن يموت لأن المحبة في هذا العالم لا تَصلُح والرحمة في هذا العالم لا تَصلُح. اليوم أقول ليس من محبة ولا من رحمة بدون الصليب. نحن نعيد له حتى نعيد لمحبة ورحمة تَصلُحان ولكنهما تُغيّران إذا كنا جديين.

عيد الصليب عيد المحبة والرحمة، المحبة التي تغير كلياً، والرحمة التي تجعل حتى الحجر أن يلين. يا أحباء، احبوا وارحموا.

ونحن أيضاً أبناء الله*

المطران اغناطيوس هزيم

نعيّد اليوم، يا أحباء، في الأصل لآباء الرب وأجداده، ولذلك نحن نذكر الأسماء التي سمعناها. وهذه الأسماء نقصد بذكرها ذكر سلسلة آباء الرب يسوع كما وردت في إنجيل متى.

قال لنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «كثيرون بالإيمان حاربوا وقاتلوا. كثيرون بالإيمان صنعوا العدل، سدّوا أفواه الأسود، أخمدوا قوة النار. بكلام آخر كثيرون كانت قوة إيمانهم هائلة، تعذبوا، تحملوا الكثير في حياتهم. ذُبِحوا، رُجِموا، نُشِروا، سُلخت جلودهم. هؤلاء كلهم قال الكتاب: «لم ينالوا الموعد». بكلام آخر: لم يشاهدوا ذاك الذي من أجله جُلدوا، ومن أجله ماتوا.

كان إيمانهم قوياً، جاهدوا الجهاد الحسن، جاهدوا الجهاد الأعظم، ولكن الرسول يقول لنا: إن ما أعده الله لنا أفضل مما أعده لهم، كي لا يصل إليهم كل شيء، كي لا يصلوا إلى الكمال والتمام بدوننا.

مَن نحن؟ نحن ذلك الجيل الذي يأتي في آخر الأزمنة، ولكن يرى ما لم يره الناس من قبل، ويعيش ما لم يعرفه الناس من قبل.

في استعدادنا لميلاد المخلص، الميلاد الذي لم يصل إليه أولئك الذين جاهدوا وماتوا و لم يروا المسيح. جُلدوا، وكان المسيح رجاءَهم، لكنهم لم يروه. أما نحن ففي مغارة سنشاهده، ويُعْطى لنا ما لم يُعطَ لأولئك الذين جاهدوا

* أحد النسبة، الأحد الذي قبل الميلاد، ١٩٧٥/١٢/٢١

السنوات الطوال وماتوا من أجله.

مَن هو المسيح؟ في إنجيل اليوم هنالك أجوبة متعددة عن السؤال من هو هذا المسيح؟

الجواب الأول: هذا المسيح هو من نسل داوود آباؤه معروفون، أجداده معروفون، إذاً هو معروف الأصل وليس خيالاً، ليس كلاماً. المسيح وَلِدَ وككل الناس له أصله وله سلالته.

الجواب الثاني: هذا المسيح لم يأتِ بطريقة سحرية، ولكنه ولد من البشر الذين هم، كما نحن، جماعة خطأة، جماعة ينكرون الله. ولد من بشر نحن نشبههم تماماً، ولم يأتِ من بشر من نوع خاص. المخلص ليس ابن الملائكة ولا ابن الأرواح، ولكنه حقيقة تجسد في اللحم والدم، ولحمه ودمه من لحمنا ودمنا ما عدا الخطيئة، وأهله يحملون اللحم الذي نحمل والدم الذي نحمل أيضاً.

من هو هذا المسيح؟ هنا الجواب الثالث: إنه بكر مريم. بكلام آخر لم تلد مريم ابناً قبله. هو بكرها الوحيد، المولود الأوحد لهذه السيدة العذراء مريم.

من أبوه؟ الجواب ليس يوسف. يوسف كان يعيش مع مريم. شاهدها حبلى، فدهش واستغرب. ومن حقه أن يدهش ويستغرب لأنه لم يعرفها إذاً يوسف ليس أباه ولكن مريم العذراء أمه.

النص الإنجيلي الذي نقرأه يقول: «لم يعرفها» يقصد بذلك أن يوسف ليس أباه. صحيح أنه طفل، صحيح أنه مولود من امرأة ولكنه ليس ابن رجل إنه الذي فيه تتم النبوءة.

هذا النص يعلّمنا أشياء رائعة. يوسف كان أباً فليكن عنده أولاد

كثيرون فليكن، ولكن هذا كان في بيته ولم يكن منه. هذا النص وضع في الكتاب المقدس فقط ليقول لنا: إن المسيح الذي هو من أصل داوود، الذي هو من الناحية البشرية من بَشَرٍ هُمْ أيضاً مخطئون والذي هو بكر العذراء ووحيدها هو ليس ابناً ليوسف، ولكنه يقول بعدئذ إنه ابن الله ونحن في حالة استعداد لاستقبال ابن الله بالجسد على هذه الأرض.

بعد أربعين سنة بكاملها من كتابة هذا النص قام يوحنا الإنجيلي وكتب هو أيضاً شيئاً مرتبطاً به ويقول: «إن الذين قبلوا ذاك ــ المخلص ــ قد جُعلوا أولاداً لله» ليس المخلص وحده ابناً لله إلا بالمعنى الكلي الكامل. ولكن الكثيرين الذين قبلوه هم جُعِلوا أبناءً لله «الذين ليسوا من دم ــ ليس من يوسف ــ ولا من لحم ولا من مشيئة رجل ولكنهم من الله وُلدوا».

عندما نصلي ونعيّد لميلاد المخلص فإننا نعيد لربنا الذي نحن جزء منه، ونعيّد لربنا الذي نحن أيضاً نطلب أن نكون مثله من الله مولودين بالروح لا بالدم واللحم وحدهما.

ما دمنا عارفين، يا أحباء، هذه الدعوة العظيمة الموجهة إلينا عشية عيد الميلاد الشريف فلنكن ساهرين، لنكن منتبهين. الرب يسوع ابن الله الوحيد يأتي ليولد، ونحن نولد. ولادته كانت مختلفة عن ولادتنا، لكن ولادتنا يمكن أيضاً أن تكون على صورة ولادته.

أولئك الذين يتجاوزون اللحم والدم إلى روح الله، إلى نعمته الإلهية يولدون أيضاً بعجيبة. يولدون هم أيضاً بطريقة لا يفهمها الناس. وإذا هم ينقلبون أناساً متجددين جداً . المسيح المخلص يأتي إلينا في الميلاد. المسيح المخلص إليه نذهب إذا سرنا معه في ميلاده.

الله يعمل بصمت في عالمنا *

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله واحد آمين.

في كل سنة يعيد الناس عيد الميلاد وفي كل سنة نشعر كأننا بحاجة إلى شرح لمعنى هذا العيد، وخصوصاً عندما أنظر إلى الكثيرين من أبنائنا الأحباء الذين يدخلون إلى هذه الكنيسة المقدسة فقط بمناسبة الأعياد. عندما أنظر إليهم وإلى بعض فئات الشباب بصورة خاصة أشعر أنه بما أنهم أتوا إلى الكنيسة هذه المرة فلنجعلهم يشاركوننا كي لا يكون حضورهم بالجسد فقط وأما الذهن، أما الفكر فالله أعلم أين هما.

فالعيد عيد عظيم ومعناه أساسي جداً جداً في حياتنا نحن المسيحيين، بل وأساسي جداً في الكون بأسره. عيد الميلاد استقبله العالم استقبالاً لا يليق به. عالمنا اليوم لا يعكس فرح الميلاد. عالمنا اليوم لا تُشْتَمُ منه رائحة المحبة. عالمنا اليوم يحارب معنى الميلاد محاربة صارخة فتجاه المحبة يُوَلِّد الحقد، يثير الحقد. وتجاه الصفاء والوضوح هو يثير الغضب، يهيج الناس. عالمنا اليوم هذا المتقدم الذي صارت فيه الكهرباء تنيرنا، وصارت الآلات تجعلنا نرى ونحن شبه عميان، ونمشي ونحن شبه مقعدين.

هذا العالم هو بالذات لا يزال فيه حقد على الإنسان، كراهية للإنسان. هذا العالم الذي يفترس الواحد فيه الآخر بدون خجل وبدون أي تردد. يفترسه

* اللاذقية، عيد ميلاد مخلصنا يسوع المسيح ١٩٧٥/١٢/٢٥

سياسياً، يفترسه اقتصادياً، يفترسه عسكرياً، يفترسه خلقياً، يفترسه من حيث الكرامة. فإنسان اليوم في كثير من الأصقاع على وجه البسيطة لا يجسر أن يفتح فمه ليقول كلمة حق يؤمن بها. الأنبياء عندما تحدثوا عن عيدنا هذا، وقد كانوا يعيشون شبه قبائل، قالوا: نحن نتطلع إلى زمان لا يعود فيه الحق للقوة. في القبلية، القوي يأكل الضعيف، وفي عالمنا. عالمكم اليوم القوي يأكل الضعيف وأكرر القوي سياسياً، اقتصادياً، وعلمياً، وتجاريا وما تشاءون. القوي هذا يلتهم الضعيف التهاماً وإلا فلماذا يكون عالمكم اليوم عالم جياع، عالم مظلومين، عالم محرومين، عالم معذبين؟ لماذا يكون هذا العالم قد تقدم كثيراً في العلم ولكنه أيضاً تقدم في عالم السجون والتعذيب والاضطهاد. ما عرف التاريخ فنون الاضطهاد كما عرفناها اليوم. الأنبياء الذين عاشوا في ذلك الجو القبلي تطلعوا إلى يوم فيه تتغير الأمور تغيراً جذرياً وكلهم في النبوءات ذكروا أننا نريد شخصاً يأتي وبمجيئه تتخذ الكرة الأرضية معنى آخر، ولكن هذا الشخص لا يمكن أن يكون مجرد إنسان.

الإنسان! من هو الإنسان؟ الإنسان إذا عدل لا بد أن يكون عدله في جهة على حساب عدله في جهة أخرى. الإنسان يقول إنه سيحبك وسيحب الجميع، ولكنه عاجز عن هذا. فإن أحبك لا يمكن أن يحب الكثيرين معك، وكلنا نتغنى بأن المحبوب في هذا العالم واحد أحد.

الإنسان محدود، الإنسان ليس إلها، الإنسان سهل عليه أن يَعِدَ وأن يَغْلُو في الوعد، وأن يقول لك ما لن تراه في حياتك. الإنسان كلامه سهل، وأما فعله فأقل سهولة. كلنا نقول ونقول الكثير ولكن غالبيتنا لا تفعل إلا القليل القليل مما تقول.

هل يُحرَّم على الإنسان أن يتطلع إلى مستقبل أفضل، إلى غد أكثر إشراقاً؟ كلا، نحن نجيب. الكتاب المقدس في العهد الجديد هو عهد فعلي، هو عهد واقعي. هذا العهد الجدي يأتي بذلك الكائن الذي هو «الله معنا».

نؤمن بالله لأنه في الإنسان يعمل كل شيء، نؤمن بالله لأن صلاحه فوق خطايانا، وقوته فوق ضعفنا وسقطاتنا، نؤمن بالله لأن الإيمان عند المؤمن دافع قوي داخلي كي يقوم بعمل الخير عندما تكون الدنيا قائمة عليه كي لا يقوم بعمل الخير. المؤمن هو ذاك المقيد بالله حتى يكون بالرغم من طبيعته المحصورة المحدودة أوسع، وأن يكون أرحب مما يتوقع أي إنسان من طبيعته الإنسانية.

من هنا نتوقع الخلاص، ولذلك نحن نقول كما قال الأنبياء: إن المولود اليوم هو تماماً ذلك المستوفي هذين الشرطين: هو إنسان تام، وهو إله تام، ولذلك ليس عندنا منه جزء. هو عندنا إياه بكامله.

بماذا يتصف العالم الجديد؟ ما هي صفته المميزة؟ اختصرها الأنبياء بكلمة واحدة «العدل» إنه إله العدل لأنه بدون العدل أين السلام؟ لا سلام بدون عدل. لأنه بدون العدل ليس من كرامة. الذي لا توصله إلى حقه لا تحسبه إنساناً. إلهنا إله العدل، وهو مقياس للعدل، قاعدة له، يفرضها في هذا العالم الصاخب.

ما الميلاد؟ إذا قال لي إنسان: الميلاد حصل منذ ألفي سنة، ولكن أين العدل؟ أين الإنصاف في عالمنا هذا؟ إذا كان بالفعل قد حصل الميلاد، وأتى العدل وأبو المراحم فأين السلام؟ وأين المراحم؟ وأين العدل؟

ما قال الرب بأنه عندما يأتي سيحمل السوط ويجبر النـــاس علـــى أن يكونوا عادلين. العدل القسري ليس عدلاً، ولكنه عندما أتى قال: عندما تضيء نورا يمكن للناس أن لا ينظروا إليه، يمكن للناس أن يرفضوه، يمكـــن للنـــاس أن يحاربوه، ولكن لا يمكن للناس أن يتجاهلوه. إنه خميرة في قلب العجين، والعجينة كبيرة، والخميرة صغيرة، والتخمير يأخذ وقتا طويلاً جداً، ولكنه في النهاية لا بد له من أن يحصل.

أيها الأحباء، في قلب هذا العالم المظلم، هذا العالم التعبان، في هذا العالم الكافر، في قلب كل واحد منا نحن التعبانين، نحن الكافرين، هنالك بذرة الميلاد وقد زرعت والله يعمل. لذلك نرى أن العالم مهما تهرب من العدالة الإلهية فهو يسير نحوها مرغماً. يمكنه أن يتراجع ولكن لا يمكنه أن يقف.

في قلب هذا العالم العدل الإلهي يعمل ولكن بصمت، ولكنه يحـــارب. اليوم عيد. يبدأ تاريخ، تاريخ جديد في التاريخ الصامت في التاريخ الـــصاخب. التاريخ المسالم في التاريخ المحارب العنيف. التاريخ المحب والعـــادل في التـــاريخ الذي يكره ويغضب ويظلم. اليوم عيد آمين.

اعمل عمل المبشر*

المطران اغناطيوس هزيم

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

رأينا في الرسالة أن بولس الرسول يخاطب تلميذه تيموثاوس ويقول له «اعمل عمل المبشر». كما أننا في المقطع الذي قرأناه للإنجيلي مرقس نجد ذكراً لا بل تركيزاً على يوحنا المعمدان الذي كان يتخذ من نفسه رسولاً للمخلص سابقاً له يهيئ الطريق لقدومه بالبشارة والتوبة ومغفرة الخطايا.

الكنيسة الأولى لم تكن تعيد عيد الميلاد في الخامس والعشرين من كانون الأول. بل كان العيد مرحلة من مراحل عيد الظهور الإلهي الذي يقع في السادس من كانون الأول.

مضمون العيد كان أنه في هذه الفترة يعيش المؤمن مرحلة من حياته يواجه فيها الإعلان الإلهي مواجهة. الميلاد هو ظهور المخلص بالجسد والمعمودية هي ظهور المخلص إلهاً في الأردن ونقطة انطلاق وتحول من معمودية التوبة القديمة إلى معمودية الروح القدس الجديدة.

إذاً من اليوم، يا أحباء، في هذه المرحلة من حياتنا الكنسية نحيا مرحلة تقبلنا ومواجهتنا وملاقاتنا للظهورات الإلهية وبها يكشف ابن الله عن نفسه لا بل يكشف الله عن نفسه أمام أعيننا. فقد كان سراً خفياً منذ الدهور. ومنذ سالف العصور كان الإنسان يتخبط أمام السر المكتوم ويفتش عن إله (ومن لا يعرف

* اللاذقية، الأحد بعد الميلاد لسنة ١٩٧٥

الإله الحقيقي يبقى دائماً في حالة تخبط عشوائية يفتش عن إلـــه). فهـــذا عبـــد الشمس، وذاك عبد القمر، عبد النجوم، وفي النهاية عبد الأصنام وما الأصـــنام، كما تعلمون، سوى صورة عن الإنسان. فعابد الأصنام في النهاية يعبد صـــنيعته ويعبد نفسه. وكلكم يعرف أن الكثيرين بيننا لا يزالون يعبدون أنفسهم وبالتالي لا يزالون في مرحلة عبادة الأصنام. إن هذا كله دليل على أمر واحد هو أنهم لم يروا وجه الله الحقيقي بعد.

الظهور الإلهي هو كشف لوجه الإله الحق. غير أنه كشف وإضاءة من طرف واحد أعني من طرف الله. الله ينـــزل إلينا. يظهر لنا، يتجلى لنا في كـــل وقت. والحقيقة أن الله ليس بخيلاً في ظهوره لنا ولكن البخل من جهتنا نحن يـــا أحباء.

كان يوحنا المعمدان يبرز نفسه للناس شبه عار. ليس عنده شيء. ليس معه شيء. لا يطلب شيئاً ولا يحتاج إلى شيء. لم يطبخ كما نطبخ، لم يأكـــل كما نأكل ولكن على «حواضر» برية الله كان يعيش. فمن هذه الناحية كـــان يوحنا مرتاحاً لكن تعبه الرئيسي أنه كان يطلب من الناس التوبة. مـــا أَحَـــبَّ التوبة. أعرف من نفسي وأعرف أن الكثيرين يرفضون التوبـــة رفـــضاً لأنهـــم يعتقدون أن في الاعتراف بالخطيئة إذلالاً لهم بينما الإنسان يكون أكبر ما يمكن عندما يعرف ما الحق وما الباطل ويعلم نفسه ما الحق ومـــا الباطـــل ليعتـــرف بالباطل فيشمخ عندئذ بنعمة الله وبالتوبة الصادقة. نحن لا نتوب، نحن جماعة لا تقر بالتوبة لذلك قل بيننا من يرتكب الذنب فيذهب إلى ذاك الذي أخطأ هـــو إليه ليقول له مجاهرة: يا أخي اغفر لي، لا تؤاخذني فأنا أخطأت. وإذا كان أخوه قد ألحق به ظلماً صفح عنه وأشرق بوجه مسامح هو أشبه ما يكون بوجـــه الله

الحقيقي عندئذ يقول له: يا أخي من منا لا يخطئ والعظيم في هذا العالم عظيمة أيضاً خطيئته. لذلك كانت مسيرة المؤمن، كائناً من كان، مؤدية إلى كرسي الاعتراف فهناك اللقاء وهناك استدرار الرحمة الإلهية.

يوحنا المعمدان تعرى من كل شيء وخلع عنه كل ثقل أو نير ولكنه التزم الرسالة الأساسية ووجهها إلى قلوب الناس: «توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات» لأن ملكوت السماوات إذا لم تفتح له قلبك فلن يفتحه هو عنوة وبالقوة. ملكوت السماوات من طرف الله آت، حاضر. يُقدَّم لك، وهو معروض عليك ولكن قلبك هو المغلق، هو المتحجر. هذا القلب الذي لا يتعرى كالمعمدان ولا يتجرد، لا يتوب ويبقى سدا منيعا في وجه ملكوت السماوات.

كثيرون بيننا يطلبون من ملكوت السماوات أن يقتحم صدورهم ويحتل قلوبهم احتلالاً. الله لا يضرب بالحجارة. الله لا يستخدم السلاح، الله يقول لك: عليك أنت أيضاً أن تتوب، افتح قلبك وأنا مستعد أن أدخل قلبك دوماً. لكن الناس يرفضون أن يُرحَموا ويرفضون أن يُحَبوا ويحجمون عن التوبة لا لأن الله حرمهم نعمة الرحمة والمحبة والتوبة بل لأنهم هم تحجروا وقست قلوبهم فوقفوا دون الرحمة والمحبة والتوبة، التي هي ملكوت السماوات، وتحولوا عما لله إلى ما لأنفسهم هم. نعم إننا في غالب الأحيان نرفض ملكوت الله وننكفئ إلى ملكوت نفوسنا.

عبادة الأصنام لا تزال في قلوبنا، والأصنام ما انفكت تملأ هياكلنا الداخلية. فتشوا قلوبكم وانظروا كم صنماً فيه، كم صنماً في هذه القلوب؟ كل واحد منا ينصب في ذاته آلهة زائفة مزورة. نسمع سماعاً الصوت الإلهي «توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات» ولكن إذا لم نقلب أصنامنا ونحطمها فأين يحل

ملكوت السماوات؟

أيها الأحباء، إذ نحن نواجه هذه الفترة الإلهية يجب أن نعرف أمرين:

الأمر الأول: إن ملكوت الله معروض علينا على الـــدوام وإن يـــد الله ممدودة لنا للترحيب بنا في الأحضان الأبدية.

الأمر الثاني: إذا مَدَّ الله نفسه يده إلينا فلنمد نحن أيضاً له يداً، إذا قَـــدَّم لنا فلنقبل تقدمته. إن قبول وجه الله وقبول ملكوت الله في قلوبنا هـــو زاخـــر بالنعمة الإلهية. وهذا القبول يعني أيضا أننا نطلب ملكوت الله فعلاً لا قولاً فقط.

فلنسأله تعالى في هذه الفترة أن ينعم على قلوبنا أن تنفتح وعلى صدورنا أن تتسع وأن يشرق فينا نور وجهه الإلهي وهو يتجلى اليوم كلمة متجـــسداً في بيت لحم وإلهاً معتمداً في الأردن يشهد له بذلك صوت الآب.

طوبى للودعاء*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

في أحد الفريسي والعشار نقرأ هذا المقطع الإنجيلي من لوقا البشير وفيه نذكر الفريسي والعشار لنتعلم منهما شيئاً، ونعرف ماذا قصد الرب يسوع وماذا تقصد الكنيسة المقدسة من إيراد هذا المثل.

المثل صورة. والرب يسوع أراد أن يقول لنا شيئاً من خلال هذه الصورة. فماذا أراد أن يقول؟ الحادث يحدث في الهيكل أثناء الصلاة. في الهيكل الإنسان أمام الله، وفي الصلاة يكلم الله، يحدث الله، يستمع إليه. هذه هي الصلاة.

إثنان وقفا أمام الله في الهيكل: واحد منهما ذكر أمام الله أعماله وفضائله، ورفّع نفسه عن أن يكون مثل الآخرين، ومثل العشار. والآخر اكتفى بأن ينحني أمام الله ويقول: «يا الله اغفر لي أنا الخاطئ».

هذا الذي وقف أمام الله يمدح نفسه، مَن قال له إن الله يبتهج بمثل هذا المديح؟ كثيرون، أيها الأحباء، في الصلاة، في الكنيسة المقدسة، أمام الله وفي مخاطبته يعتقدون بأنهم من جماعة الصلاح. يا ربي أنا أصلي. يا ربي أنا قلبي لك. يا ربي أنا إنسان يوجد أسوأ مني بكثير في هذا العالم. يا ربي، لا ينقصني شيء. كثيرون بيننا يا أحباء، هم الذين يقفون أمام الله في الكنيسة لكي يعرضوا

* اللاذقية، أحد الفريسي والعشار ١٩/ ٢/ ١٩٧٨

فضائلهم ويعرضوا مواهبهم وأعمالهم الخيرية. والسؤال: مَن قال لهم إنهم كذلك؟ هؤلاء هم يرفعون أنفسهم، وهم يعطون القيمة لأنفسهم، وهم يمدحون أنفسهم. فإذا كنت أنت أمام الله تتكلم عن نفسك وأنت تعطي القيمة لنفسك. إذا كنت تفعل ذلك أمام الله الحكم والقاضي على نفسك فما هو دور الله يا ترى؟ الذي يأتي إلى الكنيسة المقدسة ويصلّي لكي يقول لله: يا ربي أنا إنسان من الطراز الأول. أنا إنسان صالح. أنا إنسان جيد، ماذا يريد هذا الإنسان من الله أن يقول له؟ يجب أن يصمت الله أمام إنسان يتكلم عن نفسه ويحاكم نفسه، ويحكم لها.

الله هو من يعطي القيمة، يا أحباء، القيمة لا نعطيها نحن لأنفسنا.

ولنعد إلى الشخص الثاني أي العشار الذي وقف أمام الله أيضاً في الهيكل وقال له: يا ربي، أنا أعرف شيئاً واحداً هو أني إنسان خاطئ. وأنا واقف أمامك منتظراً أحكامك، منتظراً كلمتك. أنت تقول مَن أنا. أنا لا أعرف يا رب مركزي أو مقامي بالنسبة إليك. أنت وحدك الذي يعيّن المركز والمقام. أنا، يا ربي خاطئ، قل كلمتك أنت.

يقول الكتاب المقدس: «هذا وضع نفسه» ــ اتضع ــ وقال ما عليه. اعترف بخطيئته، و لم يعترف بها بالشفتين واللسان كما نفعل في كثير من الأحيان. ولكنه اعترف بأنه خاطئ من صميم قلبه لفاحص القلوب والكلى. فتح قلبه وفتح أحشاءه واعترف بأنه خاطئ. لم يقل هو أين يجب أن يكون مركزه أمام الله. ترك لله الحكم. الله هو القاضي، ترك له أن يقول ما هي قيمة هذا الإنسان المعترف: يا ربي قل لي كلمتك. هذا، يا أحباء، يعطيني صورة مصغرة عن اليوم الأخير. كل واحد منا سيقف أمام الله. كل واحد منا.

وستكون أمام الله فئتان من الناس: الفئة التي تمدح نفسها، الفئة التي تتبجح، الفئة التي تنتفخ وتتكبر. الانتفاخ قد يثبت في هذا العالم ولكن هل على الله من انتفاخ؟ ما أغبى هذا الذي حتى أمام الله يريد أن يعرض كبرياءه وأن يعرض تبجحه بذاته. هذا الصنف من البشر قد امتدت الخطيئة لا إلى أجسادهم فقط ولكن إلى نفوسهم، لأنهم ما عادوا يعرفون أنهم خطأة، وأنهم خطأة أمام الله. وقد وصل الفساد إلى أعماقهم و لم يعودوا يميّزون بين ما هو خير وبين ما هو شر في ذواتهم. هؤلاء لن يقال لهم تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم. هؤلاء سيُقال لهم: اخرجوا خارجاً. اخرجوا خارج البيت لأن الملكوت ليس للمتكبرين.

والفئة الثانية التي تأتي إلى الله بتواضع، باعتراف قلبي، ببساطة الطفل وبراءته لكي ترتمي بين يديه قائلة: «يا ربي اغفر لي أنا الخاطئ». هذه الفئة سيُقال لها: «تعال يا مبارك أبي رث المُلك المعد لك منذ إنشاء العالم».

أيها الأحباء، إذا كان المنتصر الأخير أمام الله هو ذاك المتواضع، هو ذاك الوديع، هو ذاك الطيب القلب، النقي النفس، الشفاف الروح فهذا ليس صحيحاً فقط في السماء، ولكنه صحيح أيضاً على الأرض.

على الأرض الناس لا يحبون التواضع، على الأرض الناس لا يحبون الوداعة، على الأرض الناس لا يحبون براءة القلب. وقد يتعلمون، وقد يتمرنون لكي يتوصلوا إلى أفضل حالات الامتهان، أفضل حالات استغلال البشر. الناس على الأرض يؤخذون بما نسميه الشطارة وهي إجمالاً شطارة شريرة. ليست شطارة طيبة.

لكن نحن المسيحيين، نحن المجتمعين اليوم في هذه الكنيسة المقدسة مع

جميع أمثالنا من أقاصي الأرض إلى أقاصيها سيبقى موقفنا هو أن الملكــوت في النهاية للوداعة، الملكوت في النهاية للبراءة. السماء في النهاية للمتواضع. ونحــن نقف حَكَماً على أبناء الأرض، حَكَماً مستمراً يُطلق حكمه عليهم بينمــا هــم يقتتلون، بينما هم ينهش الواحد منهم الآخر، بينما هم يتحاربون، بينما يغتــال الواحد منهم الآخر، بينما يعتمدون القوة والسلطان والجبروت. النصر الأخير للوداعة. النصر الأخير للبراءة. وصورة المسيح التي نرسمها اليوم في أذهاننا تلــك التي وردت في الكتاب المقدس هي صورة الحمل الوديع الذي يأتي لكي يُــذبح من أجل خطايا العالم.

أيها الأحباء، الملكوت للودعاء، الملكوت للبريئين وللمتواضعين. صورة المسيح هي صورة ذاك الذي هو متواضع ووديع وبريء.

الله أب ويحب أبناءه*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

النص الإنجيلي المبارك الذي قرأناه اليوم من إنجيل لوقا الإصحاح الخامس عشر هو مَثل الابن الشاطر. نحن، يا أحباء، عندنا صوم بالرغم من أن الكثيرين في هذه الكنيسة نسوا أن عندنا الصوم الأربعيني المقدس الذي يسبق أسبوع الآلام، وأن الصوم هو من أجلنا نحن ولمنفعتنا وخيرنا نحن وأن الله لا يريد لنفسه منا شيئاً.

قلت: الكنيسة المقدسة تُعدِّنا بالصوم والصلاة لكي نواجه الله على مقدار ما نستطيع أن نكون مُعَدّين لاستقباله في قلوبنا. وهي إذ تقرأ علينا هذا المقطع الإنجيلي المقدس تذكرنا ببعض الأمور الرئيسية.

أيها الأحباء، قبل مَثل «الابن الشاطر» وفي الإصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا يوجد مثلان لكنهما قصيران جداً، لا يقرأهما كل الناس.

المثل الأول: صورة إنسان راعٍ. هذا الراعي كان يرعى غنمه، فضاع منه خروف واحد. يقول لنا الإنجيلي لوقا: «ألا يترك الراعي التسعة والتسعين لكي يذهب ويفتش عن الخروف الضال؟». بلى الرعيان يفعلون هذا. ويسأل الإنجيلي سؤالاً آخر عندما يجد هذا الراعي الخروف الذي ضل في الجبال: ألا يعود به فرحاً جداً ويدعو أصدقاءه ويقول: «تعالوا نبتهج ونفرح لأني وجدت

* اللاذقية، أحد الابن الشاطر ١٩٧٨/٢/٢٦

خروفي الضال». ويقول الإنجيلي بعد هذين السؤالين: «الحق أقول لكم: إنه يكون فرح عظيم في السماء بخاطئ واحد يتوب».

ميزة هذا المثل أن كل شيء يفعله الراعي بنفسه، فهو الذي يذهب ليفتش عن الخروف وهو الذي يتجشم المشاق لأن الخروف لا يفهم. الخروف لا يعرف.

المثل الثاني: سيدة معها دراهم. دراهمها قليلة إذاً دراهمها عزيزة عليها. فقدت درهماً. فماذا تفعل؟ يسأل الإنجيلي: «ألا تضع جانباً بقية دراهمها لتذهب وتفتش عن الدرهم الضائع؟» ألا تبذل جهداً ونشاطاً عظيمين للتفتيش عن درهمها الضائع؟ وعندما تجد هذا الدرهم ألا تعود إلى البيت وهي فرحة بالدرهم الضائع وكأنه هو التسعة والتسعون، وكأنه هو كل ثروتها؟ حزنت عندما فقدت درهمها، وفرحت وما أعظمه فرحاً ذاك الذي احتل قلبها عندما وجدت درهمها الضائع. ويعود الإنجيلي فيقول: «الحق أقول لكم إن فرح السماء عظيم جداً بخاطئ واحد يتوب».

هذا معناه ان السماء لا تنتقم، يا أحباء. إن السماء لا تشمت بالناس عندما تراهم خاطئين. إن السماء لا تتشفى عندما تجد الناس يقعون في خطاياهم، إن السماء بالعكس تنتظر وتتوقع في كل وقت أن يعود إليها الخاطئ لتفرح وتبتهج.

صورة الخروف، وصورة الدرهم لا تعطياننا كل شيء. صورة الابن الشاطر تعطينا أكثر. بالطبع هنالك فرق بين الدرهم الذي هو قطعة من جماد والخروف الذي هو حيوان، وبين الابن الشاطر الذي هو بشر عنده عقله، عنده نموه، عنده ثقافته، عنده وعيه وكل ما يلزم.

قلت في مثلي الخروف والدرهم بأن المهمة وقعت كلها على الراعي وعلى السيدة التي فقدت درهمها. كل الجهد وقع على أكتافهما. ألفت النظر إلى قطعة الدرهم. الدرهم الذي سقط بقي في مكانه لم يؤذ أحداً. الخروف الذي ضل ذهب ليأكل، فقد طريقه دون أن يؤذي أحداً. أما الابن الذي ضلّ فقد شق بيته أولاً. ثانياً ذهب إلى أوساط لا يليق بالإنسان أن يذهب إليها. ذهب إلى حيث العهر، ذهب إلى حيث تداس القيم. الخروف لم يُفقَد. الدرهم لم يَنقُص. أما الإنسان الذي شذ، فقد انحط وغرق. أذكر قول أحدهم عندما قال: إننا نحسد الحيوانات لأنها لا تخطئ. لا يخطئ كائن على الأرض إلا الإنسان. لا ينحدر كائن على الأرض إلا الإنسان لأن الله جعله على صورته ومثاله. الخروف ماذا يهمه؟ أن يأكل ويشرب وانتهى الأمر. أما الشر، أما الكره، أما الانحطاط فلا يمكن لأحد أن يفعلها إلا الإنسان. هذا العظيم.

أيها الأحباء، مع أنه لم يعد من الممكن أن يتدهور هذا الشاب أكثر مما تدهور: لقد خسر سمعته، خسر صحته، خسر ماله، خسر أهله، خسر كل شيء حتى أصبح يشتهي أن يُساوى بالخنزير الحيوان النجس. صار يشتهي أن يعامل كالخنزير. هذا الإنسان في الواقع ما فقد كل شيء. بقي عنده شيء من الإنسانية، وبلغتنا في اللاهوت: بقيت فيه صورة الله حية. لذلك في وقت من الأوقات عاد إلى نفسه وقال لماذا أتمرمر، يكفي ما قضيت! لقد عرفت نتيجة الضلال، عرفت قيمة الانحدار وهذا الانهيار. لماذا لا أنهض وأذهب إلى بيت أبي وأقول له: يا أبي أريد أن أكون كأي إنسان في بيتك. أنا أعرف أني غير مستحق أن أدعى لك ابناً ولكن لا بأس فأنا ألجأ إلى كنفك ورحابة صدرك. «اجعلني كأحد أجرائك». لقد استيقظ الضمير. وإذا بالضمير الذي إذا كان حياً فهو

صوت الله. هذا الصوت ارتفع في قلبه وردّه هو. الخروف لم يرجع من نفسه والدرهم لم يرجع من نفسه لكن الابن هو عاد من حالة الانهيار إلى أبيه.

هذا معناه، أيها الأحباء، أنه إذا كان الخروف لا يعرف كيف يقوم بجهد حتى يعود إلى حظيرته الحقيقية، إلى راعيه الذي يحبه. الإنسان ليس له الحق أن ينهار وأن ينهار إلى ما لا نهاية. ليس له الحق في هذا. يجب أن يقول لنفسه في وقت من الأوقات: إلى هذا الحد وكفى. كفى انهياراً، كفى إذلالاً للكرامة الإنسانية، ولصورة الله التي فيه، كفى.

هذا القول هو الذي يعني التوبة. هذا الشخص الابن عندما عاد إلى أبيه تاب، رفض الخنازير، رفض الزواني، رفض العاهرات، رفض صرف المال في الخلاعة. رفضها كلها وتركها. الكثيرون بيننا يريدون هذه وتلك وليست عندهم الشجاعة والتوبة الحقيقية كي يرفضوها. يرفضوا تلك رفضاً باتاً. أصبحنا فقراء بالرجال في هذا الحقل، وأبطالنا في هذا الحقل هم القديسون الذين لا يساومون مع الشر ولا يساومون على الخير. من هنا إن القداسة بيننا أصبحت ضعيفة.

يا أحباء، علينا أن نقوم ببعض البطولات لنعود إلى ربنا، لنعود إلى ذاك الذي نحن ابتعدنا عنه. لا تجعلوا الرب حجة، يجب ألا نبقى بعيدين. كائناً من كنت لا يهمه تاريخك، لا يهمه سلوكك، لا يهمه وضعك، لا تهمه الدرجة التي وصلت إليها في انهيارك، لا يهمه الوحل الذي أنت غَطَّسْت نفسك فيه. كل هذا لا يهمه. إنه يراك فيستقبلك. والحق أقول لكم قال الإنجيلي: «إن فرح السماء لا يوازيه فرح عندما يكون خاطئ واحد قد تاب».

إلى هذا نحن مدعوون في بدء الصوم الذي نستعد له. إلى هذه الرجعة.

إلى هذا الفرح لكن ليس فقط سنفرح نحن ولكننا سنكون سبباً للفرح، ينبوعـــاً للفرح في السماء. السماء تنتظرنا، والسماء بدوننا ليست سماء. الله يريدنا هناك.

أيها الأحباء، على هذا الرجاء نحن نصوم ونصلي. فكّـــروا أن صـــدر الرب مفتوح وأنه يريدنا جميعاً الرجلَ والمرأة، الكبيرَ والصغير. يريد كل إنسان لأنه يرفض أن لا يكون أباً لكل واحد بدون استثناء. آمين.

قايين وهابيل*

المطران اغناطيوس هزيم

إنجيلنا اليوم ينقلني وإياكم إلى العهد القديم حيث يصوّر لنا الكتاب المقدس مشكلة حصلت في بدء الخليقة. هذه المشكلة وجدت بين الأخوين قايين وهابيل. قايين قتل أخاه. أخاه من أبيه وأمه قتله. قتله بأية مناسبة؟ بمناسبة أمر يخص الله. انتبهوا! الاثنان يحبان الله، الاثنان يقدمان ذبيحة لله تعالى. دبّت الغيرة في قلب واحد منهما فكان أن قتل أحدهما الآخر. عندئذ، يقول لنا الكتاب المقدس بأن الله الذي كانت له ذبائح الاخوين قايين وهابيل لم يسكت ولكنه نادى الأخ الأكبر: قايين، قايين أين أخوك؟ فكان جواب قايين المشهور: «هل أنا حارس لأخي؟».

في هذه القصة التي يسردها الكتاب المقدس لتعليمنا في مسيرتنا الروحية وحياتنا الدينية نجد أمرين:

الأمر الأول: قد يكون الإنسان واعياً علاقاته بالله، قد يكون واهباً لربه نفسه وكل ما عنده ومقرِّباً ذبائح لله تعالى. وكثيرون هم أبناء الكنيسة المقدسة الذين ليس لديهم سوى مطلب واحد هو أن ينالوا حظوة لدى ربهم وإلههم. وما أكثر مَن يعطي من الخيرات والأموال من أجل اسمه.

إذن فقصة الكتاب المقدس ليست بعيدة وغريبة عنا، إنها تصف حدثاً قد يصير لأي منا ونحن في بيت الله. والحدث هو نظرتك إلى أخيك. من السهل

* اللاذقية، أحد مرفع اللحم، ١٩٧٨/٣/٥

جداً أن نرتفع بأعيننا نحو السماء إلى الله وأن نتناسى كل شيء وأن نخاطبـــه. لا بل من السهل جداً أن نرتفع إليه بقلوبنا. لنذكر الكتاب المقـــدس: إن قـــايين المصلي يقتل هابيل المصلي، قايين المؤمن يقتل هابيل المؤمن لأن مفهوم الإيمـــان مبتور لدى العديد من المؤمنين. ويغلب الظن أن الإيمان قد يتجه فقط صعداً إلى الله تعالى وننسى الأخ الذي أعطانا الله إياه.

قايين، قايين أين أخوك؟ هذا الصوت الإلهي يصرخ في كل واحد منا: أخاك، أخاك!. أين أخوك يا قايين؟ أين أخوك الذي أعطاك الله إياه؟ ماذا فعلت به؟ الغريب أن قايين أجاب كما قد يجيب الواحد منا في هذه اللحظة «أنا مـــا علاقتي بأخي؟». «وهل أنا حارس لأخي؟» ومَن كلّفني به. الـــنص الكتـــابي يقول: لقد كلفك ربك بأخيك، أنت مكلّف به. هذا في سفر التكوين. لنعد إلى العهد الجديد.

إنجيلنا اليوم يعكس تماماً هذه الصورة. كيف تدّعي أنك محب لله وأنك واهب إياه قلبك. فيما أخوك يجوع فلا تطعمه، ويعرى فلا تكسوه، ويمرض فلا تزوره؟ أي ادعاء كاذب هو ادعاؤك هذا؟

قايين، قايين أين أخوك؟ أين أخوك؟ إن الله هو أبوك وأبـــوه. إن الله لا يسمح لك إذا كنت تنفصل عن أخيك وإذا كنت ترضى أن تتمتع أنـــت وأن يشقى هو. الله أبوك وأبوه. أنت وهو كلاكما تكونان العائلة الإلهيـــة ولـــيس وحدك فكيف يجوع هو وأنت تشبع؟ كيف تنعم بالصحة وهو مريض؟ كيـــف ترتضي الحرية لنفسك وهو سجين؟ هذا الذي أمامك هو أخوك وان تسبحتك لله ناقصة ومبتورة بدونه، وتسبحتك لله مقطوعة إذا كان فمه لا يرفعهـــا مـــع فمك. إن الله قد تبناه، إن الله قد ساوى نفسه به، إن الله قد لبسه فإذا شئت أن

تكون لله تحتمَ عليك أن تكون لأخيك. كن لأخيك أيضاً.

يتنصل الناس من اخوتهم «هل أنا حارس لأخي؟» إني أشكر الله على الشبع وعلى الحرية وعلى العافية. قال أحدهم: إن شكرك لله لا يمكن أن يكتمل إلا إذا أمسى كل إنسان شبعاناً، كل أخ من أولادك يا رب قد شبع. عندئذ وعندئذ فقط يحق لي أن أملأ معدتي طعاماً. وقبل أن أنعم بحريتي سأناضل كي ينعم كل إنسان بالحرية، سأناضل لكي تسقط الاصفاد والسلاسل والقيود. كما أني سأعتبر نفسي جوالة في الأرض ليس لي مكان أسند إليه رأسي إذا بقي مشرّد واحد في الناس.

«قايين، قايين أين أخوك» «هل أنا حارس لأخي؟» نعم أنت حارس لأخيك، أخوك ليس خارجاً عنك. هذا الشخص الذي يجلس إلى جانبك ويعايشك في البيت وفي المدينة والأرض كلها ليس غريباً عنك. افتح عينيك بالإيمان عندئذ تجد كل إنسان أخاً لك وأنك أخ لكل إنسان.

هؤلاء الذين ذهبوا إلى العذاب ظنوا أنهم هم المسكونة بأسرها وأن بطنهم هو بطن لكل إنسان، ظنوا أن بيتهم هو مأوى لكل إنسان. لقد نسوا أنه يجب أن يقدموا بطن كل إنسان على بطونهم، ومأوى كل إنسان على بيوتهم. نسوا ذلك. سألوا اللحم والدم، ما الفضيلة فكان الجواب فضيلة لحمية دموية محدودة.

يا أحباء، يمكننا أن نوجز ما قلناه بكلمات الصوت الإلهي: «قايين أين أخوك» اسمعوه، يجب أن نسمعه: أين أخوك؟ اليوم صلاتنا أين أخوك؟ إذا خطر في بالك أن تجيب على غرار قايين «هل أنا حارس لأخي؟» فالصوت يكرر نعم أنت حارس لأخيك ومسؤول عنه.

في القداس نلتقي أمواتنا*

المطران اغناطيوس هزيم

يبدو لي، أيها الأحباء، أنه من المهم أن يعرف الشعب متى نصلي بالفعل من أجل موتانا. أعتقد أن الكثيرين في هذه الكنيسة المقدسة، والعديد من شعبنا يظن أن الصلاة من أجل المائتين، هي هذه الصلاة التي نقوم بها في آخر القداس.

أيها الأحباء، نحن لم نأت إلى الكنيسة من أجل صلاة الجناز. نحن نأتي إلى الكنيسة حتى نواجه أمواتنا. والصلاة التي نقيمها في آخر القداس الإلهي، هي صلاة يمكن أن تقام في البيت وفي أي مكان ولمرات عديدة. هي صلاة اعتيادية جداً جداً. هي مجرد ذكر ليس أكثر. أيها الأحباء، إننا في الواقع، نواجه أمواتنا هنا ونصلي من أجلهم ومعهم هنا، ونقيم وإياهم القداس الإلهي. وهذه هي النقطة الهامة، نقيم القداس الإلهي حتى نكون وإياهم في الخدمة الإلهية. إنهم يذكرون ليس في آخر الصلاة، ولكنهم يذكرون عندما نقول: «أذكر يا رب أولاً أبانا و...» وبعدئذ نحن نذكر هذه الأسماء على المائدة الإلهية، بعد أن يكون الرب قد حضر بيننا خبزاً وخمراً متحولين إلى جسده ودمه.

إذاً من الطبيعي جداً أن تتحول أفكارنا ليس إلى ذكرى فارغة، ولكن إلى حضور كلي، إلى حضور يكاد أن يكون ملموساً تماماً كحضور المسيح بيننا، كحضور المسيح جسداً وروحاً، جسداً ودماً، جسداً ونفساً. عندما يكون المسيح حاضراً معنا بالذات. فالأموات عندما يوضعون على هذه الصينية المباركة، فهم حاضرون تماماً كالأحياء. وعندما تنزل النعمة الإلهية على الجسد

---
*

الكريم، عندئذ يصبحون أحياء تماماً كما أن المسيح هو حي.

أيها الأحباء، أتمنى أن نتوجه روحياً إلى ذلك الظرف بالذات في صلواتنا، لذلك فالذين يأتون إلى الكنيسة، المقَدِّسون من أجل أمواتهم. والذين لا يحضرون القداس الإلهي بل هذه الصلاة القصيرة، لا يكونون قد قاموا بواجباتهم نحو أمواتهم. الذي يقوم بواجبه نحو ميته، هو الذي يأتي لكي يراه، لكي يصلي وإياه، ولكي يتناول وإياه جسد الرب ودمه الكريمين أيضاً.

أطلب إليكم أن نأتي في بدء القداس لأن القداس هو الصلاة من أجل الراقدين وليس هذه الصلاة. ثانياً أن نتناول نحن وموتانا لنشاركهم الحياة بالرب يسوع. هذه هي تعزيتنا الفعلية أيها الأحباء.

أما التعزية الخارجية، من زيارة إلى البيت، وتقدمة التعازي كالمعتاد، فهذه لم تعد واردة عند كل الناس. الناس في العالم لم يعودوا يتحملون المضايقة في بيوتهم الصغيرة، أو الاقتطاع من أوقاتهم الضيقة، وأكثر من ذلك فقد لا تحتمل نفوسهم التعبة أن تثار قضية الحزن فيها مرات عديدة. الناس لم يعودوا يتحملون العادات التي نحن نعيشها اليوم. لذا كانت التعزية في معظم الأحيان في الكنيسة أو عند مدخلها. ويذهب المحزون بعدها إلى بيته ليشعر أنه حر هنالك، إذا شاء البكاء ففي بيته يبكي، وإذا شاء الصلاة ففي بيته يصلي أيضاً. وليس مستحيلا أن تنقطع هذه البادرة الاجتماعية، الظاهرية، الخارجية، والتي ليس لها المعنى الكبير في أغلب الأحيان.

هذا ما أحببت إعلانه، وإني، في كل الأحوال، أتمنى لكل واحد يفقد عزيزاً عليه، أن تكون له التعزية القلبية، التعزية العميقة التي بالرب يسوع. والتعزية التي بالرب يسوع تقوم في قلب كل مؤمن.

الأرض الجيدة تعطي ثمراً جيداً*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

هنا نحن الآن يا أحبه نقف في هذه الصبيحة أمام كلمة الله التي وجهها الإنجيلي لوقا إلينا من خلال مثل الزارع. وكلنا يعرف ماذا يحدث للزارع.

الصورة التي أعطاها لوقا بسيطة جداً وعادية: إنسان خرج ليزرع بوسائله البدائية فوقع منه بعض الحبات. ونحن نعلم جيداً أن الفلاح كان يختار دائماً أفضل ما لديه من الحبوب ليكون بذاراً، ولا أعرف أحداً يفتش عن نوعية من البذار غير صالحة لكي يزرعها، فكما تزرع كذلك تحصد. هذا الزارع وقع منه حب وقال لنا الإنجيلي لوقا إن هذا الحب هو كلمة الله التي هي مثل هذه الكلمات التي سمعناها من الإنجيل. وكلمة الله تبقى هي هي والإنجيل هو ذاته لكل الناس. إنه الكلام الصالح، الكلام المعزي، الكلام المخلص لكل الناس على السواء. فما بال الثمار المختلفة؟ يسمع ألف إنسان الإنجيل ذاته فتكون النتيجة ان كل واحد يفهمه على هواه، لماذا؟ السبب أننا نحن مختلفون، كل واحد يختلف عن الآخر، وكل واحد منا يتلقى كلمة الله بطريقة مختلفة.

وكلمة الله عندما يتلقاها الإنسان تثمر فيه بمقدار ما يسقيها ويغذيها وينفتح لها. البعض يقول ما بال إيماننا يجف؟ قال الإنجيلي: إذا كنت تزرع على الصخر ولا يغطي الصخر مقدار كاف من التراب الذي يغذي البذار فكيف

* مثل الزارع

سيعيش البذار. إنه ينمو شيئاً فشيئاً حتى تنضب القوة المغذية في التراب وبعدئذ يجف. هذا البذار الطيب، البذار الصالح هو نفسه يطلب الغذاء فلا يجده. وأنت عندما يجف البذار فيك تطلب نتائجه فلا تجدها. زرع فيك الحب ولما لم تغذه لم يعط نتيجة وأنت ستلاحظ أنه لم يثمر فيك.

أيها الأحباء، عندما نفكر بكلمة الله، عندما نفكر بالله نفسه، يجب أن نفكر به وبنا نحن أيضاً. الله لا يفرض نفسه على الناس بالقوة. هذا النوع من الفرض يمارسه إنسان على إنسان ولا يقوم به الله بالنسبة إلى عباده. الله يحب، الله يصمت، الله يختفي ويسكت عن الإهانة، يسكت عن تناسينا له، يسكت عن تجاهلنا إياه. نحن وحدنا نثور عندما نهان ونتجاهل ونقاوم. نحن وحدنا عندئذ نشعر بأنه لا يمكننا السكوت تجاه هذا الوضع. ولكن في غالب الأحيان نجد أننا لم نحصل على البذار و لم نحصل على الأرض الجيدة.

يمكنني التوسع كثيراً في هذه النقطة ولكنني لن أفعل، وسأتوقف عند ناحية واحدة فقط. البذار الإلهي ككل البذار ينبت في الأرض الجيدة ويعطي ثماره. ولقد أعطى ثماره ويعطي في تلك النفوس التي تتحدى باطل هذا العالم بالحق، في تلك النفوس التي تتحدى هذا العالم بفضيلتها. في تلك النفوس يثمر كلام الله عندما نجد شخصاً لا يزال يحب، شخصاً وفياً، شخصاً قادراً أن يقدم ذاته ويبذل نفسه في سبيل الآخرين.

ليس صحيحاً أن كلام الله عقيم، وليس صحيحا أنه لم يعد هنالك مكان لكلام الله في هذه الدنيا، قد يكون فينا لم يعد من مكان لكلام الله ولكن ليس في هذه الدنيا.

نذكر الأرض الجيدة وأذكر معها الفلاح والفلاحة. وأذكر قولاً مأثوراً

أحببته كثيراً يقول: حتى الأرض الجيدة إذا لم تفلح لا تعطي النتيجة المطلوبة. الأرض البور بدون تعب لا يمكنها أن تأتي بنتيجة. الأرض يجب أن تجرحها، يجب أن تشقها بالسكة. وهكذا قلب الإنسان، يا أحباء، وهكذا نحن. والذي يعتقد أن الكلام الإلهي ينمو فيه وهو «نائم» فلا يتوقعن أن ينمو الكلام الإلهي في أرضه البور.

إن الرب يسمح في كثير من الأحيان أن تترل سكين التجربة في قلوبنا وأن تعمق سكة الفلاحة سكة المصائب الجرح في قلوبنا. وهذا شرط أساسي لكي تعطي الحبة ألف حبة في قلوبنا.

أتوجه اليوم من هذه الناحية إليكم أيها الأحباء المصابون، ويا أيها الأبناء المشيعون أتوجه إليكم. كل شيء يحصل في هذه الحياة، كل شيء يصيب المؤمن لا بد وأن يترك أثراً صالحاً فيه. بكلام آخر لمن يعيش الرب في قلبه. لمن يعيش هو والرب واحداً فواحداً في قلب واحد، في مسكن واحد. إن المصائب تؤلم وهي تجرح وعبثاً نحاول أن نخفي ذلك. لكن المصائب لخائفي الله، للبيوت التي تحب الله، للبيوت التي تربى على مخامة الله هي كسكة الفلاح التي تهيء الأرض الجيدة للبذار الصالح. كلنا نؤمن بأنه يجب أن نبذر جيداً، أن نفلح جيداً كي نعطي ثماراً صالحة.

أيها الأحباء، أليس الرب هو من زرعناه في باطن الأرض وهو الذي قام من بين الأموات نافضا عنه غبار الموت وغالبا الموت بموته؟ أيها الأحباء: لقد زرعتم في باطن الأرض وجرحتكم مصيبتكم وستجرحون أيضاً. معروف جيداً أننا سنجرح ومعروف أنه سيفارق الواحد منا الآخر. ولكن الشيء المعروف أيضاً أن الحزن لن يتغلب علينا وأن الموت لن يكون سيد حياتنا لأن الرب القائم

من بين الأموات هو الذي سيكون سيدنا على الدوام.

وكما قلت وكررت، ليس أقوى من المؤمن لأنه حتى على الموت سيد الكون سيكون هو المنتصر الغلاب فيما نرى الكون ينحني أمام الموت ويـــشعر بالذل.

كلمة الرب إليكم وهي التعزية، كلمة الرب إليكم جميعاً وهي التقويـــة إنه إذا فلحتم أرضكم فابتهجوا وازرعوها بكلمة الله فـــإن كلمـــة الله في أرض صالحة تعطي بدل الحبة مئة لا بل ألوفاً. آمين.

حيث تكونون تكون الكنيسة *

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

اليوم في وداعنا هذه الراقدة بالرب، أيها الأحباء، يجدر بنا أن نفكّر أن الكنيسة المقدسة ليست فقط البناء الذي نجتمع فيه. ومعنى ذلك أنه غير صحيح أن من لا يكون عنده بناء كنسي يكون محروماً من الكنيسة. عندنا الكثيرون من أبنائنا الذين هم بعيدون جغرافياً عن أماكن الصلاة. فهل هذا يعني يجب أن تكون الكنائس مزروعة في كل بقعة من بقاع الأرض؟ لم يكن قصد الرسل هذا القصد. ولكن قصد الرسل أن الكنيسة هي ليست البناء وحده، إنها كل واحد منا.

نذكر يوم يعتمد الواحد منا كيف أنه تُمسح رجلاه لكي يسلك في طريق الرب، وتُمسح يداه لكي يعمل الخير من أجل الرب، وتُمسح أذناه لكي تكونان سامعتين للكلمة الإلهية. وبعدئذ يتقدس بكليته. وعندما يغطّس بالماء المقدس الذي يحوي نعمة الروح القدس، يصبح هو الإناء المقدس ويصبح هو الوعاء الذي يحوي الروح القدس وبالتالي يصبح هو الكنيسة المصغرة. نحن نعيش لأن كل واحد منا يكمّل الآخر، لأن كل واحد منا يصلّي من أجل الآخر. يتخذه في قلبه، يتخذه في أعماقه، ويذكره أمام الله ويطلب إلى الله أن يغدق عليه رحمة وغفراناً. كل واحد عضو في الآخر. الكنيسة هي أنتم حيثما كنتم، يا أحباء. الكنيسة أنتم وعندما تكونون في البيت تكون الكنيسة في البيت، وتكون

* عظة جناز

النعمة في البيت، ويجب أن تكون الصلاة في البيت. عندما تكونون في العمل تكون الكنيسة في العمل، عندما تكونون في المدينة، الكنيسة في المدينة. حيثما حللتم الكنيسة موجودة.

أتصور كيف أن هذه الراقدة بالرب عائلياً كان أحباؤها مجتمعين حولها. نعم، كنسياً وروحياً. المعمدون على اسم الآب والابن والروح القدس هم أقرباؤها الفعليون، وهم الآن يصلّون معها ومن أجلها. هي ليست بعيدة عن كنيسة الرب ولكنها في قلب الكنيسة لأنها في قلوبنا جميعاً نحن المصلين.

أيها الأحباء، من الأمور التي تعزينا هو أن نزداد عمقاً بأن ينتمي كل واحد منا إلى الآخرين، بأن يكون كل واحد منا عضواً بالآخرين ومعهم. هذا الوعي يجعلنا مشاركين لاخوتنا، مشاركين لهم جميعاً. نذكر هذا اليوم، أننا كنيسة حية روحية تودع هذه الراقدة بالرب على رجاء القيامة والحياة الأبدية. هذه قاعدة إيماننا.

نذكر ذلك، أيها الأحباء، ونتعزى، ونسأل لآل الفقيدة التعزية بالرب يسوع، تلك التي لا تعزية سواها. آمين.

بجسد المسيح نحيا*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

«إن لم تأكلوا جسدي وتشربوا دمي فليست لكم حياة في أنفسكم». هذا، يا أحباء، ما سمعناه من كلام الإنجيل الطاهر. الـرب يـسوع يـدعونا، ويدعوكم، ويدعو كل واحد لكي يأكل جسده ويشرب دمه. لأننا كالعطشان الذي لا يمكنه أن يرتوي إذا لم يذهب إلى الينبوع ليشرب الماء. بدون النبع ليس من ماء. وكذلك الإنسان بدون أن يقترب إلى الرب يسوع إلى جسده ودمه لا يمكنه أن تكون له حياة في ذاته.

كيف تكون لنا الحياة إذا كنا نفهم بكلمة الحياة فقط العيش على وجه البسيطة، أي على وجه الأرض؟ البارحة كنا نصلّي على جثمان راقدة بـالرب قريبة من هذا الراقد بالرب. واليوم ولما يمضِ وقت طويل فإننا نقف الوقفة ذاتها لكي نودع هذا الابن الروحي المنتقل عنا على رجاء القيامة والحياة الأبدية.

أين هو الحد بين الموت والحياة؟ عندما نقول فلان حي هذا الكلام كم من الزمن يمكنه أن يكون صحيحاً؟ كثيراً ما نفترض أننا نحدث إنساناً حياً وبعد قليل يحدث ألف حادث وحادث وإذا بالحي الذي كنا نكلمه يتركنا في هـذه الدنيا. ما الحد بين الموت والحياة؟ في دنيانا التي فيها في الصباح نُحيي إنساناً وفي الظهر نستقبله ميتاً، وبعد الظهر نأخذه إلى المقبرة مسكنه الأخير. يظن الناس أن

* اللاذقية، عظة جناز

الموت لا يأتي إلا إلى المسنين. نحن نرى كل يوم أن الموت يطال الجميع، فنجنّز الأطفال، نجنّز الشباب، نجنّز الكبار، نجنّز الشيوخ، ليس من واحد يمكنه أن يهرب من هذه الكأس.

أذكر، أيها الأحباء، أول عهدي بالكهنوت: كنت في أحد المستشفيات في بيروت فخرج أحد الأطباء من غرفة العمليات يدعوني قائلاً: أرجوك أن تسرع، ادخل معي إلى الغرفة. فدخلت وكان هنالك طفل ممدد على طاولة العملية. قال الطبيب: عمّده إنه لن يعيش إلا لثوان. ثوان قليلة سيعيش. وأعطاني كأس ماء فصليت بأسرع ما يمكن ورششت من الماء على ذلك الطفل. فقال لي الطبيب: لم يعش هذا الطفل إلى آخر الصلاة. أنا ما عرفت متى كان عائشاً وأصبح ميتاً، ولم أشعر على الإطلاق بذلك. أذكر أني قلت له: متى مات؟ فقال لي الطبيب: من يمكنه أن يحدد بالضبط الحد بين الموت والحياة؟

أيها الأحباء، نحن يمكننا في الكنيسة المقدسة أن نحدد الفاصل بين الموت والحياة. في الحياة، أو في ما نسميه الحياة نرتمي في أحضان العالم، نرتمي في أحضان الدنيا كل يوم ونزداد ارتماء يوماً فيوماً. وأما الفترة التي نسميها الموت فهي تلك التي نرتمي فيها في أحضان الرب يسوع ارتماء كلياً.

في الحياة نحن لله ولغيره، وقد نكون لغيره أكثر مما نحن له. وفي ساعة الموت وبعد الممات نحن له وله وحده لأننا عندما نقف أمامه تغيب الوجوه، ولا يبقى أحد ماثلاً أمامه.

أيها الأحباء، وقت الممات كان دائماً وقت وعي للمؤمنين، وقت صلاة. فصلّوا اليوم. صلّوا في هذه الدقيقة وبعد هذه الدقيقة كي لا نفاجأ بالموت دون أن نكون متذكرين ذاك الذي نسير إلى أحضانه. مهما ضجّ العالم

لا تصموا آذانكم أمام الكلمة الإلهية. ومهما شغلكم العالم لا تنسوا الرب الذي على قيامته نحن سنقوم.

أعزيكم جميعاً وأسأل الناهض من الأموات أن ينهض هذا الراقد بالرب ويجعل ذكره مؤبداً. آمين.

لا يوجد موت بل انتقال*

المطران اغناطيوس هزيم

نودّع اليوم هذا الراقد بالرب بالضبط في اليوم الذي تعيّد فيه الكنيسة المقدسة لأحد شهدائها وهو القديس اغناطيوس الانطاكي، الذي عُرِف عنه أكثر ما عرف كيفية مواجهته الموت. كان شيخاً ودُعي إلى الموت من أجل إيمانه. وكانت رحلة الموت موتاً بطيئاً متدرجاً ولقد كانت طويلة من أنطاكية إلى روما حيث كان ينتظر أن تطحنه الوحوش بأنيابها. ويُعرف عن ذلك الشيخ القدسي أنه كان في طريقه إلى الموت يعتبر أنه سائر إلى لقاء من اشتاق إلى لقياه طيلة حياته الذي هو ربه.

في كثير من الأحيان، أيها الأحباء، نشعر بأنه كلما تقدمت بنا السن ازددنا تمسكاً بما هو للحياة على الأرض، وصار يتولانا الخوف مما سيأتي. هذه نفسية الكثيرين منا، وهذا الاختبار نمر به في غالب الأحيان. كبارنا يتميزون في أكثر الأحيان انهم يزدادون تمسكاً بالحياة ويزدادون رهبة وخوفاً أمام الموت.

أما قديسنا فكان يسير في مسيرة الموت وكأنه يسير إلى شخص أحبه كل حياته واشتهى أن يلقاه وجهاً إلى وجه. الشيخوخة تجعل الإنسان يشعر بأن القوى التي كان يعتمدها قبل سن الشيخوخة تبدأ بالانحلال شيئاً فشيئاً. فلا الأذن تبقى الأذن التي تعودناها، ولا العين تعود فترى بنفس المقدار والقوة اللذين كانت ترى بهما. ولا الجسم يمكنه أن يتحرك بنفس النشاط الذي كان يتحرك به. هنا في هذا الاختبار عندما يشعر الواحد منا بأن قواه بدأت تفارقه رويداً

* عيد القديس اغناطيوس الانطاكي

رويداً كان الآباء القديسون يقولون: إنه وقت نقوى فيه فقط بالرب. إنه وقت فيه نضع أنفسنا بين يدي الخالق ليكون هو فينا بعد أن كنا نعتمد قوتنا نحـــن، القوة التي أظهرتها السنون باطلة وتزول.

تلاحظون، أيها الأحباء، أن الموت المفاجئ يلاحقنا منذ مدة فأحباؤنـــا يغادروننا دونما توقع وبصورة لا نتوقعها ولا ننتظرها. ألا يصح أن نقـــول إذاً: يجدر بنا السهر أكثر فأكثر؟ إما أن نسير في خط لا نرى فيه من مغادرة هـــذا العالم إلا السواد. وأما في خط قديس الكنيسة اليوم الذي كان يربي نفسه طيلة حياته كي يلاقي ربه وخالقه باطمئنان. مات ولم يتذمر ولم يرتعد ولم يخف لأنه أحب ربه، وكان إيمانه به قوياً.

أسأل دائماً نفسي: ماذا يفعل شيوخنا؟ ماذا يفعـــل كبارنـــا؟ كيـــف يهيأون لهنيهة لا بد منها كيف؟ لا يمكن أن نتهيأ لها صحياً لأن الصحة ستنتهي. لا يمكن أن نهيأ لها بأية ناحية من النواحي إلا في البعد والامتداد الروحي الإلهي حيث الحياة لا تتوقف مع الرب. لماذا لا يتهيأ شيوخنا بصورة خاصة بالـــصوم والصلاة وممارسة المناجاة الإلهية لذلك اليوم الذي فيه نشعر بأننا ننتقل إلى بيت أب لنا ولا نشعر بأننا منجرّون إلى ذلك جراً.

أيها الأحباء، فلنسهر ولنسهر أكثر كلما تقدمنا في الـــسن. يجـــب أن يزداد سهرنا فالحياة ماضية لا محالة، وبيت الله مفتوح لنا بالتأكيد ولنتبع ســـيرة قديس اليوم. في مسيرتنا اليوم، مسيرة المحبة لله لن يكون فيها رهبة ولا خوف بل فيها ارتماء بين يدي الله. من هنا إن الموت المسيحي ليس موتاً ولكنه انتقال.

إني أسأله الرحمة لفقيدنا ولكم العزاء بالنعمة الإلهية. آمين.

ربي، أنت نصيبي*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

في يوم الأحد الماضي كانت هذه الراقدة بالرب جالسة هناك قرب العمود وكانت تصلي. وفي يوم الجمعة الذي سبق تناولت جسد الرب ودمه الكريمين لغفران الخطايا ولحياة أبدية.

إذ نودعها اليوم نذكر كلاماً مباركاً نبوياً: «أجزتنا في النار وأخرجتنا إلى الراحة». أجزتنا في النار، جعلتنا نمر بالنار. والنار هنا رمز، رمز للمتاعب والمصاعب، رمز للضيقات في هذه الحياة. وقد وصفها النبي وكأنها مرحلة أولى لا بد منها، يجب أن يجتازها أي إنسان على الأرض. هذه الراقدة بالرب جازت في النار وعاشت الصعوبات والمتاعب والمشقات التي اجتازتها هذه العائلة المباركة، عاشتها وكانت مثالاً للأم الصالحة، الأم الصبور، الأم التي لم تفقد إيمانها بالرب ساعة واحدة، ولم تفقد اتكالها على الله تعالى.

ما أقوى المؤمنين فإن أنظارهم تخترق الحجب وتجتاز الحواجز فلا يتسرب إلى قلوبهم تعب ولا إلى نفوسهم يأس، ولكنهم يرون ما لا يراه الإنسان العادي، يرون نوراً لا تراه الأعين وأملهم عظيم، ورجاؤهم عظيم. هكذا كانت هذه الراقدة بالرب في صميم معركة الحياة. في مرحلة أولى كانت متكلة على الرب مع عائلتها وكان الجميع بعين لا تغمض وإيمان لا يفتر كانوا ينظرون إلى

* عظة جناز

الله ينبوع كل أمل ورجاء. «أجزتنا من النار» قلت: إن كل إنسان يجوز في النار في هذه الحياة وقد يكون المسلك الطبيعي أن يبدأ الإنسان بالنار وأن ينتهي إلى الراحة. ولكن الكثيرين ممن يمرون بالنار يتركون النار تلتهم أطرافهم، يتركون النار تشوّه نفوسهم، يفسحون المجال للنار لكي تقلل من قدرهم وتنقص من قيمتهم.

مشكلة النار والصعوبات والمتاعب في الحياة ليس أنها تحدث فقط. مشكلتها أنها، عند الكثيرين، تترك آثاراً مدمرة. أما المؤمن فلا تَمسّه، المؤمن هو أبداً غالب لها ومنتصر عليها. هذه الراقدة بالرب جازت في النار وعسى أن لا تعود تلك النار إليها ووصلت إلى المرحلة الثانية، المرحلة التي نصلي من أجل الوصول إليها.

عندما نبارك العروسين نصلّي بأن يريا بني بنيهما. في هذه المرحلة المباركة الإنسان قد يُجرَّب بأن ينسى وأن يتجاهل معطي الراحة الأوحد الذي هو الله تعالى. لا بل تصبح الراحة في كثير من الأحيان صنو التنكر لله، صنو إنكاره والكفر به، بل الإلحاد به. في هذه العائلة المباركة لم تكن الراحة كسلاً. ففي كل بادرة راحة استدعاء لله وشكر لله. وفي كل وضع مرتاحٍ تقوية للإيمان بالله واعتراف بفضل جميله ونعمة من لدنه. الراحة لم تكن أداة للاستكبار ولا للتجبر ولقساوة القلب. هذه الراقدة بالرب لم تتخدر وأنا عارف بأن العائلة كلها لم تتخدر بما أعطيت بل كانت ملازمة البيت الإلهي. ما أشرف بيتك يا الله هذا الذي يهجره الكثيرون من أبنائك. كانت ملازمة البيت الإلهي، مشاركة العائلة المصلية، مهتمة في البيعة المسيحية والممجدة لله. كانت عارفة بوعيها الإنجيلي، والإنجيل ينبوع وعي ينبوع إلهام وفهم، وكانت مدركة بأن الساعة

التي تودع فيها هذا العمر ليست بيدها ولكنها قد تأتي في كل دقيقة. تهافتت على جسد الرب ودمه الكريمين. و لم لا؟ فكما أن الحياة في بدئها مكرسة لمعطيها، لَمَ لا تكون آخرتها مكرسة لمعطيها. لماذا يبدأ الكثيرون منا حياتهم بعملية مقدسة أي بتكريس لله وبعدئذ يدعون تلك العملية جانباً بعد أن يعيشوا عمرهم ثم يموتون ولكن ليس لينبوع الحياة.

هذه الراقدة بالرب كانت مدركة ببساطة وصفاء وشفافية، كانت مدركة أن الذي أعطى هو الذي يأخذ، وأن تلك الساعة تأتي كاللص ولا يمكن لأحد أن يحدد ساعة حصولها. ولكن يمكن أن نتغلب على مجيئها خلسة بالسهر الدائم. السهر المتواصل المستمر. كانت محاولتها في آخر الأيام أن يكون سهرها دائماً ومستمراً كي لا تفاجئها هذه الساعة وهي غير مستعدة للارتماء في أحضان أبيها السماوي وربها وخالقها.

اليوم إذ نودعها، أيها الأحباء، ونذكر الكلام النبوي: «لقد أجزتنا في النار وأوصلتنا إلى الراحة» نكمل ذلك بكلام نبوي آخر هو لسان حالنا «حظي أنت يا رب ونصيبي». آمين.

الخاطئ يموت بخطيئته*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

باسم آل الفقيد أود أن أعبر لكم عن الشكر الجزيل لمشاركتكم في المصاب الذي حلّ في هذه العائلة الكريمة وأسأل وإياهم الله تعالى أن يبعد عنكم كل ما يؤلم وكل ما يحزن.

عندما كنا في البيت كنت أسمع بناتنا السيدات يبكين ويبكين بمرارة. فانتقل بي الفكر إلى الكتاب المقدس وصرت أفكر بالدور الذي قامت به النساء بمناسبة موت المسيح وقيامته. لا شك أن الكتاب المقدس واضح فيما يتعلق بمريم والنساء اللواتي كن معها وكيف كن ملازمات للمسيح حتى آخر دقيقة. لا بل الإنجيلي يوحنا يظهر لنا آخر مشهد من مشاهد آلام المخلص وأنه وهو على الصليب لم يكن إلى جانبه من الرسل سوى يوحنا وامرأة واحدة، وتذكرون ذلك الكلام الذي حصل. عندما التفت المخلص من على الصليب لكي يقول له: «هذه أمك». ومن ثم التفت إليها وقال لها: «هذا ابنك» ويقول الكتاب المقدس: «منذ ذلك الوقت أخذها التلميذ إلى خاصته» والتلميذ لم يذكر اسمه تواضعاً ولأنه هو الكاتب. وعليه في الدقائق الأخيرة العصيبة لم يُثبت الرسل أنهم كانوا مهووسين بالرب يسوع وأن إيمانهم به كان شديداً إلى حد أنهم مزجوا بين الحقيقة والخيال وذلك على عكس ما أعتقد بعض الجهلة. فالتلاميذ لم يكونوا مؤمنين الإيمان الحقيقي النهائي بالمسيح وذلك حتى آخر لحظة. وعندما كان على

* عظة جناز

الصليب لم يوجد واحد منهم إلى جانبه، هذا ما كتبه يوحنا الإنجيلي. ولكن كانت هنالك سيدة، كانت هنالك امراة. ونعرف أيضاً أن السيدات اللواتي كن مع مريم كن يقمن بالاهتمام بالجسد وأنهن هن اللواتي حاولن أن يحصلن على الطيوب وأن يتهيأن لدهن جسد الرب يسوع، وهن اللواتي حسب عادة اليهود كن دائماً مواظبات على زيارة القبر. هذا من ناحية.

ومن ناحية ثانية أيضاً يوحنا يقول إنه حتى بعد قيامة الرب واجه تلاميذَه منصرفين كلاً إلى أعماله. النساء وحدهن كن مقيمات معه وهو في القبر، كن مقيمات لإتمام ما كانت تطلبه العادات والناموس بالنسبة لأي ميت كان. ولكي يكون للمسيح ما كان يحصل لأقل إنسان على وجه الأرض. لماذا؟ لماذا كانت النساء هكذا؟ لماذا تبكي النساء؟ لماذا تحس النساء بهذا الألم؟ وقد يبدو أن هذا الإحساس عند النساء أرهف منه عند الرجال. مَن يدري إنها عطية الله! إنها عطية الله بأن تشعر المرأة بأن أي فراق هو غياب وأن الغياب نوع من الموت، وأن الموت انسلاخ. إنها تشعر بأنه سُلِخَ منها شيء وهذا يكون من طبيعة المرتبطين. ليس من انسلاخ إلا بعد ارتباط. أما غير المرتبط أمثالنا فلا يشعر بالانسلاخ لأنه ليس من انسلاخ بدون ارتباط مسبق. لهذا تبكي نساؤنا، لهذا يولولن في كثير من الأحيان لهذا يتجاوزن في كثير من الأحيان ما نعتبره عرفاً وعادة.

ما يهمني في الأمر هو الناحية الروحية. إذا كان الله أعطانا وأعطى سيداتنا بصورة خاصة تلك الحساسية، فيجب أن لا تستغل هذه الحساسية إلا لمجد الله. أيتها النساء، كان الألم عند اللواتي رافقن المسيح في الدقائق الأخيرة لحياته مرتبطاً بشخصه، كان الألم من أجله هو ولذلك حدث شيء آخر وهذا

قد يكون جديداً بالنسبة إلى الكثيرات بيننا وهو أن أول مَن عرف بالقيامة كان امرأة. إذن كان آخر مَن زار القبر امرأة وأول مَن عرف بالقيامة كان امـــرأة. اللواتي ذهبن للبكاء والنحيب وجدن الملاك. ذهبن للحزن فوجـــدن البـــشارة. ذهبن وكأنه سُلخ منهن جزء فوجدن الكمال، وجدن الصوت الملائكي يقـــول لهن: لماذا تطلبن الحي مع الموتى؟ لماذا تفتشن عن المسيح ههنا فتّـــشن عنـــه في مكان آخر. لم يعد هنا. «إنه قام» اذهبن فبشّرن تلاميذه بأنـــه يـــسبقكم إلى الجليل. ما ينقصنا في كثير من الأحيان أن تحمل لنا نساؤنا البشارة مع الدموع. الدموع حق، والحزن حق، والتألم حق ولكن أيتها النساء من أفـــواهكن ومـــن صميم الألم يجب أن تخرج كلمة البشارة بأن الرب قد قام.

الرسول الأول للمسيح لم يكن رجلاً. الرسول الأول لقيامة الرب كان امرأة. وأنتن تلميذات يسوع أنتن تابعات ليسوع وباسمه نلتن المعمودية وباسمـــه أنتن تُسمين.

هل هذا كثير؟ هل هذا كثير إذا كنت أطلب أن يُقال كلام بغير وجع في هذا الظرف بالذات. إن سألتكن فسأسألكن الدمع ولستن بحاجة إلى السؤال من أجله ولكن أسأل أن يكون هذا الدمع ليس سوى غلاف للبشارة بالمخلص إنه قام ونحن على صورته نقوم. وهذا الراقد بالرب باسمه يقوم وبصوته يقـــوم. هذا إيماننا وإيمانكن وإيمانكم جميعاً. آمين.

العظيم مَن يعمل ويعلِّم*

المطران اغناطيوس هزيم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،

في هذا المقطع الإنجيلي المبارك للإنجيلي متى، يدور الحديث عن تلاميذ المسيح الذين كان يُعِدّهم ليكونوا قادةً روحيين في العالم. قال لهم بطريقة أخرى ولكن ما معناها: يا ابني ستجد في العالم فصيلة من الناس هي فصيلة الكتبة. صفة الكاتب في تلك الأيام كانت تنطبق على الذي يعرف أن يكتب، لم يكن كل الناس يعرفون الكتابة وهم بمثابة المتعلمين الذين يدعون الفهم عندنا، في مجتمعنا المعاصر. خاطبهم المخلّص: يا ابني أيها الرسول ستجد نفسك وجهاً لوجه أمام هذه الفئة من الناس المتعلمة التي تدعي الفهم. وهنالك فئة ثانية من الناس ستجد نفسك أمامها هذه الفئة هي فئة الكهنة. رؤساء الكهنة أولئك الذين سُلّموا أرواح الناس كي يرشدوها إلى المواقع الطيبة، وإلى الحياة الروحية. عندنا الفئتان اليوم وكل واحد منكم سيصادف في طريقه واحداً من هاتين الفئتين أو سيجد من الفئتين كليهما.

بدل أن يقول لهم المخلص: يا ابني سيحدثك العلماء بالأشياء الرفيعة المستوى، بالأشياء المتقدمة وسيكونون المثل الصالح أمامك، سيكونون المثل الصالح وسيكونون صورة للقداسة، صورة للسماويات، وعندما تنظر إلى وجوههم ستجد شيئاً من وجوه الملائكة من أوجه القديسين. قال لهم: إن هنالك مشكلة عند هؤلاء هي أنهم يقولون شيئاً ويفعلون شيئاً آخر. ما يقولونه

* عظة جناز

جيد صالح لأنه ليس من عندياهم. الذي يقرأ عليك الإنجيل المقدس وينشد لك الترانيم المقدسة هذه لم يأت بها من بيت أبيه ولكنه يأتي بها من مصدر الروح القدس. أما الأعمال فمختلفة اختلافاً كلياً عما تسمعونه.

كم هو صحيح هذا. لست بحاجة إلى الشهادة في هذا الموضوع فإنني أعرف نفسي وأعرف الكثيرين. ما تقوله هو أفضل ألف مرة مما تفعله. لذلك فالحكم علينا يكون ليس فقط على أساس القول لأنه من الكتاب المقدس ولكن على ما نفعل. كل واحد منا له شخصيتان. الشخصية الظاهرة، الشخصية التي تبدو للناس، والشخصية الباطنية شخصية القلب، شخصية الأعمال، شخصية النفس والروح. كم هو عدد الناس الذين يأتون أمواتنا على رجاء القيامة والحياة الأبدية ويقولون في قلوبهم أترجى قيامة الموتى؟ أنا مؤمن بقيامة الموتى كما قام المسيح من بين الأموات. هؤلاء سيقومون، أنا مؤمن بذلك كم واحداً من أولئك الذين يسيرون وراء أمواهم يقولون هذا القول؟ الظاهر شيء والباطن شيء آخر.

ويبدو، يا أحباء، أنه لا يلتحم الظاهر مع الباطن إلا في مرحلة معينة من العمر إجمالاً عندما يكبر الإنسان، عندما يجد أن كل ما يتعلق به عادة في الحياة وكل ما يبعده عن طريق المسيح لا يستحق أن يُعطى هذه الأهمية. إجمالاً في الشيخوخة يتم هذا الامتحان ويتم هذا الاندماج بين ما هو ظاهر وبين ما هو باطن. بين ما هو قول وبين ما هو فعل إجمالاً.

آباؤكم المسيحيون الأولون عندما كانوا يجتمعون مثل هذا الاجتماع حول أحد اخوهم المنتقل على رجاء القيامة والحياة الأبدية كانوا يرون شيئين ويختارون واحداً. كانوا يرون أولاً العالم بضجته، العالم ببهرجته، العالم بمغرياته

من جهة ومن جهة ثانية كانوا يتلون المزمور ١١٨: «طوبى للذين بلا عيب في الطريق السالكين في ناموس الرب...» وكانوا يجيبون كلهم هللوليا. الجناز كلكم تسمعون فيه فلان حظي. أنت يا رب، أنا نصيبك وأنت نصيبي. ليس من سواك في العالم وأنا لا أريد شيئاً سواك، والشعب يصرخ هللوليا. المجد لك وليس من مجد إلا لله وحده.

أيها الأحباء، كلما جرى دمكم في العروق تجري معه هذه الصلوات. يجري معه هذا التاريخ. هذا لا يجري إلى جانبكم ولكن فيكم، فيكم أنتم. اخترتم طريق الحياة ولذلك فإنكم تمجدون الواحد الحي الأوحد.

إذ نودّع هذا الراقد بالرب على رجاء القيامة والحياة الأبدية نذكر ما قيل ونشكر الله على أنه يدعونا على رجاء القيامة والحياة الأبدية. آمين

أعد الكتاب

الدكتور يوسف هزيم

الإخراج الفني

المهندس سامر شاهين

مطبعة وليم اسطفان

دمشق، باب توما

الطبعة الأولى

٢٠٠٧